أخبار اليوم
قطاع الثقافة

مجموعة الأعمال الكاملة

أصدقاء على الورق

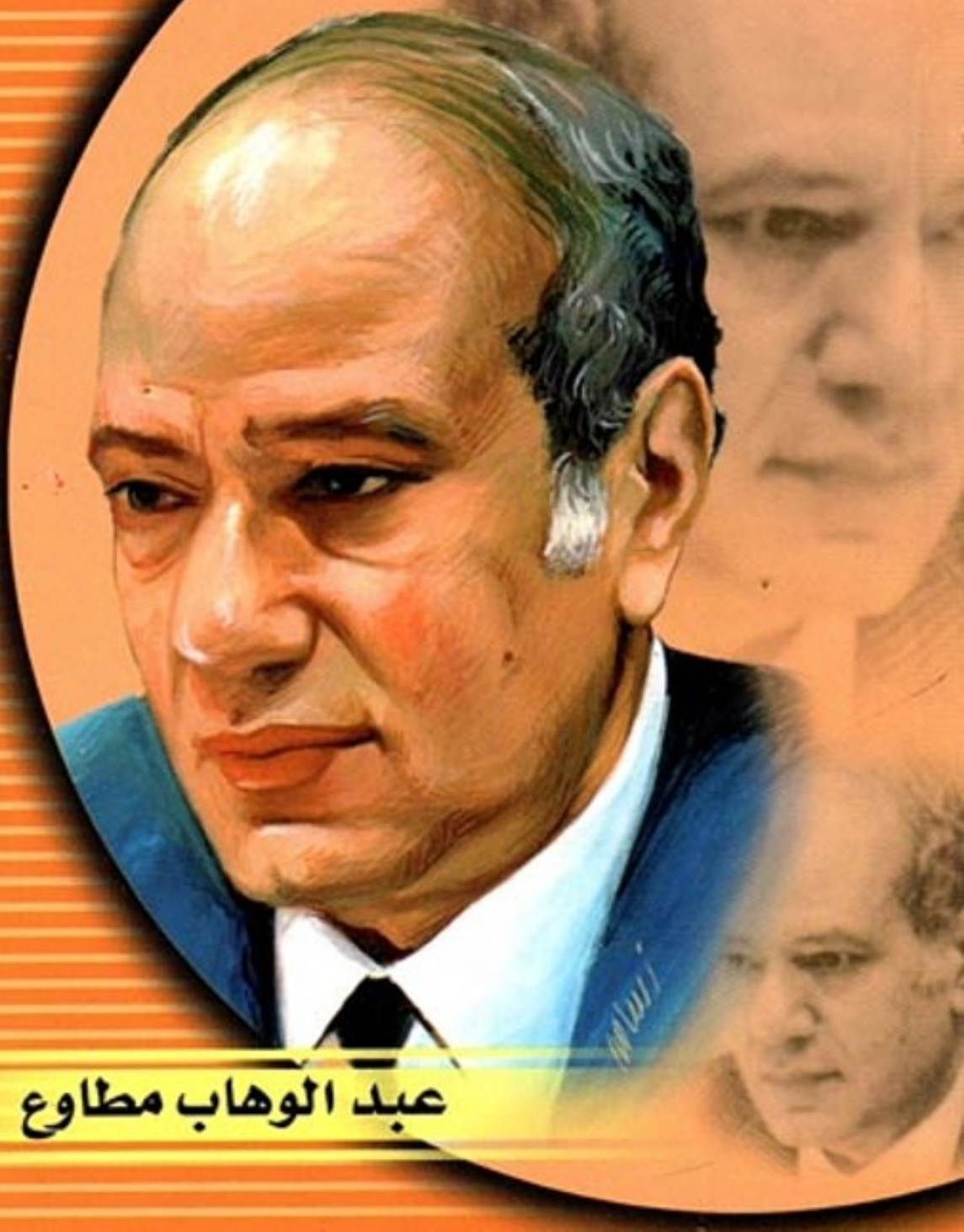

فريق متميزون
E-BOOK

عبد الوهاب مطاوع

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب النادر:

كلمه مهمة:

هذا العمل (تحويل كتاب: أصدقاء على الورق.. للكاتب عبدالوهاب مطاوع الي صيغة نصية) هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

كتب مجمعة لبريد الجمعة:

أصدقاء على الورق

عبدالوهاب مطاوع

الإهـــــداء:

إلى روح أبي رحمه الله..

وإلى روح شقيقه الأصغر رحمه الله.

أهدي كتابي هذا الذي كثيرا ما تمنيت لو أنهما كانا بجواري ليقرآه مع من سيقرأه.

المؤلف

∞∞∞∞∞∞

هذا الكـــــتـاب..

هذا الكتاب لم أؤلفه أنا.. وانا ألفه الزمن، أعظم المؤلفين فلقد أتاح لى إشراف على بريد الأهرام اليومي في جريدة الاهرام أن أطلع على تجارب غنية بالخبرة الانسانية نشرت بعضها في بابي الأسبوعي بالاهرام (بريد الجمعة) وعلقت عليها وانفعلت بها وعايشت همومها ثم طالبني قراء عديدون بان أجمع هذه القصص في كتاب يكون في متناول أيدي القراء يرجعون اليه كلما ارادوا استلهام تجارب غيرهم والاستفادة بدروسها.

واستجبت لهذه الرغبة. لكني واجهت مشكلة كبرى في أختيار القصص التي يضمها. الكتاب، وبعد تفكير طويل قررت أن اختار أكثرها اقترابا من حدود التجربة الانسانية وأكثرها اثراء لخبرة الانسان بالحياة.. وبالنفس البشرية.

ومع ذلك فلقد ضاق الكتاب عن استيعاب الكثير من القصص التي تمنيت لو استطعت نشرها.. ولا يبقى سوى الأمل في أن تتسع لها كتب جديدة أصدرها في المستقبل القريب باذن الله..

ولقد اخترت هذا الكتاب عنوانا "أصدقاء على الورق"، وهو تعبير استعملته كثيرا في كتاباتي في بريد الجمعة.. ووصفت به العلاقة بين كاتب يهتم بألام البشر وبين قراء يثقون فيه على غير معرفة ويفتحون له قلوبهم، ويروون له اسرارهم ويسألونه الرأي والمشورة.

فلقد كنا فعلا اصدقاء على الورق.. فتشاركنا في الهموم والمشاكل والتجارب.. وتقاسمنا معا عبرة التجربة ودروسها.. وبكينا معا في مواقع البكاء.. وضحكنا معا في لحظات السعادة.. واحببنا الحياة معا في لحظات كثيرة.. وضقنا بها في لحظات أخرى.. واعتزازا بهذه العلاقة الثمينة.. فلقد اخترتها عنوانا لكتابي تحية لكل هؤلاء الأصدقاء الذين آثروني بصداقاتهم ومشاعرهم الرقيقة على البعد فبددوا بها وحشتي.. وخففوا من وحدتي الداخلية الكثير فشكرا لهم على ما ألوني من ثقة ومن فضل.

وعذرا لمن حاولت أن اواسي جراحهم ففشلت في كثير من الأحيان ومن حاولت أن أشير عليهم بالرأي السديد في مشاكلهم فطاش سهمى في بعض الأحيان.

فلقد قلت مرارا إنى أتعلم من آراء القراء ما لم أكن أعلم وانى أتأسي دائما فيما أبديه من آراء بقول الإمام أبي حنيفة: قولنا هذا رأي وهو غاية ما توصلنا إليه في هذا الأمر فمن جاءنا بأفضل منه كان أولى بالاتباع منا..

وكثيرا ما جاءني قراء باراء أفضل ما قلت في هذه المشاكل.. فاتبعتها.. وتمنيت لو كنت قد توصلت إليها حين عرضت المشكلة.

وهكذا الحياة مدرسة نتعلم فيها كل يوم ولا نتخرج منها ابدا الا في نهاية العمر...

عبد الوهاب مطاوع

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سألت القس الذي أمضى 15 عاما يتلقى الاعترافات.

ماذا تعلمت من إعترافات البشر؟

فقال: تعلمت أن الناس أتعس كثيرا ما نظن!

« اندريه مالرو في مقدمة كتابه »

« لامذكرات »

دائرة الانتقام

أكتب إليك لأريح صدري مما يحمله وان كنت أشك إني سوف استريح ولابدأ قصتي من البداية فأقول لك انني شاب نشأت في أسرة متوسطة الحال وكانت طفولتي فقيرة لكنها لم تكن حزينة فقد كنت متفوقا طوال دراستي. وكانت نظرة الحسرة في اعين زملائي الذين انعم الله عليهم بالثراء وهم ينظرون إلى تفوق تسعدني وترضينى وسارت حياتى هادئة إلى ان حصلت على الثانوية العامة والتحقت بكلية الطب، وواصلت تفوقي، واثناء دراستي بالكلية تعرفت على زميلة لي وتبادلت الحب الصادق معها، واتفقناعلى كل شيء، وكانت تعرف كل ظروفي الاجتماعية وتقدرها ولم يكن الفارق الاجتماعي بيننا كبيرا رغم أن والدها كان موظفا كبيرا فكلمة موظف كبير كما تعلم لاتعني دخلا كبيرا، وكنت انوي خطبتها في العام النهائي وتوثقت علاقتنا معا وعلاقة اسرتينا وكانت اجمل ايام حياتي هي الأيام التي عشتها معها اثناء الدراسة واقتربت أيام الامتحانات الأخيرة واقتربنا من تحقيق الاحلام لكني بدأت اشعر بتحول غريب في شخصيتها إذ بدأت مشاعرها تجاهى تفتر حتى اصبحت تشيح بوجهها عني كلما رأتني واحسست كأن ابواب الجحيم قد فتحت على مصرعيها وفي قمة عذابي ذهبت الى مقابلة ابيها وهو رجل فاضل كان يكن لي حبا وتقديرا لأسأله عما جرى،، فاستقبلني خجلا وحائرا لايعرف ماذا يقول لي، ثم أبلغني أن ابنته قد تقدم لها شاب يكبرها بأثني عشر عاما حاصل على مؤهل فوق المتوسط قضى فترة طويلة من العمل في بلاد البترول وجمع مدخرات كافية، وأنه كأب يسعى لصالح ابنته ويعرف اننا مرتبطان ونعتزم الزواج قد اعلن هذا الشاب بالرفض حين تقدم له، لكنه فوجيء بأن ابنته حين علمت بذلك قد ثارت وعاتبته على ذلك بحجة انه كان يجب أن يستشيرها في ذلك فذهل ابوها واعتقد ان خلافا، قد وقع بيننا واننا قد تراجعنا عن مشروع الارتباط، ولما سألها في ذلك نفت وقوع أي خلاف وقالت انها فتاة واقعية وان العريس الجديد قد وعدها بشقة تمليك بأسمها وسيارة باسمها وانه قادر على ذلك في حين أن فتي الاحلام الدي هو انا لن أستطيع كطبيب ناشيء ان احقق لها هذا المستوى الا بعد ان يكون شبابها قد ولى وذبلت زهرة عمرها، ولا أعرف حتى الان كيف انتهت الجلسة ولا كيف غادرت منزله. لكني لم استسلم فسعيت اليها وناقشتها في قرارها فرددت على مسامعى "دررا"، جديدة من الحكمة، التي نلجأ اليها حين نريد أن نغتال مشاعر إنسان وحياته وقلبه، فقالت لى عبارات كثيرة من نوع أنها ليست مستعدة للصبر ولا لإضاعة عمرها في الكفاح وان الانسان يعيش مرة واحدة وان الزواج فرص وكل شيء قسمة ونصيب ...الخ.

وتجلت الحقيقة قاسية أمامي.. أنا فقير إذن فأنا غير موجود، وواجهت الواقع المر.. وظهرت نتيجة الامتحان وكنت كالعادة في مقدمة الخريجين وبدأت حياتي العملية وأنا مسحوق تماما وفي داخلي براكين من الغضب والرغبة في الانتقام من كل الفتيات ومن الواقع الفقير الذي هزمني في قصة حياتى، واتاح لى تفوقي اختيار المجال الذي أرغب في التخصص فيه، وكنت قد بيت النية عليه عقب انتهاء فترة

الامتياز مباشرة. وبعد فترة قصيرة من العمل في المستشفى ومن الادخار إفتحت عيادة في أحد الأحياء ودخلت عيادتي في اليوم الأول وجلست وراء مكتبي وأنا اقول بيني وبين نفسي قد جاءكم من لن يرحم أحدا منكن ومن لن يتردد في إعتصار كل من يدخل اليه ولا عن إمتهان كل مريضة يجد لديها الإستعداد للخطأ!

وتدفقت المريضات على عيادتي وبدأت في "نشر"، رقابهن وكانت معظم أعمالي في دائرة مايسمى بالعمليات الطبية المحرمة قانونا وأصحابها دائما متعجلون ومستعدون للدفع بسخاء وبدأ المال ينهمر فوق رأسي كالطوفان ويبدو أن المال الحرام كالجراد لا يأتي فرادى وإنما في جحافل كجحافل الجراد، فعيادتى مزدحمة بالمرضي و "أعمالي"، تتوسع كل يوم ولم أرحم أحدا ولم أعني اية مريضة وجدت لديها ميلا أو استعدادا للعبث وخلال سبع سنوات فقط كنت جمعت من المال ما لم يجمعه زملاء لي خلال ثلاثين سنة، فإشتريت الشقة وأثثتها بأثاث فاخر واشتريت السيارة وأصبحت عيادتي اشهر عيادة في الحي كله والتحقت بأكبر الأندية الاجتماعية من باب المنظرة فقط لأني لا أجد وقتا للذهاب الى أي مكان سوى إلى "المجزرة"، التي أجري فيها عملياتى، وفي احدى الليالي وكان المرضى قد إنصرفوا وأنا في مكتبى أحصي النقود المكومة أمامي من إيراد اليوم فوجئت بها تطرق الباب وتدخل علىّ..

إنها خطيبتي السابقة التي حولتنى الى هذا الوحش وقد جاءت لتقول لي كلاما بلا معنى..من أن الله قد انتقم لك مني، وانني غير سعيدة مع زوجي وأنه وحش وتريدني أن أساعدها في الطلاق منه لتعود الىّ ونتزوج ونعوض ما فاتنا من سعادة، سمعت كلماتها ولم أشعر بأي عاطفة نحوها، ولا بأي إشفاق عليها، وانما شعرت بتشف غريب فيها وبشماتة عجيبة فيها.. وظللت صامتا الى أن أنهت كلامها، ثم وجدتني فجأة انتفض واقفا وأتجه اليها ثم أجذبها من ملابسها وأدفعها في إتجاه الباب فخرجت مهرولة ودموعها تسابقها وعدت إلى مكتبي وصدري يعلو ويهبط ومشاعرى ملتهبة ثم إنفجرت في البكاء ربما للمرة الأولى في حياتي، ولا تتصور أني بكيت من أجلها،فلقد بكيت حزنا على نفسي وعلى ما ترديت اليه ووجدت صورة أبي تقفز إلى مخيلتي وسمعت صوته يرن في اذني كأنه يقول لي أهذا ما علمتك اياه من قيم وفضائل.. أهذا ما حرمت نفسي من أجله لتعليمك وتربيتك لكى تسعد الاخرين؟

فخرجت من العيادة المعلونة مندفعا وركبت سيارتي وجريت بها في الشوارع بلا هدف وفي الصباح أغلقت العيادة وأبلغت المرضى اني سأحصل على اجازة طويلة وأمضيت عدة ايام غير قادر على عمل أي شيء ثم ركبت الطائرة وسافرت إلى الخارج لمدة شهر، راجعت نفسي خلاله وعدت عاقد العزم على أن أبدأ حياة جديدة ومن المطار عدت الى شقة الاسرة الصغير التي تعيش فيها أمي مع اصغر اخوتى بعد أن رفضت ان تعيش معي في شقتي الفاخرة كأنها كانت تحس بقلب الأم انها مشتراة من مال حرام رغم ان اخوتي لم يجرؤوا على إبلاغها بما وصلت اليه وجلست إلى جوارها وهي تصلي وتدعو إلى الله أن يفرج كربتي وأن يذهب عني الضيق الذي احس به وبعد أيام عدت إلى عملى بالمستشفى الحكومي الذي لم أذهب

اليه طوال 7 سنوات إلا خطفة وكنت أحصل على مرتبى منه بلا عمل وأتصيد الزبائن منه لعيادتي حيث و أذبحهم، فيها وأصبحت اصحو كل صباح مبكرا فأذهب الى المستشفى فأعمل وانا مستريح الضمير وأعود إلى بيت امي في الظهر مستريحا فأمضي الوقت مع امى ومع أخوتي الذين انصرفت عنهم طوال السنوات السبع الرهيبة ومنذ ذلك الحين لم أفتح أبواب العيادة بل ولم أمر من الشارع الذي تقع فيه.

والآن يعلم الله صدق توبتى ورغبتي في أن أعود كما كنت إنسان نظيفا طاهرا وقد بدأت اشعر بطعم اللقمة الحلال وبطعم النوم الهاديء اه هي (معذبتى)، فلم أعد قادرا حتى على كراهيتها وأنا اصبحت اطلب لها المغفرة لما سببته من الام للجميع. والان يا صديقي يؤرقني شيء واحد هو ماذا أصنع بهذه التلال من الأموال المغموسة في الحرام التي جمعتها من دماء مرضاي لقد حزمت أمرى فيما يتعلق بالعمل لكني لم أحزم امرى بعد فيما افعل بعائد هذا العمل المحرم فهل تستطيع أن تشير على بالرأى الصواب وهل ترى أن الله سبحانه وتعالى سوف يقبل توبتى؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول: انني أشكرك يا صديقي على حرصك على ان تضع تجربتك الفريدة هذه امام قراء بريد الجمعة لنستفيد جميعا من درس التجربة المريرة التي عانيتها، وخير التجارب ما نتعلم منه أن المال الحرام لا يحقق السعادة كما يتصور البلهاء، وان الطريق الخاطيء لا يقود الا الى التعاسة والهلاك.

لقد مررت بتجربة أليمة يا صديقي وقد شاءت الأقدار أن تنجو سريعاالمستنقع الذي سقطت فيه وأن تعود إلى نفسك وان تستشعر عذاب الضمير لذلك فأني لا أتوقع لك أن تعود مرة أخرى إلى الطريق الخاطىء لأن معدنك أصيل رغم كل شيء ولأنك تعلمت الدرس الثمين من التجربة القاسية والمثل الانجليزى يقول (تجربة آلمتني تجربة علمتى)، ولقد تعلمت خلال فترة قصيرة ما لم يتعلمه من أفنوا العمر يجمعون المال الحرام بلا أدني احساس بوخز الضمير ومن لا يفيقون عادة إلا على الصدمات المزلزلة وقد لا يفيقون حتى يوارهم التراب فانت اذن يا صديقى صاحب قلب حكيم وإني لأستشعر صدق رغبتك في التطهر مما إقترفت يداك تحت تأثير المحنة التي عشتها، وحكمة التوبة أنها تفتح الباب أمام الخاطئين في أي وقت للرجوع عن الخطيئة، ولو أغلق الله جل شأنه باب التوبة في وجوه الخاطئين ما وجد خاطى دافعا لكف الأذى عن الآخرين والتوقف عن غيه مادام سوف يؤخذ بجريرته إلى الأبد ولا أمل في المغفرة فلا تشك ابدا في أن الله سوف يتقبل توبتك وأنه سوف يقود خطاك إلى الطريق المستقيم.

أما أموالك المغموسة في الحرام.. فلعل أهل الذكر يشيرون على وعليك بما تفعله بها.. ولكني قد أتصور مبدئيا أن خير ما تفعله بها هو أن تهب معظمها لشراء أجهزة طبية غالية الثمن كأجهزة غسيل الكلى أو أجهزة رسم القلب وما أشبه والتي يستفيد منها المرضى الفقراء وأن تتبرع بهذه الأجهزة للمستشفيات العامة.. فتحول ما كسبته خلال سنوات الضياع إلى عمل نافع يخفف عن الآخرين الامهم وجرى عليك حسنة جارية تذهب السيئات وبشرك بأجر عظيم، كما أتصور ايضا أن عليك أن تسقط من حياتك هذه السنوات اللعينة وأن تبدأ حياة جديدة سوف يوفقك الله فيها الى من تستحقك وقد أحسنت صنعا حين طردت فتاة "الأحلام المنهارة"من حياتك الى الأبد فهي فتاة انتهازية بطبيعتها وهي حين عادت اليك لم تعد اليك مدفوعة بحبها القديم وحده وانما بما سمعته عن نجاحك وثرائك فيها أتصور فأرادت كعادتها في الحصول على الأشياء الجاهزة بلا كفاح أن تحصل على المال والنجاح وفتي الاحلام القديم. ولم يكن عدلا أن تعطيها الدنيا كل شيء ولم يكن عدلا أن تقبل أنت بقاياها بعد أن باعت الحب والاحلام بالشقة والسيارة بحجة الواقعية المزعومة، وهي في الحقيقة ليست واقعية لكنهاعزوف عن الكفاح ورغبة في الاستسهال وجرى وراء المال بلا مشاعر ولاأحاسيس.. وهذه كلها بكل أسف من امراض العصر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فوق السحاب

قد لا تهم مشكلتي أحدا.. وبالرغم من ذلك فاني أحس بالرغبة في أن ارويها لاحد.. لاني في حاجة إلى مشاركة وجدانية ولو على البعد قصتى يا سيدى تبدأ منذ حوالى سنة حين دعيت لحضور زفاف إحدى صديقاتي فتعرفت في حفل الزفاف على شاب وسيم رقيق عرفت فيما بعد أنه ابن عم العروسة..

جاءت جلستي معه على نفس المائدة فتعارفنا وتبادلنا الحديث ومضت أسابيع قليلة بعدها لم أره أو التقى به خلالها ثم فوجئت به يتقدم لخطبتي فوافقت.. فلقد كان كما يقولون عريسا لقطة.

شاب هادىء.. مؤدب "وعريق" ماديا واجتماعيا ورحبت به أسرتي، وكان طلبه الوحيد من اسرتي هو إتمام الزواج خلال شهر واحد فقط من يوم تقدمه لخطبتي وخلال شهر الاعداد للزواج اقتربت منه جدا وبصراحة وقعت في غرامه بطريقة عنيفة فلقد كان الرجل الأول والأخير في حياتي وكان كل شيء يمضي على ما يرام خلال فترة الإستعداد للزواج.. ماعدا إصراره على الزواج بسرعة رهيبة.. بلا سبب مفهوم حتى لقد دهشت والدته من هذه السرعة وتعجبت من رغبته في عدم انتظار عودة شقيقته التي أتمت دراستها في الخارج وعلى وشك الوصول لتحضر زفافه.. وهي كما يقولون توءم روحه وسره.. وحبه الكبير، المهم تم الزواج بغير انتظار شقيقته وبدأنا شهر العسل وكان سعيدا جدا وكنت طائرة فوق السحاب.. إلى درجة أني التفت إلى عبارة كان يرددها باستمرار خلال ايام العسل هي "ربنا عوضني بيكى" ولم أتوقف لأسأل نفسي عوضه عن ماذا إنه شاب لديه كل شيء في الدنيا فما هو التعويض في حياته.

المهم قطعنا شهر العسل بعد 3 اسابيع لنستقبل شقيقته العائدة من الخارج.. واكتشفت في المطار انها كانت صديقة لي في الدراسة وسعدت بها جدا.. ومضى أسبوع آخر وأنا أستغرق يوما بعد يوم في حب زوجي حتى اصبحت أشعر به تحت جلدى وفي عروقي، فمشاعري تهتز حين أنطق باسمه.. وقلبي يرتجف حين اراه وانتهى العسل وعاد زوجي الى عمله وفي اول يوم دخل فيه مكتبه معللا بأن لديه عملا ورجانى أن انام واتركه فتركته وذهبت إلى فراشي وبعد ساعة نهضت لأطمئن عليه فوجدت نور غرفة المكتب مطفا.. ووجدت زوجى جالسا في الشرفة ساهما والدموع تنساب من عينيه. فزعت وحاولت ان اعرف منه ماذا جرى فرفض ورجانى أن اتر كه فتركته هذا اليوم يا سيدي لم يعد زوجي هو نفس زوجي الذي عرفته وأحببته فلقد انصرف عني تماما ولم يعد ينظر إلى أبدا ولا يتحدث معي إلا بالكلمات الضرورية.. يذهب إلى عمله في الصباح ويعود في المساء الى غرفة مكتبه ليجلس مع حزنه المستمر وإذا جمعنا مكان او جلسة عائلية انتحى جانبا باحد الحاضرين واستغرق معه في حديث طويل لا اسمعه وسألته ان كان غاضبا منى فأنكر.. ثم لاحظت أنه ينتحى بشقيقته ويتحدثان حديثا هاما طويلا فسألت شقيقته فلم تقل لي سوى عبارة.. خليك معاه، فضغطت عليها.. وقلت لها إنني في طريقي للجنون ففسرى لى ما حدث لزوجي فنظرت إلى باشفاق ثم قالت سأروي لك كل شيء.

وروت لي ما لم اتوقعه قالت لي إن زوجي كان مرتبطا عاطفيا لسنوات.. بفتاة أحبها بصدق واحبته واتفقا على الزواج.. لكنها فجأة تزوجت بغيره وتصور أنها قد غدرت به وبحبه فتزوجني على وجه السرعة لينساها ووجه كل اهتمامه إلى وسعد بي إلى أن انتهى شهر العسل وذهب إلى مكتبه في اليوم الأول فاتصلت به احدى صديقاتها لتقول له إن أهل فتاته قد زوجوها رغما عنها وإنها عجزت عن المقاومة فاستسلمت ثم سافرت إلى الخارج في شهر العسل وعادت لتجدك متزوجا.. ولم تتحمل فانتحرت وكان، طلبها الأخير أن تخبر صديقتها زوجي أنها لم تغدر به سمعت ما قالته لى شقيقة زوجى وانهرت..ألهذا إذن كان يتعجل الزواج؟.. أهذا اختارني. بكيت طويلا ثم استجمعت نفسي وأدركت انني اخوض معركة لاسترجاع زوجي.. وقلت إنني ساحارب لإنقاذه وإنقاذ بيتي وسعادتي.. وفعلت المستحيل لاستعيده واخرجه من حزنه ووحدته وانصرافه عني سألت عنها ورأيت صورتها وعرفت عنها كل شيء.. وحاولت أن أكون مثلها في كل شيء في تسريحة شعرها في طريقة لبسها.. وطريقة كلامها.. وعاداتها وفي كل شيء..ففشلت.. واستمر حزينا وحيدا. وحاولت أن أكون عكسها في كل شيء لعلى اعجبه ففشلت ايضا واستمر وحيدا وواجهته ذات يوم بما عرفت وقلت له أن ما حدث ليس خطأه ولا خطئي.. وإني مستعدة لان اعيش تحت قدميه من أجل أن تعود اليه ابتسامته.. فنظر إلى بعطف ثم مد يده ليربت على خدي. وكانت المرة الأولى التي يلمسني فيها منذ 5 شهور..

ثم قال لى "اشكرك يا...." وكانت المصيبة أنه نطق باسمها هي لا بأسمي انا زوجته وحين بكيت اعتذر إلى أسفا بأنه لم يقصد ايلامى.. لكنها فلتة لسان ومازلت أعاني هذا العذاب كل يوم.. أحيانا أريد أن أواصل الكفاح معه واحيانا أخرى أشعر ألا فائدة هناك ولابد من الانسحاب بهدوء.

ان شقيقته ترجوني ألا أتركه.. وأن أستمر في المحاولة وان انجب طفلا لكي يربط بيني وبينه ويرجونى قلبى كذلك أن أستمر وأن أحاول.. لكن عقلي يكاد ينفجر مما أراه من فشلي معه.. فهل ستجدى محاولاتي.. وهل أخطأت؟.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وأقول لكاتبة هذه الرسالة: لا يا سيدتي لم تخطئي فيما حدث ولا ذنب لكِ فيه.. لكنها أقدار مأساوية اختارتك بمحض الصدفة لتكوني البطلة المعذبة في هذه القصة الغربية التي كدت اشك في أنها قصة منقولة عن الأفلام القديمة لولا أنني أحسست بصدق مشاعرك وبصدق كلماتك وانت تروين فصولها وتروين عذابك معها.. وإن كنت لا أفهم. هذه المأساة التي حالت بين زوجك العريق ماديا واجتماعيا كما تقولين وبين الزواج من فتاته.. فقصتك كلها تجري في وسط لا يحول فيها اهل بين فتاة ومن تريده.كزوج.. بلا هكذا.. إلا إذا كنت قد أغفلت السبب عن عمد..على أية حال فإنني لا ألومك على ما حدث إلا في نقطة واحدة هي الزواج السريع الطائر الذي تم خلال شهر واحد من يوم التقدم للخطبة إلى الزفاف وانت لا تعرفين شيئا تقريبا عن زوجك الجديد، وكانت النتيجة أن اكتشفت انك الوحيدة التي لا تعرف قصته كذلك فانى قد ألومك وان كنت افهم دوافعك واقدرها على محاولاتك لأن

تستعيدي الزوج الغائب بمحاولة أن تكوني مثلها في كل شيء أو عكسها في كل شيء.. فهذه المحاولة وان كانت نابعة عن اخلاصك وحبك لزوجك إلا أنها ليست الطريق السليم لاستعادته.. فكوني نفسك يا سيدتي. ولا تكون غير نفسك مهما حدث فهو أن استجمع نفسه من محنته وهي محنة حقيقية بكل اسف فلابد أن يقبلككما أنت لا كما يتصورك، بل إنها إهانة لك أن يريدك صورة باهتة لأحد غيرك.. فاصبرى عليه واستمري في محاولاتك وسوف تنجح محاولائك في النهاية فمن نعم الله على الإنسان أنه انعم عليه بالنسيان يداوى به جروحه والامه.. وهو سوف ينسى ما حدث بعد حين.. وسيعود إليك لكني فقط أنصحك بتأجيل الانجاب إلى أن تستعيديه تماما وتتأكدي من شفائه مما حدث.. فقفي بجواره فهو يحتاج إليك.. وأنت كما فهمت من رسالتك متمسكة به وراغبة فيه باخلاص وقلبك كما تقولين يرجوك أن تستمرى، فاستجيبى لندائه.. وأعطى عقلك أجازة قصيرة إلى أن تسعيدى زوجك من غربته.. وسوف تنتصرين في النهاية بإذن الله.

∞∞∞∞∞∞

إنتصار الحياة

أنا يا سيدي صاحبة القصة أو المأساة التي نشرتها منذ 9 شهور واخترت لها عنوانا معبرا هو (فوق السحاب) وباختصار شديد فإلى أكتب لك لاخبرك أن ما توقعته قد حدث وإنني انتصرت كما توقعت لي رغم انني لم أكن أتوقع ذلك ولم أكن أشاركك تفاؤلك فلقد عملت بما نصحتى به تماما، فصبرت على زوجي، وواصلت محاولاتي معه وكففت عن أن أكون أية إنسانه غيرى وغير نفسي وشخصيتي وأنا أكتب لك قصة نجاحي لانها قصة نجاح أخرى لبريدك.. فقد بدأت بأن وضعت اعصابي في ثلاجة وانتهت ثوراتى تماما، وعدت رقيقة هادئة كما كنت مع زوجي قبل المأساة، حتى إنه بدأ ينظر إلى باندهاش من تغيرى، ثم بدأت شيئا فشيئا في التسلل إليه والحديث معه عن أي شيء لكني كنت أحرص في النهاية على أن يصل الحديث إلى مأساة غريمتي وشيئا فشيئا بدأت انزلها من مرتبة الآلهة التي وضعها فيها زوجي إلى مرتبة البشر بحسناتهم ونواقصهم حتى إذا ما وصل زوجي معي إلى هذه المرحلة بدأت في اقناعه بطء بأن الإنسان مخير في تصرفاته وأن كل ما يفعله إما يفعله باختياره لكن القدر في النهاية هو الذي يضع لمساته الأخيرة على لوحة الحياة، فالمسئول عن زواج غريمتي وانتحارها في النهاية هي نفسها وليس أي أحد غيرها، والمسئول عن زواجه مني هو وليس أحدا غيره، وبعد كل مناقشة هادئة كنت أتركه وانسحب إلى غرفتي وأتر كه يفكر بهدوء في كلماتي، وكنت حريصة على ألا أفرض عليه نفسي في أي وقت أحس فيه انه يحتاج إلى أن يكون وحيدا مع نفسه ومع ذكرياته، وإلى جانب ذلك كنت أحدثه عمله ولا أكف عن الصخب والمرح معه والخروج بصحبته كلما وجدت لديه استعدادا.

والحمد لله كنت أنجح في أن أرى الضحكة تنير وجهه الجميل الذي أعشقه بصدق ومع الأيام بدأت نفسى تهدأ. لكن زوجي لم يعد إلى رغم ذلك حتى أوشكت أن أيأس مرة أخرى وعاد الشك إلى نفسي مرة أخرى، وبدأت قدرتي في الضغط على أعصابي تتراجع... وذات يوم طلب منى أذهب للبقاء مع والدته طوال النهار لأنها تحتاج إلى رعاية ولان شقيقته مشغولة بالخارج فذهبت، وفي المساء جاء فاصطحب والدته واصطحبني معه إلى بيتا فدخلت الشقة لأجد مفاجأة عمرى. وجدت كل اصدقائنا وشقيقته في شقتي... وأزهارا وشموعا وتورتة... إنه عيد ميلادى ..يا إلهي! إنه يتذكر عيد ميلادي ويقيم حفلا من أجلى.. وقد أعد الحفل خلال غيابى وقفت والدموع في عيني لا أصدق نفسي أنه يتذكر عيد ميلادى..

إنه يعود إلى بعد كفاح استمر أكثر من عشرة شهور لقد أراد الله إلى النجاح في النهاية لألى أخلصت في محاولاتي لاسترجاعه ..لقد انتحى بى جانبا وقال إنه يعترف بفضلى وإنه يعرف الآن أن كل ذرة في قلبه وعقله تحبني.. لقد بكيت طويلا والأصدقاء من حولنا يصخبون.

لم أسعد في حياتي مثلما سعدت في هذه الليلة... إن للانتصار نشوة عظيمه ..إن العواطف تستطيع في النهاية مع شيء من العقل أن تنتصر.. وما أحلى انتصارى

..لقد كتبت لك لأن من حقك أن تعلم بسعادتي كما علمت من قبل بشقائى... فهنيئا لي بزوجي بعد الغياب الطويل وهنيئا لك بدعواتي على نصيحتك المخلصة لي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة اقول: وهنيئا لزوجك أيضا.. زوجته المحبة المتفانية "المكافحة" بصبر وإخلاص لاسعادته.

لقد كافحتِ يا سيدتي كفاحا مجيدا للدفاع عن حياتك وعن سعادتك ومن حقك أن تجني ثمار العناء والشفاء والعذاب الطويل وأن تسعدي بها ومن واجب زوجك أن يقدر لك هذه التضحية وأن يشكر الله كثيرا أن وهبه هذه الزوجة المتفانية المتمسكة به رغم طول (السفر) بروحه ومشاعره بعيدا عنها. لقد انتصرت الحياة في قصتك في النهاية على أشباح الماضي.. ولابد ان تنتصر الحياة لان الحياة أقوى دائما من الأشباح، ولأن مثل هذه الإرادة الصلبة لابد أن تحقق ما تهدف إليه. إني اشكرك على حرصك على إبلاغي بسعادتك كما سبق أن أبلغتني بتعاستك، ولا شك أن رسالتك هذه سوف تسعد من تعاطفوا معك في البداية وسوف تقنع أخريات بأن يواصلن الكفاح لاستعادة "المسافرين" بالروح والوجدان بعيدا عنهن.. وهذه أهمية التجربة الانسانية التي تطلعنا عليها بعض رسائل البريد... فرسالتك تثبت لغيرك أن للأمل بقية وإنه لا يأس مع الحياة، وإنه بالصبر والاخلاص قد يعود الغائب ذات يوم إلى عشه فشكرا لك وتمنياتي لك بعمر طويل من السعادة إن شاء الله تنتصر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الاختيار

بعض الرسائل تشّل قدرة الانسان على التفكير ومنها في رأيي هذه الرسالة: « أنا سيدة عمري ٢٨ سنة.. أعمل طبيبة إخصائية للامراض الجلدية نشأت في أسرة ثرية معروفة وعشت حياة طبيعية، وفي ذات يوم عرض على شاب مريض بمرض جلدي بسيط فعالجته منه وخلال فترة العلاج تعرفت به وأحبني وأحببته ثم تقدم للزواج منى ووافقت أسرتي بعد معارضة وزففت إليه.

وهذا الشاب محام معروف ناجح بدأ حياته في ظروف مأسوية فقد تربى في ملجأ وحصل على الثانوية العامة ثم التحق بالجامعة وكان يعمل لينفق على تعليمه، ثم نجح في عمله و كسب مالا كثيرا وتزوج من سيدة لم يوفق معها ثم صدم في اخلاصها له فطلقها، وقال لي إنه تقدم لفتيات كثيرات رفضنه لأن شكله غير مقبول ووجهه غير وسيم. وبالمناسبة فأنا على قدر كبير من الجمال والذكاء وقد تزوجت هذا الشاب وأحببته كثيرا وعشت معه حياة سعيدة كل السعادة ووجدت لديه الحنان والعطف والطيبة وقد أرادني أن اكون ملكة في بيته وأن يحضر لى الشغالات فرفضت لاني اريد ان اخدمه بنفسي.. وفعلا خدمته وأصبحت له زوجة وسكرتيرة. ارتب مواعيده وأكتب له المذكرات وأختار ملابسه وبعد عامين من الزواج تأكد وتأكدت من خلال الفحص الطبي الذي أجراه على نفسه أنه غير قادر على الإنجاب، فعرض على أن نتبنى طفلا من أحد الملاجىء لكي لا أشعر بنقص الأطفال في حياتي فرفضت وقلت له إنه يكفيني أن أكون بجوارك.. وأن أكرس حياتي لك فطلب منى أن أستقيل من عملى لأنه لا يحب أن يراني مرهقة وموزعة بين العمل والبيت، فاستقلت فعلا وتفرغت نهائيا له ولحياتي السعيدة، ومضى العام الثالث من زواجنا وسافرنا الى الاسكندرية للاحتفال بعيد الزواج، وفي رحلة العودة اصطدم لورى كبير بسيارتنا،، فأصيب زوجي بكسر في ذراعه وبجروح بسيطة، أما أنا فقد أصبت بفقد البصر وأجريت 4 جراحات لاستعادته فشلت كلها لكني لم أيأس من رحمة الله وسأجرى جراحة أخرى يوم 25 نسبة نجاحها تزيد على 95 ٪ وأمل كبير في الله أن أسترد بصرى. تسألني بالطبع كيف كتبت لك هذه الرسالة وأنا عمياء. لا بأس، إلى أملي رسالتي هذه على شغالتي وأمينة سرى التي تربت معي في بيت أبي وحين أصبت بفقد البصر أصر أبي على أن تصاحبني لتخدمنى. ومضت الحياة بعد ذلك ولم يتغير شيء فأنا باقية على حبي لزوجي وأتفاني في خدمته حتى مع ظروفي الجديدة، وهو أيضا باق على حبه وإخلاصه لى وتفانيه في إسعادى بل إنه أصبح أيضا عيني التي أرى بها الدنيا.

لكنني فجأة لاحظت منذ حوالى شهرين أنه قد أصبح كثير السفر والمبيت خارج البيت، إنه محام مشهور يترافع في قضايا عديدة في محافظات مختلفة ويسافر كثيرا.. لكني رغم ذلك لاحظت أن نوبات سفره قد زادت وبالذات الى الاسكندرية وفي إحدى المرات غاب هناك أسبوعا كاملا كان يتصل بي خلاله كل يوم بالتليفون ويعدني بالحضور كل يوم ثم حضر أخيرا متعللا بأن القضية كانت مرهقة وطالت جلساتها. ولم أعترض وفي الصباح غادر البيت إلى مكتبه، وقالت لي أمينة سرى

إن بدلة زوجي تحتاج إلى تنظيف فطلبت منها إخراج محتوياتها قبل إرسالها للمكوجى ففعلت. فإذا بها تجد بين أشيائه قسيمة زواج حديثة من سيدة بالاسكندرية. لم أصدق اذني فطلبت منها أن تقرأها مرة ثانية وثالثة ورابعة وحين انتهت من قراءتها للمرة الخامسة كنت قد غبت عن الوعي. لماذا يا ربي؟.. لانني عمياء؟ أن عماى مؤقت كما يقول الأطباء ثم ما هذا؟ أن تصرفاته معي تقول الى انه مازال يحبني ويغمرني بعطفه وحنانه فلماذا يتزوج غيري؟ وماذا افعل الآن إنني لم أفاتحه بعد بأني قد عرفت بنبأ زواجه ولم أفاتح أهلى به ولو فعلت لسعوا لتطليقى منه على الفور.. وأنا الآن حائرة لا أعرف ماذا أفعل؟

فإني إذا أبلغت اهلي بالنبأ وطلقوني منه ثم اجريت الجراحة ونجحت واستعدت بصرى فإلى سأندم طوال حياتي على اني طلقت منه، وإذا فشلت العملية فإني لن اندم على عدم إبلاغ اهلي لاني في هذه الحالة سأظل عمياء ولن أستطيع خدمته كما كنت افعل في سنواتنا الأولى. وان كنت سأزداد ارتباطا به لانه عيني التي أرى بها. ماذا أفعل.. أرجوك أن تجيبني قبل موعد الجراحة 25 الحالي..

∞∞∞∞∞

هذه هي رسالة الزوجة المعذبة التي تلقيتها.. والتي عنيتها حين قلت إن بعض الرسائل تشل قدرة الإنسان على التفكير، فالحق يا سيدتي أني لا أريد أن أغامر بإبداء رأي حاسم في مشكلتك وأفضل أن أستعين بعقول القراء لتشار كنى مهمة التفكير الصعبة في النصحية المناسبة لك. فمشكلتك صعبة بالفعل وأنت تواجهين فيها اختيارا مريرا بين الرضا بحياتك الحالية وبما تقدمه لك من بعض العزاء.. وبين هدم أساسه والبدء من جديد في ظروف قد لا تكون مواتية. أنت تواجهين الاختيار بين الرضا بنصف زوج وبنصف الحنان والحب وبين الوحدة وافتقاد الرفيق الذي تميلين إليه، وعليك وحدك أن تختارى، ولو تركت لنفسي العنان لقلت إني احس من كلمات رسالتك أنك متمسكة به رغم كل شيء وراغبة فيه وفي إستمرار الحياة معه. ولقلت لك إن ظروفك الأخيرة ليست في رأيي الدافع الأساسي وراء نزوة زوجك ومغامرته الحمقاء.. ذلك إن بعض الرجال يرفضون أن يصدقوا أنهم المسئولون عن عدم الانجاب رغم نتائج الفحوص ويسعون سرا التجربة حظوظهم مع أخريات لإقناع أنفسهم بأنهم قادرون على ما حرمتهم الطبيعة منه، أعتقد أن هذا هو سبب مغامرة زوجك وليس فقدك للبصر لأنه مؤقت.. وأنت تنتظرين جراحة نسبة نجاحها عالية.. ولم يمض وقت طويل على تعرضك للمحنة بحيث ييأس زوجك ويحاول تعويض نفسه عما فقد، وحتى لو كان فقدك للرؤية دائما.. أيكفي هذا وحده للانصراف عنك.

اننا نعرف نماذج عديدة ناجحة لزواج موفق سعيد بين أزواج وزوجات حرمهم الله نعمة البصر لذلك فان هذا السبب لا يكفي وحده في رأيي للانصراف عن زوجة محبة مخلصة مثلك. ثم ألم يفكر زوجك ماذا كان من الممكن أن يحدث لو أصيب هو في هذا الحادث بفقد البصر وأصبت أنت بالجروح البسيطة؟

أكنتِ تتخلين عنه بهذه السرعة؟ أشك في ذلك كثيرا.. لأن المرأة السوية أكثر عادة رضا بقضاء الله من بعض الرجال الجاحدين، أني لا أريد أن أواصل الحديث معك لكي لا أنجرف إلى إبداء رأي محدد قد يكون جائرا لكني سأنقل إليك ما أتلقاه من أراء قراء البريد([1])، وإلى اللقاء.

∞∞∞∞∞

الزهور..السوداء

لم اتردد في الكتابة اليك لانني أشعر بحاجتي إلى صديق ابنه همومي في زمن عز فيه الاصدقاء.. وعز فيه من يمكن أن يعطيك اذنيه ليسمع همومك.. ولابدأ من البداية البعيدة فأقول لك يا سيدى انني شاب في اوائل الثلاثينات أحمل مؤهلا فوق المتوسط.. وقد نشأت في أسرة متوسطة من ابوين كريمين وبدأت حياتي العملية بعد تخرجي من المعهد في وظيفة بالقطاع العام، رمضت الايام هادئة إلى أن اكتشفت انني قد بلغت السادسة والعشرين وآن إلى أن ارتبط بإنسانة أبني معها عش حياتى فوجدتها في شخص قريبة لزميل لي في العمل. تعرفت اليها ودخلت المنزل من الباب وتمت الخطوبة، وحصلت على اجازة بدون مرتب وسافرت للعمل في الدول العربية لاجمع ما يكفي للحصول على شقة وتأثيث عش الزوجية واغتربت يا سيدى وذقت طعم الغربة من أجل غرض محدد هو المال. ولا استطيع أن أصف لك مالقيته خلال رحلة غربتي من عناء وهوان ومشقة وكبت نفسي واجتماعي لكنني رغم ذلك تحملت وشقيت وعملت مضاعفا في اسوأ الظروف فكنت اعمل دائما في الصحراء وفي الجبال وفي سبيل حافز مادى اكبر، وعملت اكثر من وردية عمل في اليوم الواحد، وعملت في نوبات العمل خلال الليل لاحصل على نقود اكثر، وحرمت نفسي من كل شيء عدا ما يقيم اودى من الطعام، لاوفر ما احتاج اليه من مقدم للشقة ومن كماليات لها، ورغم ذلك فلقد كنت سعيدا لانني اشقي من اجل هدف سعادتى الانسانة التي اخترتها.

ومرت الايام ثقيلة بطيئة لا يعرف يقلها الا من عانى الغربة والوحشة..

يكفي أن اقول لك انني كنت أخط خطا على حائط غرفة نومى كلما طلع النهار سعيدا بإنقضاء يوم من أيام عذابي سوف يقربني من تحقيق حلمي وكلما اكتملت ٧ خطوط شطبت عليها سعيدا بإنقضاء اسبوع واقتراب جمع الشمل وكلما تجمع لدى مبلغ من المال حولته إلى مصر حتى استطعت خلال 4 سنوات إستئجار الشقة وتأثيثها بكل الكماليات، وجاء يوم العودة وعدت إلى مصر طائرا على جناح السعادة، وبعد أسابيع من عودتى تم الزفاف ودخل عش الاحلام الذي بنيته طوبة طوبة بشقائي وإغترابي لكني أحسست بعد أيام من بدء حياتي الجديدة بشيء غامض في جوها لا اعرف كنهه. أحسست بان جوا من الفتور يخيم على عش الاحلام وبدأت أحس باننى غريب في بيتي. وأن فتاة احلامي ليست على ما يرام معى لا اعرف السبب. وقلت لنفسي لعلها الغربة الطويلة التي باعدت بيننا ولعل الأيام تتكفل بإذابة الجليد لكن الأيام حملت لي بعد ذلك اكثر من تطور هام فبعد الزفاف بإسبوع أحضرت زوجتى سريرا سفريا وضعته في غرفة الصالون وأصبحت تقضي معظم وقتها وحيدة فيه، وصدمت صدمة هائلة..

لكني لم افقد الأمل في تغيير الأحوال بعد ان تخلق العشرة الروابط العميقة بيننا، وكتمت الأمر ..وواصلت الحياة في صبر، وعدت للعمل بعد الاجازة آملا أن يخفف عني العمل ما أعانيه.

وسألت أهل الخبرة من زملائي.. فقالوا أن هذه هي أحوال بعض الفتيات الصغيرات في بداية حياتهن الزوجية حيث تتغير حياتهن فجاة ويجدن انفسهن بعيدات عن الأهل وبيت الأهل الذي نشأت فيه، تألف بعد قليل حياتها الجديدة وتتمسك بها، وأنه من المفيد في هذه الحالة بعض اللمسات الرومانسية البسيطة كهدية صغيرة أو باقة زهور.. مع كلمات رقيقة او فسحة في الخارج، واسمح لي ان اقول لك انني حتى اللحظة لم اكن قد اشتريت في حياتي باقة زهور ولا اعرف عنها شيئا لكني سألت فدلني زميل على محل قريب ونصحني بشراء زجاجة عطر وتقديمها مع الزهور ففعلت ودخت في الشوارع حتى وجدت سيارة تاكسي للعودة إلى البيت لكيلا تتمزق الزهور في الاوتوبيس، وعدت حاملا الزهور و" لفة" الهدية مترقبا أثر المفاجأة على وجهها الحزين وفتحت باب الشقة متوثبا ففوجئت بمنظر مازال محفورا حتى الان في ذهني فوجئت بالشقة خالية تماما من كل شيء.. من زوجتي التي اغتربت من اجلها 4 سنوات، ومن الأثاث ومن السجاد ومن الستائر.. ومن التليفزيون ومن كل الكماليات، درت في غرف الشقة كالمجنون فوجدتها خالية تماما.. ليس فيها سوى البلاط وبعض ثيابى ملقاة على الأرض.

آه.. انني لا اريد ان اتذكر هذه اللحظات القاتلة.. لكنها تتسلل إلى رغما عني.. فاتذكر منظري وانا اطوف بالغرف الخالية مذهولا ثم رانا اقنع نفسي بان ما حدث ليس حقيقة واحاول ان اجد شيئا استند اليه لكيلا اسقط على الأرض فلا أجد سوى كومة ملابسي فاجلس فوقها.. واضع رأسي على يدي حتى تجف دموعي.. ثم انهض لأواجه الأمر الواقع في النهاية وصدقني انني لم أبك حزنا عليها لكني بكيت حزنا على نفسي وعلى قدرى وعلى سنوات عمرى التي أهدرتها في الجبال والصحاري وحزنا على البراءة التي اغتيلت في زمن لا مكان فيه للبراءة فأنا لم افرض نفسي عليها.. فلماذا قبلتِ في البداية؟.. ولماذا تطعنني هذه الطعنة ولم يمض على زواجي منها سوى30يوما تبينت في هذه اللحظة فقط أن قد حزمت أمرها ودبرته ونفذته وانا غائب تماما عن الموقف.. متصورا أن الأمر مجرد رهبة للحياة الجديدة وانها سوف تألفها بعد قليل.وبقدر ما تحملت من الام نهضت فجأةالى بيت أسرتي وطلقتها بلا تردد وبعد أيام بدأ الرسل يتوافدون بين الأسرتين لانهاء الامورالتقليدية.. ولم أتوقف عند أي شيء وخلال الأيام والاسابيع السوداء التي تلت ذلك، تكشف لي ما لم اكن اعرفه، فبعد ثلاثة شهور بالضبط طلاقي لها. تزوجت بمن تحب وهو زميل لها في العمل نمت بينهما علاقة الحب خلال إغترابي. وكرهت الدنيا واصررت على أن أحيا وحدي في الشقة الخالية لكيلا أرى احدا أو يراني احد وعدت الى شقتي ولست بحاجة لأن اقول لك انني لم اكرر بعد ذلك تجربة شراء الورد في حياتي مرة أخرى بل لعلى كرهته.. ومرت 3 سنوات.. وعدت اشعر من جديد بالوحدة وبدأ الحنين يراودني إلى الزوجة والاطفال والأسرة مرة أخرى لكني جريح.. وفارغ الجيوب بعد أن وضعت كل مدخراتي في العش المنهار. وقطار العمر يمضي..

فهل تراني استطيع ان ابدأ حياتي من جديد وماذا على أن افعل هل اغترب مرة أخرى لاعود وانا في الأربعين وهل ترى انني سوف استطيع ان أنسى ما حدث

بسهولة؟

∞∞∞∞∞

ولكاتب هذه الرسالة اقول: نعم يا سيدى تستطيع أن تبدأ حياتك متخلصا من اثار هذه التجربة المريرة عليك.. بل لابد وان تبدأ حياتك من جديد، فليس من المنطقي أن يضيع الانسان عمره في اجترار الامه وفي البكاء على الأطلال ولا شك انك تعرضت لتجربة قاسية.. ضاعف من آثارها ما يبدو لي من سلامة طويتك ونقص خبرتك بالحياة وبالبشر فلا شك أن النهاية الدراماتيكية التي شهدتها عن الاحلام كانت لها مقدمات طويلة تنمو تحت السطح لكنك لم تلتفت اليها في غمار كفاحك لبنائه بالغربة وبالعمل المضاعف والشقاء لكن ما مضى قد فات ولا يفيد الان البكاء على اللبن المسكوب بل ولا يشرف الانسان وهو في مكتمل رجولته وحياته أن ينهار انهيارا تاما أمام تجربة مهما كانت مرارتها، فقف على قدميك مرة أخرى وتعلم ان الحياة تجارب وعثرات وان الانسان استمد قدرته على البقاء من قدرته على امتصاص الالم واحتاله، والحق انني رغم احتقارى التصرف فتاة أحلامك وانتهازيتها التي سمحت لها باستكمال المشوار معك وهي مرتبطة بغيرك الا انني ارى أن ما حدث هو افضل كثيرا من استمرارها معك مخلصة لك ولو بمشاعرها فما اقسى أن يحيا الانسان مع من تهفو نفسه إلى غيره وما اوحش أن يعيش تحت سقف واحد مع من لا يرى فيه شريك احلامه وكم من مآس يصنعها هذا الحال.. فاشكر الاقدار التي ارادت أن تجنبك هذا المصير وبلا مآس اجتماعية.. كوجود اطفال يعقد وجودهم الامور.

فإستعد نفسك يا صديقي فقصتك قديمة قدم التاريخ وقدم عذاب الانسان وحيرته، لكنها ليست من قوانين الحياة بل هي في النهاية استثناء من القاعدة والاستثناء موجود دائما.. والقاعدة السليمة الخيرة موجودة ايضا دائما فليست كل الفتيات كفتاتك ولا يعني امتحانك بهذه الفتاة أنك سوف تمتحن بغيرها، بل لعل ضريبة الالم التي دفعتها ترشحك لأن تنال حقك العادل من الحياة ولأن يعوضك الله عما لقيت بمن تضمد جراحك وتعيد اليك ثقتك بنفسك وبالحياة والبشر والخير، وما اكثر التجارب الناجحة التي سبقتها تجارب مؤلمة فاشلة. بل لعل التجارب المؤلمة تنضج شخصية الانسان على نار هادئة وتساعده على تفهم الحياة والتعامل معها.

والحق انك انسان شهم مضحٍّ فلقد انسحبت من حياة فتاتك الظالمة بهدوء ولم تتردد في طلاقها.. ولم تفكر في مماطلتها.. او تعليقها او جرجرتها في المحاكم كما يفعل الاخرون وهذه، فروسية، تتفق مع شخصيتك وتتلاءم معها اما السفر الى الخارج فأمره متروك لك لكني أتصور أن وجود الشقة وحده يذلل اصعب عقبات الزواج وبالتالى فلا حاجة لرحلة إغتراب جديدة تبدأ بالارتباط الاسمي مع فتاة ثم تتركها لتبحر من جديد في بحار المجهول لفترة طويلة لا أحد يعرف ماذا يمكن أن يحدث فيها فإذا ارتبطت مع أخرى فلتتعاونا على بدء حياة جديدة هنا تتشاركان في بنائها معا، لتكونا انتما الاثنان حريصين على نجاحها واستمرارها.. ومسئولين معا عن ذلك..

و الا فما فائدة الألم اذن.. إذا لم نتعلم من تجاربنا؟

∞∞∞∞∞

أيام السعادة

إنني شاب في الثانية والثلاثين من عمري أعمل في وظيفة مرموقة والحمد الله واتقاضى مرتبا معقولا جدا ومتزوج من زوجة رائعة تربطني بها علاقة حب عميق ومتجدد وقد بدأت علاقتي بها حين كنت اتردد على الكلية لإستعيد ذكريات الجامعة فالتقيت بها وتعارفنا سريعا وأحبتها واحبتي ودامت علاقتي بها 3 سنوات حتى تخرجت ثم تقدمت لأهلها لخطبتها وبدأنا سويا رحلة الكفاح لبناء عش الزوجية كان مرتبي أيامها26 جنيها وكانت هي الأخرى تتقاضى مرتبا مشابها فبدأنا نشد الحزام على بطونا لكى نجمع مبلغا لدفع خلو شقة صغيرة.. وكان متوسط الحلو ايامها حوالى الف جنيه فكافحت ليلا ونهارا وكافحت هي الأخرى حتى جمعنا اول الف جنيه تلامسنا معها في حياتنا واذكر انه عندما اكتملت الألف الأولى اننا صرخنا من الفرح بقرب تحقيق الاحلام وفي الصباح الباكر خرجنا لنطوف على السماسرة فاكتشفنا أن متوسط الخلو قد ارتفع الى ٢٠٠٠ جنيه.. صدمنا وإنهارت احلامنا وفكرت طويلا واستقر رأيي على أن ابحث عن عمل في دولة عربية لعدة شهور لاجمع المبلغ وفعلا وفقني الله في العمل في إحدى البلاد وتحملت الغربة لمدة 6 شهور حتى جمعت مبلغ ٢٠٠٠ جنيه.. وما أن امسكت بها حتى عدت إلى شريكة حياتي طائرا على جناح السعادة..

ولا أستطيع أن أصف لك فرحتي حين وفقني الله إلى صاحب عمارة رحيم كان يطلب 5 الاف جنيه من الجميع.. لكني وقفت أمامه أنا وخطيبتي والدموع تكاد تطفر من عيوننا وروينا له قصة حبنا وكفاحنا فرق قلبه لنا وأقسم أن يعطينا الشقة بما معنا من نقود ووقع العقد رسلمنا مفتاح الشقة وهو يتمنى لنا السعادة.

سعدنا سعادة لا توصف وانطلقنا نطوف بالشقة ضاحكين مصفقين مهللين وبدأت أعمل ليلا ونهارا.. وأول كل شهر نقتطع ثلاثة ارباع مرتبينا ونعطيها للنجار.. وكان يوم شرائنا لغرفة النوم ومائدة السفرة و 4 كراسي عيدا..

وكان يوم زواجنا عيدا آه.. ما احلى الراحة بعد العناء.. لقد إبتسمت لنا الدنيا بعد أن أمضيت 6 سنوات تقريبا في حرمان شبه متصل لبناء هذا البيت.. ثم بدأ الكفاح يؤتي ثماره.. فتقدمت في عملي وتضاعف مرتبى عدة مرات وزاد مرتبها ايضا.. واكرمني الله بفرصة عمل أخرى في الخارج لمدة سنة اصلحت بها حياتى.

ومضت الايام سريعة سعيدة.. وذات يوم اشترت زوجتي "صندلا"صيفيا من احد المحلات ثم عادت الى البيت التجربه فوجدته ضيقا بعض الشيء فعادت الى المحل لتعيده فاكتشفت أن مقاس الصندل هو نفس المقاس الذي ترتديه لكن قدمها هي التي ليست طبيعية بل متورمة قليلا.. شككت في الأمر فإصطحبتها إلى الطبيب فشخص المرض خطأ وتخبطنا معه لمدة 6 شهور بلا تقدم و كل اسبوع اشترى دواء بـ ٩٠ أو ٧٠ جنيها ثم هدانا الله إلى طبيب عظيم فحص زوجتي ثم قال أن هذا التورم ليس بسبب مرض الفيل كما تعالج الآن لكنه ناتج عن ماء متجمع بالساق بسبب مرض في الكلى، وبدأنا رحلة العذاب وكان أول ما طلبه الطبيب هو الامتناع عن

الحمل..وحدث أن سافرت في مهمة للخارج لمدة شهر كنت خلالها أتصل بها كل اسبوع لاطمئن عليها.. وذات مرة طلبتها فلم يرد التليفون فاتصلت بأهلى لاسأل عنها فقالوا لى ان التليفون عطلان.. فلم أطمئن وقطعت رحلتي وعدت بعد أيام فاكتشفت انها قد نقلت إلى المستشفى بعد أن أصيبت بغيبوبة.. وان الكلى قد توقفت تماما عن العمل واصبحت في حاجة إلى غسيل مستمر لمرتين كل اسبوع.

ولن أصف لك ما نتحمله من عذاب كل ثلاثة أيام مرة.. لكي لا اوجع قلب أحد.. وسأختصر فاقول أن الطبيب قد نصحني ان ابحث عن متبرع بكليته لاجراء جراحة زرع الكلية لها لانها شابة وتتحمل هذه الجراحة. فعرضت نفسي على الفور فاجريت على التحاليل لكني صدمت بنتيجتها التي تؤكد اني لا اصلح لنقل كليتي لها.. ولا أنسى الحالة العصبية التي انتابتى حين عرفت نتيجة التحاليل.. فلقد ثرت ثورة عارمة في قسم التحاليل بالمستشفى.. وصرخت.. وبكيت وتهورت حتى على طبيبة التحاليل الإنسانة التي تحملتنى وقالت لي والدموع في عينيها أنها سعيدة أن ترى انسانا وفيا لزوجته على هذا النحو.. لكن المسألة في رأيي لم تكن مسألة وفاء ولا تضحية.. بل ارتباط حياة ودم.

المهم فشلت تحاليل شقيقها الوحيد ايضا.. ونصحني اطباء التحاليل بالبحث عن متبرع آخر وأعطونى اسم و عنوان متبرع كان قد اجرى التحاليل ليتبرع بكليته لمريض اخر فاتصلت به وطلب مني 5 الاف جنيه فرحبت لانى استطيع بيع سيارتي وجهاز الفيديو والتليفزيون وأن ادفع له. واجرينا له التحاليل فاثبتت عدم صلاحية كليته ثم أعطونى عنوان شاب اخر يصلح وسبق ان اجرى التحاليل فاتصلت به فطلب مني عشرة الاف جنيه. شرحت له ظروفي وحياتي وأني لو بعت كل ما املكه فالي قد استطيع تدبير هذا المبلغ لكني لا استطيع تدبير تكاليف الجراحة والمستشفى أيضا وعرضت عليه سيارتي وكل ممتلكاتى فقبل.. ثم اختفى.. ثم عاد يتصل بي من جديد ويطلب مبلغا أكبر.. فأشرح له الظروف من جديد فيوافق ويمضي خطوات في طريق التحاليل والاستعداد للجراحة.. ثم يختفى مرة أخرى وهكذا شد وجذب ومنذ اكثر من شهرين ونحن على هذا الحال في يوم نفرح بقرب تحقيق الامال.. وفي يوم آخر نحزن لانهيارها وهكذا.. والغريب انه ليس محتاجا بالصورة التي قد تتخيلها فهو شاب متعلم من اسرة متوسطة يعيش في شقة احسن من شقتي مع اهله.. وليس في حاجة ملحة للمال.. ولا اعرف نوازعه او تفكيره لكني مضطر لان أفعل المستحيل لانقاذ زوجتي. ومازلت حائرا ومعلقا في الهواء مع هذا الشاب لقد قرأت عن بعض المشاكل التي تم حلها في بريد الجمعة فقررت ان اكتب اليك لعلى أجد عن طريقك متبرعا رحيما وانا على استعداد لبيع كل ما أملك وأقدمه هدية لكي يقبل مساعدتي في انقاذ زوجتي فهل استطيع ان اجد متبرعا يقبل ما عندي لقاء مساعدته في انقاذ زوج واسرة وبيت؟

∞∞∞∞∞

ولصديقى كاتب هذه الرسالة اقول انني لا أملك سوى نشر رسالتك.. وقد نشرتها وكلي ألم ما تعانيه انت وزوجتك الشابة الرقيقة عذاب.. في وقت كان

المفروض فيه أن يكون وقت الراحة بعد العناء ووقت التطلع للآمال بعد ان تحققت الأحلام لكن ماذا اقول؟ إنها الدنيا يا صديقي التي قلت عنها يوما انها « ناقصة" تعطي شيئا لتأخذ اشياء،لقد رفعتني معك إلى السماء وأنت تروى قصة حبكما وكفاحكما لبناء عالم الاحلام، ثم هويت بي إلى الأرض وانت تروي تفاصيل رحلة العذاب.مرض زوجتك إلى لا استطيع بكلماتي ان اقدم لك عونا كثيرا.. لكني فقط قد اقول لك: لاتقنط من رحمة الله.. فقد كان أجدادنا يموتون بأمراض تعالج الآن بالأسبرين وما يعجز عنه الطب اليوم قد يكون غدا سهل الشفاء.. « ويخلق مالاتعلمون ».. وكل يوم هو في شأن وقد يهيء لزوجتك ولأمثالها من المعذبين بهذا المرض اللعين فرجا من ضيقهم بعلاج جديد في علم الغيب يخفى الان "ولا يخفى عليه"

أما انت باصنعتى فواصل بحثك.. وقد يهيىء الله لك ولزوجتك فرجا من هذه المحنة عن طريق نافذة البريد فان شاءت ارادته ذلك فبها ونعم وان لم يشأ.. فاستمرا في العلاج بالغسيل. فإني اعرف اشخاصا يعيشون حياة طبيعية ومنتظمين في غسيل الكلى منذ عشرين سنة. وكيفا حياتكما على هذا الأساس وتآلفا مع مقضياتها الجديدة.. وارضيا أولا بما أراد الله فان الرضا هو بداية الفرج وتذكر انه رب يوم بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه، فاقنع زوجتك بتقبل الأمر بواقعية وواصلا حياتكما ولا تفقد الابتسامة مهما حدث.. وسوف يخفف عنكما الكثير ان يحمل كل منكما للآخر كل هذا الحب.. فاحتميا بحبكما ضد هذا العذاب.. أعانكما الله واعان امثال زوجتك من المعذبين وفرج كروبهم جميعا.

∞∞∞∞∞

طائر الحب والسعادة

افتح بريدي احيانا فألمح بين ركام المآسي.. نقطة ضوء مشعة بالامل فأسعد بها كما يسعد المتلهف إلى السعادة بلحظة صفاء وسط هجير الحر ثم اسرع لاضعها بين يدي قراء البريد ليشاركني الاخرون مشاعري..

وفي هذا الاسبوع تلقيت في بريدي هذه الرسالة:

اكتب هذه الرسالة لأني أحس بان على دينا ينبغي ان اؤدية للحياة ولهدا الباب ولقرائه على وجه الخصوص وقبل ان اتركك للحيرة سأبادر بأن اقر لك اني الشاب الذي كتب لك منذ حوالي 10 شهور يحكي قصة زواجه من فتاة وكيف بنينا معا ومعجزة عشنا الصغير طوبة طوبة.. رغم ضيق الامكانات، ثم ابتسمت لنا الدنيا فسافرنا للعمل في احدى الدول العربية لمدة عامين عدنا بعدها لمصر.. طائرين على جناح السعادة بعد عرفنا الراحة اخيرا بعد الشقاء.. واستكملنا اعداد عشنا واشترينا كل ماحلمنا بان يضمه بيتا، واشتريت انا سيارة صغيرة، واستعددنا لان نستمتع بثمرة كفاحنا، فاذا برفيقة كفاحي تسقط فجأة مريضة بالكلى واذ باحلام السعادة تثقلها الهموم ونبدأ رحلة العذاب وزوجتي الرقيقة الشابة تستلم للمرض وتعجز عن العمل وتحيا على غسيل الكلية مرتين كل اسبوع والاطباء يجمعون على ضرورة زرع كلية لها، فاتقدم لزرع كليتي في جسمها فتظهر نتائج التحليلات مخيبة للآمال، ثم اتعذب في البحث عن متطوع إلى أن افكر في الكتابة اليك، ولقد نشرت رسالتي بعنوان "ايام السعادة" وتلقيت عن طريقك بعدها استجابات عديدة من قراء بريد الاهرام، للتبرع بالكلي لانقاذ زوجتي. ولعلك تذكر أن عدد المتطوعين من ابناء مصر الخير والعافية قد بلغوا 42 متطوعا، اعطيتني اسماءهم وعناوينهم فبدأت الاتصال فرأيت من خلال هؤلاء الشباب نماذج من البشر ما كان علىّ ان اراها او اطلع عليها او اعلم بوجودها في الحياة لولا أن وضعتنى الأقدار وسط هذه التجربة الأليمة فرأيت من يقبلون اجراء هذه الجراحة بلا هدف.. سوى الرغبة في اسعاد اسرة صغيرة ورأيت منهم هذا الشاب الذي شارك في حرب اكتوبر ومازالت في جسمه آثار باقيات لعدة جراحات خطيرة من اثر الاصابة، وهو يصر رغم بساطة حاله على أن يدفع من جيبه ثمن التحاليل المبدئية اللازمة لاختبار صلاحية الكلية للزرع.. ورأيتنى ارفض ذلك فيصر اصرارا عجيبا حتى ليشكوني اليك بسبب ذلك. ثم حين تجيء التحاليل مؤكدة عدم صلاحيته يعود ليشكوني اليك بانى غير متحمس لاعطائه هذه الفرصة للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالتبرع بكليته لزوجتى.

رأيت هذا الشاب، ورأيت نماذج عديدة لشبان يحملون في جوانبهم قلوبا خيرة مطيعة الله وراغبة في الخير. حتى تضحى باجزاء من جسمها لانقاذ من لا يعرفونها.. ومن لم يسمعوا بها الا من رسالتي في بريد الجمعة ورأيتنى امضي الاسابيع اطوف بكل هؤلاء المتطوعين على معامل التحاليل.. فأجرى التحليلات المختلفة.. ثم تأتى النتائج بمفاجات لم يتصورها عقلى في البداية..

فالمتطوعون جميعا غير صالحين بكل اسف لنقل الكلية لزوجي الشابة. ليس هناك من يصلح لذلك سوى الشاب الذي عرفته في بداية رحلة العذاب عن طريق استاذة التحليلات والذي يطلب تعويضا معينا عن تضحيته الذي اشرت اليه في رسالتي الأولى.

وبعد مشاورات عديدة مع الاطباء بعد ان اصبحت شبه متفرغ لانقاذ زوجتي، عدت من جديد للاتصال بهذا الشاب ووضعت الأمر من جديد بين يديه، واشهد انه بعد ان عرف كل هذه التفاصيل كان متفهما الى اقصى حد، واصبح صديقا عزيزا لي واستقر رأي الأطباء على أن نبدا في المرحلة الجديدة.. في مركز الكلى بجامعة المنصورة، واكتشفت أن هنا رحلة طويلة ايضا للاعداد للعملية ومررنا بكل المراحل إلى أن جاء اليوم المشهود.. ودخلت زوجتي غرفة العمليات في لحظة واحدة مع الشاب المتطوع.. كل منهما على مائدة عمليات وحول كل منهما فريق من الأطباء اما انا فقد كنت عند دخولها على باب الغرفة يدي في يد زوجتي وقلبي معها.. وكان الشاب على السرير المتحرك مستسلما وخائفا ايضا مثلى واشهد اني قد احببته في هذه اللحظة اكثر من أي وقت آخر ودعوت له من قلبي أن يوفقه في حياته وان يحقق له كل احلامه.. وحين اذن"الموكب" بالتحرك لدخول الغرفة انحنيت فقبلت زوجتي الغائبة عن الوعي.. واستدرت فقبلت هذا الشاب ودعوت له كثيرا ثم غاب الاثنان خلف الباب المغلق.

وجلست انا على المقعد القريب في الممر.. واخرجت مصحفى وبدأ اقرأ فيه ودموعي تنساب منى فتسقط على الصفحات وتحجب عنى السطور وكل من حولي من احبائي واحباء زوجتي الذين عاصرونا خلال ايام السعادة وايام الشقاء يتمتمون بآيات القرآن.. أو يتظاهرون بالمرح ويحاولون شد ازرى.. بعبارات التطمين والتشجيع وبقيت على هذا الحال 6 ساعات كاملة مرت على كانها 6 قرون ثم فتح الباب وخرج رئيس فريق الأطباء مرهقا.. مجهدا، فنهضت من مقعدى كانما لدغني ثعبان.. ونظرت اليه وروحي كلها معلقة بشفتيه فاذا باساريره المتعبة تنفرج ببطء ويقول لي شبه هامس: مبروك فلم اشعر بنفسي وانا اندفع اليه اقبله واحاول احضانه وهو يقول لي: اهدأ ويضحك بسعادة.. واذا بالفريق كله يخرج من الغرفة ضاحكين فرحين كأنهم نجحوا في امتحان صعب وكلهم سعداء كما لو كانت المريضة شقيقتهم او زوجتهم.. وكلهم هنئونني وانا ادور وسطهم اقبل كل من يقع في طريقي منهم وفي اي مكان: الوجه او الرأس وهم يضحكون وينصحونني بان اتمالك نفسي لكن كيف اهدأ؟ واحدهم اكثر مرحا يلتفت إلى اهلى ويقول «مفيش زغرودة حلوة» فتطلق الزغاريد مجلجلة فتكون اخر ما اعيه من الوجود لاني لم اشعر بنفسي بعد ذلك الا وهم يعملون على افاقتى بالنشادر وحولى تمتزج الضحكات بالدموع والجميع سعداء.. لكن اين زوجتي واين هذا الشاب الطيب. فاعرف انهما في غرفة، "الافاقة"واسرع إلى هناك واراها.. ويكون اللقاء بعد أن كنت قد ظنت أن "لاتلاقيا" كما يقولون..

واذكر نعمة الله على.. فاسجد له شاكرا. ونمضى اياما في المستشفى ثم نخرج ونبدأ بعد ذلك رحلة ما بعد الجراحة.. ففي كل اسبوع نسافر الى المنصورة للفحص

والمتابعة وتنفيذ مراحل علاجية ضرورية بعد الزرع.. ثم يتحسن الحال ويطمئن الاطباء قليلا فيجعلون موعد الفحص مرة كل اسبوعين ونستمر شهرين على هذه الحال ويزداد اطمئنانهم.. فتصبح الزيارة مرة كل شهر.. وهي المرحلة التي نعيشها الان ومنذ اكثر من 5 شهور، بعد ان عادت السعادة إلى بيتى وبعد أن عادت الابتسامة على وجه زوجتي ووجهي.. واصبحنا نخرج في المساء لنتمشي على النيل كما كنا نفعل في ايام السعادة واصبحنا نزور الأقارب والأهل والأصحاب واسرة هذا الشاب الطيب الذي اصبح واحدا من اسرتي واصدقائي.

و اخيرا عادت إلى عملها وعدت أنا أيضا إلى عملي بعد ان انصرفت عنه تقريبا طوال هذه المحنة.. والحمد لله كثيرا على كل شيء.. ان في الدنيا خيرا كثيرا لكننا لا نراه الا في الشدائد.. وفي قلوب ابناء بلادنا نبع لا ينضب للحنان والعطاء والمشاركة لكننا لا نكتشفه الا في الملمات وانا اكتب لك هذه الرسالة لتشكر عنى كل هؤلاء الذين عرضوا على التبرع بكليتهم لزوجتي وطافوا معي بمعامل التحاليل وتركوا اعمالهم من اجلى بلا سابق معرفة ولتشكر عني هذا الشاب الطيب الذي اراد الله على يديه الخير لي.. ولزوجتي، ولتشكر عني كل هؤلاء الأطباء العظام الذين وقفوا بجوارنا في محنتنا في القاهرة والمنصورة والذين بذلوا اقصى ما في جهدهم لانقاذ حياة (عروسة بريد الاهرام) على حد تعبيرهم بعد أن قرأوا جميعا قصتها في بريد الجمعة..، واكتب اليك لتقول نيابة عني.. لكل من يعانون المحنة التي عانيتها: لا تقنطوا من رحمة الله.. فلقد وسعت رحمته كل شيء، وابواب الامل مفتوحة للجميع كما ان فرج الله قريب.

∞∞∞∞∞

ولكاتب هذه الرسالة المضيئة بالأمل اقول: لمست قلبى مرتين.. مرة في رسالتك الأولى وانت تروى لي شقاءك مع رحلة العذاب التي فاجأتك في بداية حياتك ومرة في رسالتك الثانية وانت تحكي لي عن فرحتك الصادقة بنجاح الجراحة وعودة طائر السعادة إلى عشكما الصغير ويالها من فرحة من القلب يا صديقي. تستحقها بكل تأكيد وتستحق ما هو أكثر منها فلقد شقيت كثيرا و كافحت كثيرا وآن. للمجاهد، أن يستريح بعد طول العناء وآن لعشكما الصغير الذي شهد هذه العاصفة العاتية، ان ترفرف عليه نسائم الراحة والهناء من جديد، إنى سعيد جدا بسعادتك وسعيد بشفاء عروسك الشابة الرقيقة التي امتحنتها الدنيا في فجر حياتها بكل هذه الاهوال، واننى لكما حياة سعيدة مديدة بإذن الله، كما اني سعيد ايضا بهذه الرسالة التي تقدم لى دليلا جديدا على ما أؤمن به عن جوهر هذا الشعب الصابر المكافح.. الذي تطغى عليه احيانا صعوبات الحياة فتختفي بعض ملامحه خلف قناع مزيف.. لكنها لا تمحو وجهه الاصيل المشرق بالخير والعطاء ابدا.. والا فقل لي بربك.. في أي مكان اخر الممكن ان يجد. معذب مثلك 42 انسانا على استعداد لاقتطاع أجزاء من اجسامهم لتقديمها هدية لمن لا يعرفونه لإسعاد قلبين وإنقاذ اسرة صغيرة من العذاب، وبلا أي مقابل؟ واين يمكن أن تجد مثالا لهذا الشاب الذي يستحق كل احترام والذي كان يكتب الي ليشكو لي من انك، اهملت، رغبته في التبرع لزوجتك بكليته ولم تحقق له رغبته وهو المصاب في الحرب والذى تعذب

من قبل بعدة جراحات؟ واين كان يمكن أن نجد انسانا بسيط الحال كهذا الشاب يرهق نفسه بدفع اجور التحاليل الطبية استعدادا للتبرع بكليته ويعتبر أصرارك على الرفض اهانة له ويرفض رغبتك باباء. وهو مواطن لامورد له سوى معاش عجز بسيط قد ينفقه اخر على وجبة عشاء واحدة في احد الملاهي واين يمكن أن نجد أمثال هؤلاء البشر الطيبين الذي يجودون بسماحة لا نظير لها بما يملكون.. وقد لا يملك بعضهم شيئا؟ اننا قد نكون شعبا من الفقراء لكننا بالتأكيد شعب من الأغنياء بامثال هؤلاء البسطاء الذي على استعداد للعطاء دائما وقد يكون العطاء باعضاء بشرية من اجسامهم؟ وقد نكون شعبا من الفقراء.. لكننا بالتأكيد مازلنا اغنياء بهذه الخصال والفضائل التي يعتبرها البعض من علامات « التخلف"، كالتمسك بالقيم الدينية والعاطفية.. والميل للعطاء والمشاركة بأقل الامكانيات المتاحة.. انه شعب عظيم رغم كل شيء يا صديقي لم يقدره احد حق قدره بكل اسف.. ومثله لن يضام مهما جرت عليه عوادى الزمان ولابد أن يحصل يوما على نصيبه العادل من الحياة. اسف لقد سرحت بعيدا لكن رسالتك اهاجت مشاعري.. واثارت لدى كل هذه التأملات وانني سعيد بها حقا.. وسعيد بأن رسالتك ستفتح ابواب الامل امام كثير من المعذبين.

وستقول لامثالكما بالدليل: ان فرج الله قريب وستقول ايضا: اسألوا الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج ولقد سألت الله يا صديقى فأعطاك فضله.. وانتظرت الفرج فأتاك فأهنأ بما انعم .من فضله فإن من الله عليك.. ولا تنس حق الحياة وحق هؤلاء البشر عليك.. فاخدم الناس بكل ماتستطيع.. واخدم البشر بها يستحقونه منك من الوفاء والاخلاص وخفف عن الاخرين ولو بالكلمة الطيبة، وتذكر انك مدين للحياة ولنا بدين كبير فأدّ دينك بالعطاء والحب للاخرين وبخدمة البشر ومساعدة من يحتاجون الى عونك والسلام.

∞∞∞∞∞

الطريد

أقرأ بريدك كل أسبوع.. واتابع مآسيه وأفكر منذ زمن طويل في أن اكتب اليك لانفس عما في صدري ثم أؤجل قرارى حبنا بعد حين، حتى وجدت نفسي والدنيا قد إسودت في عيني فأمسكت القلم لاكتب لك هذه الرسالة:

أنا يا سيدي لم تسود الدنيا في عيني لأنني أنظر من شرفة «بيتى» ([2]) فأطل على قصر تقام به المهرجانات كل يوم ويغرق أصحابه في الترف والسفه، كما هو حال المهندس الشاب الذي كتب إليك بذلك. ولا اسودت الدنيا في وجهي لانني اعيش في «بيت» ([3]) أبي ومازلت أبحث عن شقة لاتزوج فيها كما هو حال المهندسة الشابه حديثه التخرج التي كتبت اليك. ولا انا سجين الأسوار الحزين لغدر ([4])خطيبتي بعد دخولي السجن، كما كتب اليك السجين الشاب الذي سيقضي مدة العقوبة طالت أم قصرت ثم يعود إلى «بيته»، ولاحظ يا صديقي اني اضع كلمة بيت دائما بين قوسين.

لان في هذه الكلمة البسيطة مشكلة حياتي التي سأرويها لك الآن. فانا شاب بكلية الطب بالسنة النهائية.. لم يبق على تخرجي سوى 3 شهور قد تحدث بعدها المعجزة وأصبح طبيبا يخفف آلام البشر.. وقد مات أبي وأنا طفل صغير فلم أعرفه ولا أكاد أذكر شيئا عنه وكنا وقتها نقيم في مدينة صغيرة قريبه من القاهرة، 4 أخوه منهم أشقاء وأخت واحدة، أنا أصغرهم، وكافحت الأسرة الصغيرة حتى تعلم الأبناء وتزوجوا جميعا ما عداى بالطبع وعملوا وأقاموا في القاهرة، وبقيت أنا مع أمي في مدينتي الصغيرة حتى حصلت على الثانوية العامة بمجموع كبير والتحقت باحدى كليات الطب بالقاهرة.. واجتمعت الأسرة لتقرر مصيرى فاستقر الرأي على أن نعيش وأمي مع شقيقي الأوسط في شقته الصغيرة مع زوجته وولديه، أنا وأمي في غرفة وشقيقي وزوجته في الغرفة الأخرى، ومضت الحياة طبيعية، يرعانى شقيقي الأوسط بدخله البسيط إكراما لامي وأنا أبذل قصارى جهدي في الدراسة وأنجح كل عام والحياة تبدو واعدة بالمستقبل الطيب وبالخير. ثم فجأة ماتت أمي وأنا في السنة الثالثة بكلية الطب، فاهتز كياني كله وبكيتها طويلا، ولم أكن أتصور أني فقدت بفقدها كل شيء.. النصير... والأمان.. والكرامة.. وكل شيء. فبعد وفاتها باسابيع قليلة بدأت معاملة زوجة أخي لي تتغير وبدأ الجميع يضيقون بوجودى بينهم، وراحت زوجة شقيقى تدس لى عند شقيقى وعائلي الوحيد وأبي الذي لا أعرف غيره..

وصمد أخي في البداية قليلا ثم ضعف بعد فترة قصيرة وانساق لزوجته وكثرت المشاكل، وأنا صابر أبذل المستحيل لارضاء اخى وزوجته وولديهما. إلى أن كان يوم وكنت جالسا على مكتبي أذاكر دروسى، وأجتث همومي فأجد صورة أمي تطفو فوق صفحة الكتاب الذي أقرأه.. وأتذكر حنانها وعطفها علىّ.. وتدمع عيناي فأفيق من سرحاني وأعود لنفسي ثم فجأة فُتح الباب فجأة بعنف ودخل أخي ووراءه زوجته، والغضب واضح في عينيه ثم صاح فيّ ماذا تفعل هنا؟.. واندفع بلا مقدمات

يلقي بكتبي على الأرض وبملابسي وزوجته تساعده وفرحة الشماتة القاسية في عينيها وأنا اقف مذهولا كتابي في يدي ولساني عاجز عن النطق ثم نطقت أخيرا بأقصي جهد.. وكانت العبارة الوحيدة التي استطعت أن أنطق بها.. هي « حاضر يا اخويا.. حاضر يا اخويا»،.. فقد فهمت أخيرا بعد صدمة المفاجأة ماذا يريد.. فهمت يا صديقي أنه يطردني من رحمته ومن رعايته.. ومن مأواي الوحيد لسبب لا أعرفه، وانحنيت متعجلا أجمع كتبى وادوات وقواميسي وملابسي القليلة من الأرض وأضعها في حقيبة صغيرة. ثم استأذنته في ان اخلع البيجامة وارتدي القميص والبنطلون والحذاء فأشار بيده آن: افعل، ففعلت تحت بصره، ثم حملت كتبى وملابسي وغادرت الشقة بخطوات سريعة متعثرة.. وحاولت أن أبحث بعيني وأنا في طريقي للخروج عن وجهى ابنى أخي اللذين احبيتهما من قلبي لاودعهما.. فوجدت باب الغرفة مغلقا عليهما، فأخذت طريقي الى باب الخروج صامتا.. نزلت إلى الشارع أحمل صفا عاليا من الكتب وحقيبة صغيرة بها بعض الحاجيات ومشيت بلا هدف، وفي جيبي 75 قرشا هي كل ما أملكه من الدنيا.. ومشيت حتى كلت قدماى من المشي.. وكلما تعبت وضعت حملى على الرصيف وجلست بجواره التقط أنفاسي.. ودموعي تتساقط بلا إرادة. ثم وجدت قدماى تقوداني إلى بيت شقيقتي المتزوجة وقد اقترب الليل من منتصفه وضغطت الجرس ففتحت شقيقتي الباب ووجدتني امامها حاملا كتبى ففهمت كل شيء. وفي اليوم التالي جاء شقيقي الأكبر وقرر مع شقيقتي أن أقيم لديها على أن ينفق هو علىّ لاستحالة إقامتي لديه لسبب بسيط هو أن زوجته هي شقيقة زوجة أخي الأوسط.. وقرر مقاطعة أخي الأوسط لطرده لي بلا سبب، وبدأت اقامتي في بيت اختي منذ ذلك اليوم وعادت الحياة تمضي طبيعية رغم الجراح... لكن المشكلة يا صديقي هي أن «ابن ادم» ثقيل حيث حلّ وفي أي مكان لايملكه، وأنا لا بيت لى ولا أب ولا أم ولا دخل، وشقيقتي مثقلة باعباء ستة ابناء وزوج هم عليها حقوق.. والعواطف الحارة تبرد بعد حين تحت وطأة الحياة وضيق المكان فبدأت معاملة الأبناء والزوج تتغير.. وبدأ الإحساس بمزاحمتى لهم ثم بالقرف منى والضيق بي وبوجودى، وكنت قد تعلمت الدرس من التجربة الأليمة التي مررت بها.. فحاولت أن أوزع، ثقلى، بين بيت شقيقتي وبيت شقيقي.. فكنت كلما أحسست أن الإناء قد فاض بما فيه في بيت شقيقتي.. حملت كتبى وذهبت إلى بيت شقيقي الأكبر حيث أقابل بالوجوم عند رؤيتي وبالإستقبال الفاتر، والضيق الكتوم، فاتحمل كل ذلك صابرا لمدة لا تزيد على 3 ليال، على أمل أن تكون هذه المدة بمثابة أجازة يتنفس خلالها زوج شقيقتي وأبناؤه الستة الصعداء لغيابي عنهم.. ثم أجد أنه لا مفر من العودة اليهم قبل أن أطرد من بيت شقيقي فأحمل كتبى مرة أخرى وأعود فأحس أن عودتي قد نزلت عليهم كنزول القضاء المستعجل.. وأنا ادرك ذلك.. ولكن ماذا افعل.

هل جربت يا صديقي مرة أن تدخل بيت شقيقك متحرجا.. مكسوفا.. خجلا مبتسما فتُقابل بنظرات الضيق بدلا من نظرات الترحيب وبالسلام الفاتر بدلا من التحية الحارة ثم تحس بأن الجميع يتمنون من أعماقهم لو لم تجيء؟ ثم بعد أيام تذهب إلى بيت شقيقتك فيكون نفس الاستقبال ونفس الإحساس؟

إني أواجه هذه المحنة منذ عام وإلى الآن ولاأملك الا الصبر عليها.. فانا بلا بيت ولا أهل.. ولا أحد يهتم بأمرى أو يسأل عني.. إنها محنة يا صديقى ألا تملك من امرك شيئا فلا تستطيع ان تتحرك في المكان الذي تعيش فيه ولا تستطيع أن تنام أو تصحو أو تذاكر أو تأكل أو تشرب الا بارادة غيرك..

إنني أكتب إليك هذه الرسالة تنفيسا عني ولأدعوك أن تشاركني فيها كما تشارك الاخرين ولكي لا تذوب حزنا وأسي عندما تعيش مشاكل الأخرين التي تصلك فترد عليها مشكورا ليس لأن مشاكل الأخرين أقل اهمية وانما لأنني أتصور أنه لا يوجد انسان غيرى لا مأوى ولا احد له غيري، كذلك أكتبها لك ليرى المهندس الشاب صاحب الشرفة والمهندسة الشابة حديثة التخرج والسجين الشاب المجروح أن كلا منهم رغم كل شيء له بيت يعود إليه لعل ذلك يدفعهم للصبر على ما يشكون منه ولكي يرضوا بحياتهم فهى أقل عناء من حياتي..

∞∞∞∞∞

هذه هي الرسالة التي تلقيتها في بريدى **ولكاتبها أقول** ومن الذي قال ما ينشر في بريد الجمعة هو أكثر المشاكل إيلاما ومأساوية في الحياة؟ إن الحياة مليئة بالمآسي لكن كل انسان يتصور أن مشكلته المأساة الوحيدة في الحياة وهو معذور في هذا الظن لأنه يعيش آلامه هو لا آلام الآخرين ومن حقه أن يشكو مما يعانيه بل وأن يصرخ أما أيضا فالألم المكتوم أكثر قوة من آلام المسموع ومن فوائد أبواب البريد في الصحف أنها تتيح فرصة الاطلاع على الآم الأخرين وعذاباتهم فنكتشف أحيانا أن ما نعانيه هو من تفاهات الحياة بالقياس الى الآمها ومشاكلها الأخرى، وفي حالتك هذه أنت تتصور انك الوحيد في العالم الذي لا بيت له ولا احد يهتم به ويرعاه وهذا غير صحيح فكثيرون هم لا بيوت لهم ولا أهل ولا أحد يرعاهم وينفق عليهم كما يفعل شقيقك وأنا لا اقلل من شأن مشكلتك.. فقد المتنى أكثر مما تتخيل خاصة مشهد الطرد البشع من بيت أخيك القاسي المجرد من المشاعر الإنسانية، لكني فقط أدعوك لأن تضعها في حجمها الطبيعي وسط جبال المآسي التي تطل علينا من الجانبين، وأدعوك لأن تنظر إلى الأمام بوجه مبتسم بالرغم من كل شيء لكي تنهي رحلة كفاحك وعذابك التي أوشكت على النهاية قريبا باذن الله، وأدعوك ايضا لئلا تحمل إحساسًا بالمرارة في نفسك تجاه شقيقك الاكبر او شقيقتك او زوجها و أبنائها وأطالبك بان تقدر ظروفهم وتحس بها.. ان شقيقتك مغلوبة على أمرها وحائرة بين واجباتها ومشاعرها الأخوية تجاهك وبين واجباتها ومشاعرها العائلية تجاه زوجها وابنائها، وشقيقك في نفس الموقف الصعب، وبنى آدم، ثقيل كما تقول انت وهما معذوران وأنت معذور وكلنا معذورون في هذا الزمن الصعب الذي لا يتحمل فيه احد احدا ولا تسمح فيه علب السردين التي يسمونها مساكن بالقيام بالواجبات العائلية تجاه الآخرين..

إن رحلتك يا صديقي قد أوشكت على النهاية بنجاح إن شاء الله وسوف تتخرج طبيبا تقيم في المستشفيات خلال عام الامتياز بعد شهور. وزوال العبء المالي الذي تمثله حاليا للآخرين سوف يغير بعض ملامح الصورة الحزينة وبريد الأهرام من جانبه يسعده أن يتحمل مسئوليتك (5) خلال الشهور الباقية مع كل الاحترام الواجب

لمشاعرك وظروفك الخاصة مساهمة في إقناعك بأنك لست وحدك في الدنيا فأنت لست فعلا وحدك يا صديقى، بل إن حالك أفضل كثيرا ممن لا شقيق لهم ولا شقيقة ومن يلاطمون الحياة وتلاطمهم وهم وحيدون تماما بلا عائل ولا نصير ولا مأوى فاستجب أنت أيضا إلى ما تدعو اليه المهندس الشاب والمهندسة الشابة وسجين الأسوار وارض بحياتك وابتسم للمستقبل الذي سيكون أفضل من الماضي بكل تأكيد، ولا تتوقف عن حب الاخرين وأولهم شقيقك وشقيقتك فمن لا يحب الناس لن يحبه أحد وليس من حقه أن يأسي على حب الناس له، والدنيا أخذ وعطاء وليست أخذا فقط ولا عطاء من جانب واحد فقط فاعط الناس حبا تجنه حبًا ولا تتصور أن من واجب الناس تجاهك أن يحبوك وأن يرعوك بغير أن تكلف نفسك عناء محبتهم. فهكذا الحياة يا صديقي أخذ وعطاء، سعادة وعناء.. راحة وشقاء أيام سعيدة وايام تعيسة الى مالا نهاية ولو لم تكن كذلك لما كانت حياة ولكانت الجنة التي بها توعدون.

∞∞∞∞∞

وسط الزحام

انا يا سيدي طبيب أعالج الناس.. لكني لا أستطيع علاج نفسي.. وآمل ان اجد لديك أملا في الشفاء فأنا شاب عمري 29 سنة أمتلك عيادة خاصة بالقاهرة تدرّ عليّ دخلا كبيرا وأمتلك سيارة.. وفي طريقي إلى الحصول على شقة لائقة وقد حققت كل ذلك عقب تخرج من كلية الطب وخلال 3 سنوات وقد تتعجب كيف حققته خلال هذه الفترة لكني أقسم لك بالله أنه لم يدخل جيبى قرش واحد إلا من حلال، لكنه من توفيق ربي ورضاه، وتمسكى بتعاليم دينى فلقد فتح لي أبوابا من الرزق لا يعلمها الا الله.. وقد محا ذلك بعض الشيء ما أنطوى عليه أنا من ذكريات أليمة وخفف قليلا من طابع حياتي الحزين منذ طفولتي..

فلقد نشأت وحيدا يتيما.. لم أر ابي لكني سمعت عنه من أمي وتفتحت عيناي للحياة فوجدت نفسي وحيد أمي.. تحنو عليّ وتكافح لتعليمي من قطعة أرض صغيرة ورثتها عن أبويها.. فعشت طفولة بائسة نقتات خلالها بالفتات.. وبأقل شيء يحفظ على الإنسان حياته.. لا أعرف الطعام الساخن إلا في الأعياد، وأخلع جلبابي الوحيد لأتدثر به بدلا من الغطاء في ليالى الشتاء.. ونحيا في غرفة ضيقة في بيت بإحدى قرى الريف يعلم الله كم عانينا فيها من البؤس والحاجة والشدة.

وقد كان ذلك وأمي معي ترعاني وتحنو على وتشد من أزرى، فما بالك وقد رحلت عني فجأة وأنا في سن الخامسة عشرة؟ انني لا أريد أن استطرد في الذكريات الأيمة لكني مضطر لأن اروى بعض لمحات من حياتي تمهد لك معرفة مشكلتي، فلقد وجدت نفسي وحيدا ولا مفر من مواصلة الحياة فواصلت الكفاح وحدي.. لا سلاح معي سوى دعاء امي ورضا الله عز وجل، ثم روح عالية وهبنى الله اياها ونفس عفيفة ثم ذكاء من فضل الله ساعدني لأن أتفوق في دراستي فكنت الأول دائما في كل مراحل الدراسة من الابتدائية حتى الجامعة. ولا تتصور عُمق حزني حين إستدعيت ذات يوم لأقابل محافظ الإقليم مع أوائل المحافظة ليصافحنى ويقدم لى شهادة التفوق، فقد جاء الأوائل في أبهى زينتهم ومعهم الآباء والأمهات والأشقاء والشقيقات والأعمام والأخوال.. وكل فتي منهم يتوسط دائرة من الأهل والأحباب السعداء.. أما أنا فقد كنت أجلس وحدي في إنتظار سماع اسمي ارتدي بدلة أقرضها إلى أحد ابناء قريتي من المتيسرين، أرقب سعادة الأخرين وأنا أذوب خجلا. فلا أخ ولا أخت.. ولا أب ولا أم. ولا عم ولا خال.. بل وحدى. تماما كشجرة نبتت خطأ في صحراء قاحلة لا شيء حولها سوى الرمال. وجاءت اللحظة المنتظرة.. وتقدمت لمصافحة المحافظ وتسلم شهادتي.. وعُدت متعثرا في خجلى.. ولم يخفف من أساي أني كنت الأول على كل هؤلاء الذين اصطحبوا «قبائلهم» معهم.

وواصلت الحياة وأنهيت دراستي الثانوية، ودخلت كلية الطب، وفكرت في أمري فوجدت أن الحل الوحيد لمواجهة أعباء التعليم والإقامة في القاهرة هو أن أبيع قطعة الأرض الصغيرة التي ورثتها عن أمي وأن أضع ثمنها في صندوق البريد وأن اسحب منه كل شهر أقل مبلغ ممكن يكفي لنفقات الحياة.. بشرطين مهمين: الأول هو ان اسكن في المدينة الجامعية، لأنه لا طاقة لي بنفقات الحياة خارجها.. والثاني هو

ألا أتعثر في دراستى، وأن احصل على البكالوريوس بعد 6 سنوات بالضبط هي مرحلة الدراسة، وساعدني اهل القرية الطيبون في بيع قطعة الأرض بأعلى سعر ممكن وقتها، بل وبما يزيد عن قيمة الأرض نفسها من باب المساعدة والرحمة في الواقع، ورحلت إلى القاهرة مودعا بنصائح أهل بلدتي ودعواتهم لي بالتوفيق، لكني للاسف لم أقبل في المدينة الجامعية لمدة عامين في البداية.. ولو علموا بحقيقة حالى لأعطوني كل المدن الجامعية في مصر لأسكن فيها.. فواجهت مصيرى وأقمت لدى احد بلدياتى، الذي قبِل ذلك رأفة بي، لكن تكاليف الحياة خارج المدينة لم تكن في حسابي فنزلت للعمل الى جانب الدراسة.. وعملت في كل عمل يمكن أن تتخيله بشرط أن يكون شريفا لأكسب قوتى واوفر لنفسي تكاليف الدراسة في كلية الطب وانت تعرف كم تتكلف.. لم أترك عملا لم أضع يدي فيه.. ولم أضيع لحظة واحدة في حياتي ليست للعمل أو الدراسة والمذاكرة.. ووفقني الله سبحانه وتعالى في دراستي. وكان التفوق في دراسة الطب حليفي.. فواصلت الدراسة حتى تخرجت.. وعملت وحققت نجاحا يعتبره البعض من زملائي معجزة.. فافتتحت عيادة واشتريت سيارة ودفعت ثمن شقة وعملت في عدة مستشفيات وراجت عيادتى حتى أصبح مرضاى بالعشرات كل يوم، وأخلصت لمهنتي فأعطتني بسخاء، ووجدت نفسي قد حققت آمالي وآن الأوان لكي ألتقط أنفاسي من الكفاح المُرّ الذي واصلته لمدة عشرين سنة، فقررت أن أتزوج وهنا ظهرت مشكلة حياتى.

فلقد أعجبت بفتاة هداني الله إليها لتكتمل بها سعادتي وتقدمت لخطبتها فرحب بي أهلها في البداية ثم بعد أن دخلنا في التفاصيل وجدت نفسي أواجه موقفا مؤلما لاحيلة لي فيه، فبعد المقدمات الأولى قيل لي.. تعال ومعك أهلك لنتعرف عليهم.. فقلت ببساطة: لا أهل لي. فلم يفهموا في البداية، فقلت مرة أخرى ببساطة اني ابن وحيد لأبوين وحيدين، فليس لي إخوة ولا خالات ولا أخوال ولا أعمام ولا عات. وشرحت لهم ظروف، فلم يصدقني أحد وأجمعوا على أنني أتلاعب ولست صريحا رغم أنني اقسم لهم على صدق ما اقول، بلا فائدة،..

وسألت نفسى ما ذنبى يا رب في أني ابن وحيد لأبوين وحيدين شاء حظهما العاثر أن ينجباني وحدي لليتم والوحدة و المعرة، بين الناس بانعدام الاهل؟ ومن أين آتى باخوة أو اعمام أو أخوال او أبناء خالات وأخوال وأعمام وعمات لأقدمهم لأسرة خطيبتي؟ وكيف أجيب على تساؤلات أهل الفتاة المستنكرة.. و أليس لك حتى زوجة خال تأتي معك عند الخطوبة؟

وكيف تكون لى زوجة خال او زوجة عم ولم يكن لي عم ولا خال؟.

بإختصار.. ووجهت بالرفض.. ونزفت من مشاعري وكرامتى دما، وانصرفت عن فكرة الزواج لفترة إلى أن تهدأ نفسي، ومرت فترة طويلة نسيت خلالها بعض الآلام، ثم تكررت المحنة بكل أسف. شقيقة صديق لى رحب أهله بي في البداية وعند التفاصيل رفضوني لنفس السبب وكان صديقى نفسه هو أول الرافضين! وحجتهم الوحيدة هي: ماذا نقول للناس؟

ولم يصدقوا هم ايضا قصتي التي لا يصدقها ولا يعرفها سوى أهل بلدى وبعض المقربين مني!

وانهزمت نهائيا بعد ذلك ومرضت نفسيا.. وكرهت الحياة وبالرغم من أنني قد تغلبت على صعاب كثيرة في حياتي.. فلقد انهزمت أمام هذه المشكلة وتأذيت نفسيا كثيرا.. ومللت كل شيء حتى بدأت انصرف عن عيادتي فأتيها يوما وأغيب عنها يوما، وأقضي أوقاتا طويلة اقود فيها سيارتي وسط الزحام شاردا ساهما لا أعي مما حولي شيئا..

لقد تعمدت الا اكتب لك اسمي وعنواني لاني لست باحثا عن فتاة تقبلني بوضعي الذي أنا عليه لاني تعقدت جدا من هذا الموضوع، لكني اكتب اليك لأجد لديك بعض الراحة ولأسألك: أليست هذه هي ارادة الله التي شاءت إلى أن اكون هكذا بلا اهل؟ وهل أنا مسئول عن أني وحيد وأني وحيد أبوي.. ولماذا لا يقدر الناس ظروف الاخرين ويتجنبون إيذاءهم فيما لا ذنب لهم فيه ولا ارداة؟ اني لا أريد منك حلا للمشكلة لاني لم اعد راغبا في حلها لكني اريد منك كلمة رثاء لي قد تخفف عني بعض الامي.. ولي الله وحده في كل ما لقيته وما ألاقيه في حياتي من عناء.

∞∞∞∞∞

ولكاتب هذه الرسالة المؤلمة اقول: لا يا صديقي لن تجد عندى «كلمة الرثاء» التي تنتظرها.. واننا ستجد لدى كلمة بل كلمات إعجاب وانبهار بك وحب لك. فأنت تستحق الاعجاب لا الرثاء لصلابتك وكفاحك الأسطوري لكي تبني حياتك وحيدا تماما من الأهل والأقارب ومجردا من كل سلاح سوى إرادتك الحديدية منذ كنت فتى في سن الخامسة عشرة، مثلك يفخر به العقلاء ولا يرثون لهم.. لكن اعجابي بك يخالطه لوم لك وعتاب عليك.. إذ كيف ينهزم شاب ممتاز بكل معنى الكلمة له مثل إرادتك وصلابتك وتفوقك وذكائك، أمام موقف سخيف من أمثال هذه السخافات التي تزخر الحياة بها؟ وكيف تضيع منك نفسك.. وانت الفتى الذي واجه الحياة بكل مرارتها وصعوباتها وحيدا وهو ابن الخامسة عشرة؟.

لقد واجهت من شدائد الحياة ما يبدو الى جواره هذا الموقف السخيف هراءً وعبثا، فلم لم تنظر اليه من عل.. وتتفهم حجمه، وتواصل حياتك إلى أن تجد من تستحقك ومن يفخر بك اهلها كشاب مستقيم ناجح ومتفوق وابواب الحياة مفتوحة امامه على مصرعيها إنك رغم هذا النجاح مازلت في البداية ومثل هذه الارادة الصلبة لن تتوقف إنجازاتها عند حد افتتاح عيادة وامتلاك سيارة.. وإنا سوف تحقق الكثير يا صديقي والكثير، فكيف تنهار أمام هذه العقبة المؤلمة؟.

اني اعرف تماما انه لا جريرة لك فيما حدث ومن المؤلم فعلا أن يُحاسب الانسان عما لا حيلة له فيه ولا إرادة، ونحن لا نختار لأنفسنا أبوينا وأشقاءنا وأهلنا.. لكننا قد نختار لأبنائنا أمهاتهم واخوالهم.. وهذه فقط هي مسئوليتنا تجاههم، اما ما غير ذلك فهو على حد تعبير أبي العلاء المري «هذا جناه أبي علىّ وما جنيت على احد». وأنت لم تجن على أحد يا صديقي.. ولم تحقق إلا كل خير وكل نجاح فلا تحمِّل نفسك مالا طاقة لها به.. والوحدة الحقيقية هي وحدة النفس الداخلية لا انعدام الأهل

والأقارب فما أكثر ما نشعر أحيانا بالوحدة ونحن وسط زحام الاخرين وصخبهم وضجيجهم، والوحدة الحقيقية هي ان تكون عاجزا عن حب الاخرين والا تكون قادرا على اجتذاب حبهم لك، وأنا شخصيا كثيرا ما تصلني رسائل من فتيات وشباب يشكون إلى من إحساسهم بالوحدة في بيوت مزدحة بالآباء والامهات والشقيقات والاشقاء، حيث ينطوي كل انسان على نفسه وآماله والامه بلا مشاركة حقيقية من الآخرين ولا مشاركة لهم.

فالناس يا صديقي قد يتجاورون لكنهم أيضا قد لا يتشاركون.. وقد لا يخفف عنهم جوارُهم شعورهم بالوحدة وفقدان الرفيق وإنعدام الأهل بمعنى الكلمة الحقيقي.. فلست وحدك في همومك.. لكنك قد تتميز عن كثيرين بما حبتك به العناية الإلهية من مزايا وإمكانيات أهمها الذكاء والإرادة فافتح قلبك للآخرين يا صديقي وتمسك بروابطك بأهل قريتك ولا تنفصل عنهم فهم اهلك الحقيقيون وعُد الى مرضاك وإعطهم الحب والرعاية والاهتمام.. وابنذر الحب والخير والعطاء لمن حولك ومن تتعامل معهم ومن يستنجدون بك تجد لك في كل بيت شقيقا.. وفي كل مجتمع أسرة وفي كل مكان أبا واما واهلا طيبين.

∞∞∞∞∞

صورة الزفاف

وجدت نفسي طفلا وحيدا لا أخ له ولا اخت.. يلعب في بيت واسع مزدحم بالاقارب.. لى ام ككل الأطفال.. ولى آب طيب يعطف علىّ. لهوت كما يلهو الأطفال وتعلمت في المدرسة كما يتعلمون ولم يستوقفنى كثيرا في طفولتي ان ابي يبدو بالنسبة لى اكبر مما ينبغي لطفل في السابعة او الثامنة.. أو انه ليس شابا كاباء اصدقائي في الشارع او المدرسة. وذات يوم كنت العب في غرفة نوم امى فعثرت بين اوراقها على صورة قديمة لها بفستان أبيض إلى جوارها رجل غريب.. تفرجت عليها بامعان ثم حملت الصورة الغربية الى احدى خالاتي وسألتها ببراءة: من هذا الرجل؟ فاجابت بعفوية انه ابوك. وكانما احست بانها اخطأت فصمتت ورفضت الإجابة على اسئلتي الكثيرة.. ابي؟ من يكون اذن هذا الرجل الذي اقول له « يا بابا، منذ ولدت؟ بعد الحاح مني وبعد فترة طويلة عرفت انه جدى لامى وعرفت ان ابي الحقيقي منفصل عن امي من قبل ولادتي وعرفت أنني ثمرة زواج لم يستمر اكثر من عدة شهور تحطمت سفينته بعدها على صخرة الانفصال.. وان كلا من الزوجين قد شق طريقه بعيدا عن الآخر ولن تصدقني اذا قلت لك انني لم أتوقف طويلا عند هذه المفاجأة القاسية، فلم أبك او أنهار وانا واصلت حياتي العادية.. لكني بين حين وآخر بدأت افتقد هذا الاب الغائب واتذكر ملامحه التي رأيتها للحظات في صورته فقد اُخفيت الصورة بعد ذلك ولم ارها مرة أخرى قبل سنوات طويلة. وفي سن السابعة عشرة بدأت احس بحنين غريب إلى هذا الاب شبه المجهول بالنسبة لى وضاعف من احتياجي اليه انه في هذه السن كان جدي الطيب قد رحل من عالمنا و كانت خالاتي واخوالى قد تزوجوا وتركوا بيت الأسرة ولم يعد فيه سواى وسوى امى. وبالرغم من ذلك فقد اجتزت هذه المرحلة الحرجة من العمر بالام كثيرة وخسائر قليلة. وأكملت دراستي وتعرفت على زوجتي خلال الدراسة واحببتها ثم تقدمت لاسرتها لكي اخطبها واكتشفت في هذه الفترة مرة أخرى اهمية ان يكون للانسان آب. فهو الذي يدبر لك امورك في هذه المناسبة الهامة في حياتك وهو الذي يشير عليك بما تفعل وما تقول وهو الذي يصحبك في لقاء التعارف الاول مع اسرة الخطيبة فتقدمه لصهرك بفخر قائلا ابى الاستاذ فلان. ثم تنسحب انت إلى الظل ويتكلم الكبار فيما بينهم عن المهر والشبكة والشقة وموعد الزواج. ولن تعرف يا صديقي هذه المرارة الا اذا جربتها بنفسك.. مرارة ان تجد نفسك وحيدا في هذه المناسبة كأنك مقطوع من شجرة.. لكن هذا حديث اخر. المهم اني تزوجت وانجبت من زوجتي وعشت حياة هادئة سعيدة والحمد لله لكني بدأت الاحظ على نفسي منذ ذلك الحين اهتمامي الشديد الذي لا استطيع أن أقاومه بتسقط اخبار ابي والبحث عنه.بدأت استجوب اقاربي عنه وارتب المعلومات الضئيلة واضع خططا للبحث عنه كما يفعل المخبرون الخصوصيون في الحلقات البوليسية الأجنبية..

عرفت انه كان مهندسا وانه عقب انفصاله عن أمي غادر مصر وعمل في أوروبا لعدة سنوات، وأنه تزوج من المانية وانجب منها ثلاثة ابناء، وعلمت انه عمل عدة سنوات في السودان وعدة سنوات في ليبيا..

ثم علمت أنه استقر بصورة نهائية منذ سنوات في استراليا. طرقت أبواب اقاربه المحدودين في مصر سائلا عنه فرفضوا مساعدتي باية معلومات عنه وكان موقفهم عدائيا بالرغم من اني لا اريد منه شيئا. وذات يوم سمعت انه في مصر حاليا ضمن فوج سياحي قادم من الخارج هو وزوجته وابناؤه الثلاثة و اخوتي، الذين لا اعرفهم ولا يعرفونني.. وعرفت ان الفوج يقيم في فندق «كوزمو بوليتان» بالقاهرة كان الخبر قد وصلني قرب منتصف الليل.. فلم انم الليل بطوله وفي السادسة صباحا ارتديت افخر ثيابى وجمعت من الصالون التحف الصغيرة الموجودة به وافخر زجاجة كولونيا لدى ولففتها جميعا في ورقة هدية زاهية اللون وكتبت عليها اهداءً مناسبا، ثم حملت الهدية واسرعت الى الفندق.. تقدمت إلى موظف الاستقبال وسألته عن الفوج فقال لي في هدوء لقد غادر الفوج الفندق في الثالثة صباحا ليلحق بطائرته التي تتحرك في السادسة والنصف.. نظرت الى ساعتي فوجدتها تقترب من السابعة وفوجئت بدمعة تسقط فوق زجاج الساعة.. لا اعرف كيف افلتت من عيني.. فحملت هديتي وانصرفت متعثرا خجلا من موظف الفندق. عدت بعد ذلك بيومين لاحاول الحصول على عنوانه باستراليا من سجلات الفندق فقالوا ان الافواج السياحية لا تسجل عناوين اعضائها في بلادهم الأصلية. فذهبت الى السفارة الاسترالية بالقاهرة وطلبت منهم مساعدتي في الاهتداء إلى عنوانه هناك فسمعوا قصتي في الم ثم قالوا لى لا نستطيع مساعدتك..

ستسألني بالطبع.. ولماذا هذا الالحاح في البحث عن ابي.. هل تحتاج اليه بعد هذه السنوات الطويلة؟ فاجيبك على الفور: انني لا احتاج اليه ماديا فأنا رجل في الثلاثين مسئول عن نفسه واسرته واعمل عملا ناجحا ولدى اسرتي الصغيرة ومسكني لكني فقط اريده ان يعرف انني ابنه.. وان له ابنا في الثلاثين طويلا وسيما ناجحا في عمله وفي حياته، فقد يسره أن يعرف ذلك، فاذا سره ذلك فلعله يسره ايضا ان اكتب اليه في المناسبات بطاقة بريد اهنئه فيها بالاعياد واتمنى له فيها الصحة والسعادة فاذا جاء الى مصر يوما فقد يسره أن تستقبله في المطار اسرة ابنه الصغيرة وان احمله بسيارتي إلى فندقه اذا لم يرغب في الاقامة في بيت ابنه.. ولا شيء اكثر من ذلك.. لقد اردت ذلك فقط.. فهل انا مخطىء فيما اريد وهل تستطيع أن تقدم لي أية مساعدة للاهتداء اليه في استراليا عن طريق بريد الاهرام؟ »...

∞∞∞∞∞

هذه الرسالة تلقيتها وقرأتها فتصورت نفسي اقرأ قصة رومانسية يغالب فيها البطل اقدارا اقوى منه ويبحث عن النجاة فيها في العثور على أب غائب يتنقل بين انحاء العالم ناسيا وراءه في ركن من الدنيا ابنا لا يعرفه. هل اخطأ من قال يوما أن الزمن هو اعظم المؤلفين؟ لا اظنه اخطأ في ذلك فما تنسجه الدنيا احيانا من قصص درامية يفوق كثيرا في غرابته ما ينسجه بعض المؤلفين.

تسألني يا صديقى هل اخطأت ببحثك عن ابيك بعد كل هذه السنوات فاجيبك على الفور: لا لم تخطيء فهذا حقك المشروع في أن تحاول الالتقاء بابيك والتعرف عليه، وإبلاغه، أن له ابنا مكتمل الرجولة وسيما ناجحا عطوفا يحمل مشاعر البنوة لأب لم يعرفه.. بل أن رغبتك في التواصل مع ابيك هي رغبة نبيلة في حد ذاتها من

ابن تجاه أب لم يتلق منه شيئا من الرعاية والحنان او المسئولية المادية.. واكثر نبلا منها هو انك لا تريد منه شيئا سوى ان تعطيه كفك ليتوكأ عليها في شيخوخته وذراعك ليستند اليها.. ولعلك أثرت أشجان الكثيرين برسالتك هذه ممن اعطوا كل شيء لابنائهم ثم بحثوا عنهم في شيخوختهم ليتوكأوا عليهم فلم يجدوهم.. او وجدوهم لاهين منصرفين عنهم الى حياتهم ومشغولياتهم. وهذه مفارقة اخرى من مفارقات الدنيا الغربية فانت تبحث عن آب لا تعرف له عنوانا.. وابناء كثيرون لا يبحثون عن اباء وامهات يعرفون جيدا عناوينهم وارقام تليفوناتهم.. المهم اني مع تقديري لمشاعرك لا اريد ان تكرس حياتك لهذا الهدف وحده، فلقد أرضيت ضميرك واديت واجبك تجاه ابيك فان نجحت في الاتصال به فهو شيء جميل وان فشلت الجهود فعش كما عشت من قبل وكما يعيش الكثيرون ممن حُرموا من آبائهم وأمهاتهم. وقدم لابنائك ما حُرمت منه انت واحرص على حياتك لكي لا تعرضهم لما تعرضت له انت وهذا هو درس التجربة المفيد، اما مساعدتي لك فالحق أني لست كبير الامل في امكان مساعدتك لكن هناك املا واهيا هو ان يقرأ قصتك هذه احد قراء الاهرام المقيمين في استراليا فيكتب إليّ طالبا اسم ابيك.. فاذا حدث ذلك فان الامل يصبح كبيرا لان المصريين في استراليا منظمون في جمعيات ولهم اماكن تجمعات معروفة يسهل الاهتداء اليهم عن طريقها فعسى ان يتحقق هذا الامل الواهى.. ويجمع الشمل مع تمنياتي لك بالسعادة في كلتا الحالتين.

∞∞∞∞∞∞

حدّ السيف

بعد تردد استمر ثلاثة أشهر قررت أن أكتب إليك لأسألك عن رأيك في مشكلتي. انا يا سيدي شاب في الثانية والعشرين من اسرة ثرية تمتلك فيلا في القاهرة وأخرى في الاسكندرية ولدينا سيارات وشغالات وخلافه..

كنا نقضي الصيف في الاسكندرية منذ 7 سنوات عندما ركبت مع شقيقي سيارته لنسافر إلى القاهرة لأعرف نتيجة امتحاني في الشهادة الاعدادية وفي الطريق انقلبت السيارة المسرعة بنا عدة مرات وأصبنا اصابات مختلفة، فأصيب شقيقي برضوض خفيفة. واصبت أنا لسوء حظي في العمود الفقري.. ولا أريد أن أطيل في التفاصيل المؤلمة.. وسأعبرها لأقول لك انى منذ ذلك اليوم وانا حبيس المقعد المتحرك.. ولن أصف لك الصدمة التي اصبت بها وأنا أجد نفسى جسما عاجزا عن الحركة.. وهذه هي إرادة الله ولا راد لقضائه وعلى أية حال فلقد كنت أحسن حالا من غيري ممن اختار لهم القدر هذا المصير، فلقد جهز لي ابي الفيلا بمصاعد تحملني إلى ادوارها وخصص لى سيارة وسائقا للذهاب الى المدرسة كل يوم وسارت حياتي الى إن التحقت بالجامعة وكانت فترة اكثر كآبة في بدايتها إذ كان على السائق بمساعدة أحد السعاه أن يحملني كل يوم أمام زملائي في الجامعة ووسط نظرات الشفقة من كل جانب، وكان على أن أتفادى نظرات الآخرين وان اخفض رأس لكي لا أرى أحدة وأنا محمول بهذه الطريقة لكي أتناسى وجود الاخرين، ومضت ايامي الأولى في الجامعة على هذا النحو إلى أن برزت وسط هذه النظرات المشفقة عينان أحسست لاول وهلة رايتهما فيها انهما لا تحملان على الشفقة وانما كان شيئا آخر لا أعرفه على وجه التحديد، وشدتني هاتان العينان إلى صاحبتهما ووجدت نفسي لأول مرة على استعداد لان اتقبل صداقة جديدة منذ تغير مجرى حياتي واعجبني فيها انها لم تشعرني انها تعرفنى اشفاقا علىّ وانما ارتياحا إلى فارتحت اليها انا ايضا وازداد ارتباط كل منا بالآخر.. وحدث بعد ذلك أن تغيبت فترة عن الكلية ففوجئت بها تزورني في البيت مصطحبة شقيقها الأصغر وحاملة معها كراسات المحاضرات التي فاتتني.. وقد حاولت أن أقاوم مشاعري تجاهها ولكن الوقت كان قد فات. ومع نهاية العام الدراسي كنا قد تأكدنا اننا قد ارتبطنا برباط لا ينفصم، لكني مع ذلك وقفت مع نفسي لأراجعها.. وقررت في النهاية أن أصارحها بحقيقة حالى ومن خلال دموعى قلت لها كل شيء..

قلت لها إنى جسد بلا روح وانني عاجز عن الزواج، وامتنعت عن مقابلتها، وعن الذهاب إلى الكلية.. وعشت اياما سوداء. لا أذوق النوم.. ولا الراحة ولا أغادر البيت وكلما لاحت صورتها في مخيلتي ابعدتها بعنف لكى لا أضعف، ويبدو أن المعاناة النفسية التي عانيتها كانت شديدة لأني رحت في غيبوبة افقت منها فوجدت نفسي طريح الفراش في المستشفى، ووجدتها بجوار سريري ومعها أمي ووجدتها تؤكد على انها تحبني وانها ترغب بصدق في أن تتزوجني وتقسم لي انني إذا لم اتزوجها فلن تتزوج غيري، وبكت وبكيت معها وبكت امي، وبدأت افكر في الارتباط بها، لكن اخوتي عارضوا فكرة زواجي منها.. وقال لي اخي الاكبر انها لا

تريد من ورائي سوى المال وانها بعد ان تحصل على ما تريد سوف تتركنى وتخلف لى الحسرة والندم، وسأل عنها زوج شقيقتي وجاء يقول لى أن حالتها المالية حسنة وأنها ابنة احد المديرين، فعاد أخي الأكبر يقول لي انها ربما ترغب في الزواج منى لتخفي آثار خطأ ارتكبته.. فتأزمت نفسيا وامتنعت عن مقابلتها ثم قابلتها من جديد وصارحتها بشكوك أخي فيها فبكت وقالت لي من بين دموعها أنها على أتم استعداد للخضوع لأي فحص طبي يؤكد زيف هذه الفكرة..

إحترت يا سيدي واحتار دليلي.. فأنا أحبها وهي تحبني وتجمعنا رابطة روحية غريبة.. فكلانا يشعر بالآخر على بعد كيلومترات.. وكلانا يفكر في نفس الأشياء في نفس الوقت.. ونحب نفس الأشخاص.. ونكره نفس الأشخاص.. ونحب نفس الالوان ونكره نفس الألوان..

إنني أريد ان اسالك سؤالا يحيرني ويقض مضجعي هو هل يوجد على ظهر الأرض من يقبل أن يغرر بانسان عاجز من أجل المال؟ وهل الحب المجرد من أي رغبة موجود؟ وهل لمثلي الحق في الحب والزواج؟.

اننا لم نستقر على قرار حتى الآن.. وهي سوف تواجه كل أسرتها من أجلى وستقف أمام معارضتهم لزواجها مني وأنا سوف اواجه معارضة اخوتي أجلها.. وأريد أن تساعدني بالرأي في اتخاذ قرارى، فأسرع لانني يجب أن أحدد موقفى قبل بداية العام الدراسي وهو آخر اعوامي في الجامعة..

اني حائر يا سيدى.. فانقذني.

∞∞∞∞∞

ولكاتب هذه الرسالة اقول: وأنا اكثر حيرة منك يا صديقي.. وأصارحك اني لا أستطيع أن أجزم برأي قاطع في مشكلتك إلا لو حكمت المنطق القاسى البارد كحد السيف وحده واعترف لك انني لا اريد من البداية أن أحكم المنطق وحده في قصتك متناسيا كل الاعتبارات الاخرى فمن قال ان الحياة يحكمها المنطق وحده؟!

ألسنا نرى في الحياة زيجات توافرت لها كل مقاييس النجاح حسب القواعد المنطقية الدقيقة ومع ذلك فشلت وتجرع أصحابها كأس التعاسة حتى الثمالة؟

ألسنا نرى في الحياة زيجات حكم عليها اصحاب العقول منذ البداية بالفشل لأنها ضد كل منطق وضد كل المقاييس ومع ذلك فلقد نجحت وأثمرت وأزهرت زهور السعادة الفواحة؟

ماذا نقول في ذلك؟ وماذا يمكن أن يقول المنطق البارد عنها؟ إن السعادة يا صديقي هبة من عند الله يؤتيها من يشاء فلم لا تكون السعادة تعويضا لك عما امتحنتك به الحياة؟ لقد ذكرتنى رسالتك بقصة أمريكية قديمة قرأتها منذ زمن طويل، كانت الأسرة فيها مشغولة، بالاستعداد لزفاف ابنتها وجاء شقيقها الأكبر من مدينته البعيدة مع زوجته الجميلة التي تزوجها منذ شهور فقط بعد حب عنيف ولاحظ الأب أن ابنه مهموم بشيء لا يعرفه.. وعرف أنه على خلاف مع زوجته ويرغب في طلاقها،

ولم يجد في غمار الاستعداد للزفاف فرصة لمناقشته الا خلال حفل الزواج الراقص، فانتحى به جانبا ثم سأله لماذا تريد أن تطلق زوجتك؟ فأجاب الابن: لانني لست سعيدا يا ابي، فنظر اليه الاب نظرة طويلة حانقة ثم قال له بحنق: ومن هو السعيد يا ولدي؟ هل كل هؤلاء الأزواج الذين يراقصون زوجاتهم حولنا سعداء؟ هل كل هؤلاء الزوجات سعيدات؟ هل ترى هذين الزوجين انهما منفصلان منذ 3 أعوام لكنهما يرعيان اطفالهما ويلبيان الدعوات الاجتماعية معا.. وهل ترى هذين الزوجين إنهما لا يخاطب احدهما الآخر منذ 4 سنوات الا امام الآخرين في الحفلات العامة والدعوات؟ وهل ترى.. ولماذا نذهب بعيدا انني متزوج امك منذ 20 عاما فهل يعني ذلك بالضرورة انني سعيد؟ إن هناك اشياء عديدة تربطنا معا.. ونتشارك فيها اما السعادة الحقيقية فهذا شيء اخر.. ولو طلق كل زوج زوجته لانه لا يشعر معها بالسعادة كما يتصور لخلت بيوت عديدة من سكانها.. فاعقل يا بني ولا تهدم بيتك بيدك؟ ولا اعرف بالتحديد لماذا ذكرتنى رسالتك بهذه القصة.. هل لأنها تقول إن السعادة مطلب عزيز المنال - وان الانسان لا يستطيع أن يحكم على المظهر الخارجي للآخرين؟ ام لأنها تقول إن هناك أشياء صغيرة عديدة يمكن أن تجمع بين الناس ولو خلت حياتهم من السعادة لا اعرف على وجه التحديد، لكني أقول لك يا صديقي إن كل شيء محتمل.. وإن السعادة ليست مقصورة على الأصحاء ولا على الزيجات التي تتوافر فيها المقاييس المنطقية الدقيقة، فاستفت قلبك وحده ولتستفت قلبها فإن أفتاك بصدق حاجتك اليها وصدق حاجتها إليك وارتبطتها معا فلربما غيرتما المألوف وعشتما حياة سعيدة..

أما إن فشلت التجربة بعد حين واكتشفت هي انها لا تستطيع ان تواصل الرحلة معك الى النهاية فلقد فزت من العمر بزمن من السعادة لا يقدر بكنوز الدنيا وخرجت من التجربة بأقل قدر من الخسائر وكذلك هي، و، ولا يحكم على القلوب إلا خالقها. إنني اعرف ان رأيي هذا لن يرضى اصحاب المنطق العقلانى المجرد لكن لا استطيع ان اطالبك بان ترفض اى شعاع للامل يتسلل الى حياتك ولو فعلت لما أعفيت نفسي من اللوم.

∞∞∞∞∞

الجريمة.. والعقاب!!

هذه رسالة من رسائل «الاعتراف» و التي أتلقاها من حين الى اخر وأؤثر الرد عليها في باب « ردود خاصة»، مهوّنا الأمر على صاحبها غالبا وداعيا إياه لأن يكف عن اجترار الألم وان ينظر إلى الأمام.. لكن هذه الرسالة تختلف تماما عن كل الرسائل التي تلقيتها من قبل من هذا النوع.. لذلك فلقد آثرت نشرها رغم بشاعتها لعلنا نجد فيها معا ما يضيف الى خبرتنا بالحياة شيئا جديدا حتى ولو كان مؤلما غاية الالم.. تقول كلمات الرسالة التي لم أتدخل كثيرا في صياغتها لكى احافظ على فظاعة صدقها الكريه..

اكتب اليك لعلي أجد السلوى والعزاء لى فيما اعانيه فانا يا سيدى انسانة أكره نفسي وقصتي بدأت منذ 8 سنوات حين تزوجت رجلا له ابنة وحيدة في العاشرة وكانت فتاة مسالمة طيبة القلب لكني كنت اكرهها بلا سبب ولا تسألني لماذا لأني أنا نفسي لم استطع أن أجد جوابا على هذا السؤال حين سألته لنفسي كثيرا الا إذا كان هذا السبب هو أني انسانة أنانية لم أقبل ولم أتخيل أن يشاركني في الرجل الذي أحبه احد أو شيء، حتى ولو كان هذا الشيء هو إبنته الوحيدة! لذلك كنت أعاملها بقسوة غريبة وكنت احملها وشغل البيت، كله لكي لا أتيح لها فرصة للمذاكرة ومع ذلك فقد كانت تنجح في المدرسة كل سنة ولا تشكو ولا تتبرم.. ولا تشكوني لابيها مهما فعلت ربما استسلاما للامر الواقع أو خوفا منى.

وكانت هذه الابنة يا سيدى مريضة تهاجها من حين الى اخر نوبات الكلى الفظيعة فتعذب عذابا لا يطيقه بشر.. لكني كنت لا أسال فيها عندما تمرض وكنت أغلق عليها باب حجرتها حين تهاجمها النوبة لكي لا اسمع صراخها الذي يفتت الكبد ولم يكن يؤثر فيّ وقتها بكل اسف.. ومرت ٧ سنوات على هذا الحال والبنت مستسلمة للحياة ولإرادتي ولأوامرى.. وكان أبوها يعرف انها مريضة بالطبع لكنه لم يكن يعرف أن النوبات تعاودها كثيرا.. وان كل نوبة تأتي أشد من النوبة السابقة لأني كنت قد حرمت عليها أن تشكو من مرضها لابيها ولاني أيضا لم أكن ابلغه بها. و كان زوجي بحكم عمله يبيت كثيرا خارج بيته مطمئنا إلى أن ابنته في رعايتى. وفي ليلة جاء إلى البيت على غير انتظار إذ كانت من الليالي التي يبيت فيها في عمله. وكأنه يعرف ماذا سيحدث فقد كانت النوبة قد عاودتها طوال النهار وهى راقدة في غرفتها المغلقة عليها تتعذب ويصلي صوت صرخاتها المكتومة لكي لا أنهرها اذا سمعتها، ثم حين عاد ابوها سمعنا معا صوت صراخها. كالفحيح فلم أجد مفرا من الذهاب إليها معه في غرفتها وكانت مستلقية على السرير تجز على اسنانها من العذاب وينتفض جسمها مع كل هجمة ألم فيرتفع فوق السرير ويتقوس ثم هبط مسترخيا ضعيفا إلى أن تعود الهجمة كانت. (تجض) من الألم يا كبدى ففزع ابوها واقتربت أنا منها ووضعت يدي على كتفها.

وصدقنى - وانا اعرف رأيك الآن فيّ - انني كنت قد احسست بالندم وبالألم من أجلها لأول مرة في حياتي، فلمستها بيدي ففوجئت بها تبعدني عنها بكل ما تبقى في جسمها الضعيف من قوة وتصرخ في اخرجي بره.. اخرجى بره. ثم أمسكت بيد

ابيها الذي تساقط دموعه وراحت تقبلها وظلت ممسكة بيده تقبلها إلى أن فارقت الحياة بعد لحظات..

ورحلت ابنة زوجي الصغيرة. رحمها الله وتركت لي عذابا لا يطاق هو عذاب الضمير.. فلقد اكتشفت بشاعة ما ارتكبته ضدها من ضرب واهانة واهمال. لقد ماتت وارتاحت. لكني الآن اتعذب بها فانا اصحو من النوم مفزوعة... احلم بها 3 او 4 مرات كل ليلة وأراها في الحلم تخنقني وتقول لي «انت السبب في موتى».. حتى أصبحت اخاف النوم حتى لا اراها.

أدخل المطبخ فأراها في كل مكان فيه حيث كنت أرغمها في الليالي الباردة على أن تغسل الأواني و الاطباق لكي لا أتيح لها فرصة للمذاكرة، واراها في كل ركن في البيت إنها تطاردنى وانا نائمة وانا مستيقظه وأينما ذهبت. لقد طلبت من زوجى أن نترك الشقة التي نعيش فيها الى شقة أخرى، ولكن هيهات أن يتحقق ذلك مع ازمة المساكن. انها تعذبني لاني السبب في موتها. ليتني ما عذبتها.. ليتني عالجتها.. ليتنى اشفقت عليها وهي تتعذب بالألم. انني أكتب لك هذه الرسالة وأنا اعرف انها سوف تثيرك ضدى لعلك رغم ذلك تقول لي كلمة تخفف من عذابي وأكتبها ايضا لكي تقرأها كل زوجة أب على وجه الأرض فلا تعامل ابناء زوجها « بكراهية، ولكي لا تسيئ معاملة أبناء زوجها.. وان كانت قد فعلت فلتكف عن ذلك وتصلح خطئها قبل ان ياتي يوم لا يبقى لها فيه سوى الندم وسوى العذاب كما اتعذب الان.. فهل اجد لديك السلوى التي أطلبها، التوقيع « زوجة أب حاقدة ونادمة».

∞∞∞∞∞

هذه هي الرسالة و الجريمة، التي تلقيتها، **ولكاتبتها اقول بلا تردد** لا يا سيدتي لن تجدى عندى ما تريدين فلقد ارتكبت ابشع الجرائم..

وهي جريمة تعذيب النفس البشرية التي حرم الله تعذيبها وارتكبت هذه الجريمه ضد من؟ ضد فتاة صغيرة ضعيفة لا حول لها ولا قوة طيبة القلب إستسلمت لقدرها فلم تشك ظلمك لها لأحد ولم تصرخ في وجهك الا حين اذن الله لروحها أن تتحرر من سجن الجسد وان تغادر هذه الدنيا الظالمة..

فكيف هان عليك يا سيدتي أن تسمعي صراخها المكتوم وهي تتعذب بالألم في نوبات الكلى البشعة فلا تحرك فيك عطفك ونخوتك ولا مشاعرك الإنسانية البسيطة التي لا يخلو منها بشر حتى القتلة المحترفين.. فتسارعي الى نجدتها بالعلاج وبالدواء او حتى بالكلمة الطيبة وهو أضعف الإيمان؟ لقد رأيت رجالا اشداء في نوبات الكلى المؤلمة يصرخون من الألم صرخات تزلزل الجدران.. ويقولون عقب زوالها أن الآمها تهد الجبال.. فكيف هان عليك أن تريها وهي الفتاة الضعيفة في هذا العذاب ولا يتحرك لها قلبك؟ بل حرمت عليها الصراخ من الالم. حتى الصراخ من الألم يا سيدتي حرمتها..

أي بشاعة.. واى قسوة واى سادية؟ إن كثيرين لا يحتملون مشهد قطة تتعذب بالألم لأنها روح أمرنا الله بألا تعذبها فكيف إحتملت عذاب هذه الابنة الطيبة القلب

المطيعة المستسلمة لاقدارها.. وبأي ذنب استحقت كل هذه الأهوال.. وماذا ستقولين للعادل الذي لا يظلم أحدا حين تقفين معها أمامه... وإذا المؤودة سئلت باى ذنب قتلت، حقا بأي ذنب استحقت هذه البريئة كل هذا العذاب؟ وبأي ذنب وأدتها يا سيدتي؟؟!!

بأنها يتيمة محرومة من عطف الأم وحنانها؟ ام بأنها وديعة ائتمنك عليها ابوها وهو غافل عن « ساديتك» وسوء طويتك وقسوتك؟ ثم تشكين بعد ذلك مما تعانيه وما ترين في احلامك؟ ألم تعرفي يا سيدتي أن لكل جريمة عقابا، وان بعضنا ينال بعض عقابه في الدنيا وبعض عقابه في الاخرة. وان العقاب عاجله وآجله هو ضريبه واجبه السداد عما جنت أيدينا؟ صحيح انها أعمار وآجال فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.. لكن ذلك لا يخفف أبدا من جريمة تعذيبك لها حتى الموت.. ولا من جريمة اهمالك لعلاجها.. وتقاعسك عن نجدتها في اشد حالات الالم.. فلا عجب اذن ان تدفعى «عاجله» الآن يا سيدتي فهذا عدل. وسوف تدفعين «آجله» حين يشاء الله.. الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما.

فليكن ما حدث درسا لك لا تنسية مع الايام ولتكن توبتك خالصة حقيقة ولتكفري بالعمل الصالح عما جنيت لعل الله يتقبل منك.

وأرجو الا يكون ندمك مؤقتا وألا يكون محاولة للتخلص من العذاب الذي تلاقينه الان، أو للتخلص من خيال الفتاة البريئة الذي يطاردك على طريقة «لن تنام الليل يا ما كبث» كما كان شبح الملك القتيل يطارد قاتله. وفي النهاية فانه اذا كان لرسالتك البشعة هذه من فائدة فلعلها في أنها تقول للاباء والأمهات بلا استثناء بالتجربة المؤلمة: ان ابناء كم وديعة استودعكم الله إياها، وسوف تسألون عما صنعتم بالأمانة، فلا تفرطوا فيها ولا تدعوها تغيب عن إشرافكم ورعايتكم وحمايتكم مهما كانت الأحوال.. فلا أحد يعرف ماذا يمكن أن تصل اليه نوازع النفس البشرية من الفظاعة في بعض الأحوال ولا احد يعرف ماذا تخفي بعض الوجوه و البريئة، وراء أقنعتها ثم أن هذه الرسالة تقول و للبعض، وبالتجربة المؤلمة أيضا: كفوا عما ترتكبون من جرائم في حق الأيتام الضعفاء الذين استودعكم اياهم فلن تفلتوا من العقاب عما جنيتم.. ولن يفيدكم الندم يوم لا ينفع الندم..

وليغفر الله للجميع.

∞∞∞∞∞

الندم

خشيت أن احضر اليك في مكتبك خوفا من أن تقسو علىّ.. وقررت ان اكتب اليك بما جرى لى بعد نشر رسالتي الأولى في بابك..

فأنا يا سيدى زوجة الاب التي نشرت رسالتها منذ عدة شهور بعنوان معبر هو «الجريمة والعقاب» والتي هاجمتها في ردك على الرسالة ولست ألومك في ذلك فأنا استحق كل ما كتبته عني.. بل واكثر منه.

أنا زوجة الاب التي تسببت في موت إبنة زوجها البريئة الطيبة المريضة بالكلى والتي كانت تتركها تتلوى من الالم في غرفتها وتحرم عليها حتى الصراخ من الألم والتي كانت تخفي عن أبيها مرضها وتحرم عليها الشكوى حتى ذبلت الفتاة، أنا هذه الزوجة القاسية الأنانية وانا اكتب لك هذه الرسالة لأروي لك ماذا صنعت بي الأيام بعدها، فعقب نشر الرسالة قرأها زوجي والد الفتاة وشك في الأمر، فسألني. عنه، وكنت في قمة عذابي بعد المأساة فاعترفت له بالحقيقة.. بكل شيء.. لأني اردت ان ازيح عن صدرى ما يثقله.. وصدم زوجى صدمة بالغة إهتز لها كيانه.. ومضت ايام ثقيلة وهو يعاني من آلام تنوء بها الجبال ويمضي الساعات صامتا حزينا اما انا فقد إستسلمت لمصيرى، ثم حزم زوجى امره وطلقني بعد فترة قصيرة، وصدقني انني لست منزعجة مما جرى لى، فلكل جريمة عقاب كما قلت انت في تعليقك على رسالتي الأولى، وهذا هو عقابي وليته يقتصر على ذلك او ليته يعفينى من عقاب السماء بعد أن نلت جزائى فوق الأرض لقد اصبحت وحيدة..

ولا هم لي الا ان اكفر عن خطيئتي فأخرجت بعض ما املك من مال كصدقة على روح الإبنة التي تسببت في موتها ولست نادمة على ذلك فلعل الله يتقبل منى التوبة.. وقد هاجمني المرض اللعين وأصبحت طريحة الفراش واحس انني سوف ألقى وجه الكريم وقد ارسلت لك هذه الرسالة ليسامحني قراؤك الذين قرأوا رسالتي الأولى وصبوا غضبهم ونقمتهم علىّ وهم على حق لكني ارجو منهم السماح، كما كتبت رسالتي هذه لتكون عبرة لمن سلكوا نفس طريقي وظلموا أبرياء صغارا لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم او عن حقوقهم.

وليعلم الاخرون أن الله فوق الجميع يراقبهم ويُحصي عليهم اعمالهم وانه يأخذ بحق المظلومين من ظالميهم وان تأخر القصاص.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

∞∞∞∞∞

ولكاتبة هذه الرسالة اقول: ليغفر الله لكِ يا سيدتي ما تقدم من ذنبك وليتقبل منك توبتك وليعف عنكِ جزاء ما أحسست به ندم صادق على ما فعلتِ.. وجزاء ما لقيتِ في الدنيا من عقاب.. ولقد يرضى الانسان احيانا بما يلقي من عقاب عاجل مؤملا أن يكون من المعجلين لهم بالعقاب في دنياهم.. وممن بدل الله سيئاتهم حسنات في أخراهم وأظن أن هذا الاحساس هو سر رضائك عما جرى لك فيما بعد فلقد تطهرت يا سيدتي مما فعلت، بنيران الندم التي تلسعك كالسنة اللهب.. وهذا

يؤكد لك انت قبل غيرك آن لك ضميرا كان غافيا ثم استيقظ عقب التجربة المريرة فلعل في ذلك دروسا قاسية، لمن يتصورون أنهم يتحركون في الحياة بلا رادع من ضمير او من وازع دينى.. وقد يهزأون احيانا بمن يذكرهم بعذاب الضمير اذا استيقظ.. وبعذاب الندم اذا شبت في القلب نيرانه.. ليتذكروا ذلك جيدا، وليستعدوا جميعا للجحيم الذي ينتظرهم عندما يستيقظ النائم بين حنايا صدورهم ولابد من يوم يستيقظ فيه وان طال الانتظار.

اما انت يا سيدتي فلا تيأسي من رحمة الله.. وأظن أن قراء هذا الباب الذين نقموا عليكِ من قبل لا يحملون لكِ الآن أية ضغينة بعد كل ما جرى..

وما انتِ في النهاية سوى امرأة وحيدة ضعيفة إختبرت بالدنيا في بعض الفترات من حياتها فقسَت.. ثم دفعت الثمن غاليا ولم تزل.. فليتقبل الله توبتكِ والله يغفر الذنوب جميعا. سبحانه وتعالى وفي النهاية فانه:

و اذا كان ذنبي كل ذنب فانه.. محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

∞∞∞∞∞

صاحب الجلالة

أنا شاب عمرى 39 عاما اكتب اليك هذه الرسالة وانا جالس في «مكتبى» بالورشة التي أملكها واديرها.. فانا ميكانيكى اكسب كثيرا وانفق كثيرا لكني إلى جانب ذلك متعلم، او بمعنى اصح أحب أن أحس أنني متعلم، فقد أنهيت دراستي الثانوية وكان والدي يغريني دائما بالعمل معه في الورشة لكي أساعده في العمل وأحفظ عليه ماله. لكنني كنت أحلم ايامها بان اكون. أفنديا، كان ذلك منذ عشرين سنة.. وكان« الأفندي» هو الصورة التي تلهب خيال الشباب أيامها. ولم تكن المهنة موضع احترام كبير او بمعنى اصح موضع حسد و قر، من الناس كما هي الان.. المهم أني استسلمت لمصيري وبدأت العمل في الورشة وفرح أبي فرحا كبيرا بذلك أما أنا فكنت موزع المشاعر بين الرضا والغضب.. والحق انني لم اكن أخلو في داخلى من، حسد، لزملائي الذين واصلوا تعليمهم وأيضا تجاه أشقائى الصغار الذين كانوا يواصلون طريق التعليم بنجاح وأنا اعترف بذلك، فأنا بشر أما ابناء المهنة الذين كنت اتعامل معهم وهذه عقدة اخرى فقد كنت أحاول أن أحس بانى «مختلف» عنهم وقد وجدت في عملي الجديد تعويضا عن اشياء عديدة فانا في يدي وجيبي باستمرار مبالغ كبيرة وزملاء الدراسة الذين واصلوا طريق التعليم يشكون دائما ضيق ذات اليد. والحق الى اشعر بشيء من الترفع إزاءهم، وساكون صريحا معك واقول لك اننى كنت أشعر بنفس الشيء تجاه اخوتي اللذين واصلوا طريق التعليم وعملوا بالوظائف لنفس السبب. المهم مضت الأيام ومات والدي رحمه الله، وكان قد باع لى صوريا نصف الورشة في حياته فلم اجد صعوبة في نقل باقى ملكية الورشة إلىّ فقد تفاهمت مع اخوتي وهم شقيقان وشقيقتان على ان اتكفل بنفقات تعليم وزواج شقيقتينا ورعاية امنا إلى اليوم المحتوم.. وعدا ذلك فلا شيء. وقد كان..

في هذا الوقت كنا جميعا نعيش في شقة واحدة واسعة فوق الورشة.. فمضت الحياة هادئة.. تزوجت شقيقتاى وتزوجت أنا فتاة طيبة جميلة من معارفنا احببتها فترة طويلة وانجبت منها ابنة جميلة.. ثم ابنة ثانية.. ثم الحت على والدتي في الانجاب مرة ثالثة لأرزق بولي عهد يحمل اسمي فكان النصيب هو ابنة ثالثة واستجبت لرغبتها مرة أخرى فكان النصيب ابنة رابعة وفي هذا الوقت حدث «انقلاب» في الصنعة، فبعد أن كانت تدر عدة مئات من الجنيهات كل شهر انفق منها ببذخ ويبقي منها جزء معقول للادخار، اصبحت فجأة منجما للذهب. وأصبحت تدر الآلاف ولعبت «البلية» معي فتاجرت إلى جوارها في قطع الغيار وخلال سنوات محدودة كنت قد اصبحت من الأثرياء.. فقررت تجديد حياتى.. انتقلت إلى شقة في عمارة يسكنها دبلوماسيون في حي الزمالك. وبقيت أمي في شقتها القديمة مع اسرة شقيقي الصغير الذي تزوج فيها. أما شقيقه الأصغر فقد تزوج وعاش في شقة اخرى في نفس الحي واشتريت سيارة فولفو.. ووجدت نظام الورشة كما هو منذ ايام ابى فإقتطعت لنفسى مساحة منها أحطتها بسور زجاجى وجعلت منها غرفة لمكتبي.. وأثثتها بغرفة مكتب فاخر لا تختلف عن غرفة مكتب أي وزير. ووضعت على مكتبي عدة تليفونات ملونة.. ووضعت في الغرفة ثلاجة وتلفزيونا ملونا.. «و كوفي

ميكر» أي جهاز صنع القهوة، وعينت لنفسي ساعيا يقف على باب المكتب وسكرتيرة تحمل دبلوم تجارة، واكتملت الصورة التي أردتها لنفسي ستسألني بعد ذلك وأين المشكلة..

فأقول لك المشكلة أني اعيش هانئا مع زوجتي وبناتي أحبهن جميعا ويبادلنى الحب، لكن غير راض ولاسعيد لأني أريد أن أرزق بابن يحمل اسمى ويرث مالى ويرث الورشة التي إتسع نشاطها، وبين حين وآخر توسوس إلىّ نفسي أن أتزوج خفية وأنجب ولدا يرث هذه «المملكة» ويحفظ لاخوته مالى وكلما طال العمر اختمرت الفكرة في ذهني، فما رأيك؟

∞∞∞∞∞

رأيي إنك انسان جاحد لاتستحق العطف، وانما تحتاج الى من يهوى على رأسك بلكمة قوية تفيقك من غيبوبتك!.. يارجل. انعم الله عليك بكل هذه النعم وأرضى كل «عقدك» حتى أصبحت تقارن غرفة مكتبك بغرفة مكتب وزير وتسكن عمارة يسكنها الدبلوماسيون وتركب «الفولفو» وتلبس «البير كاردان».. وتقدم لضيوفك القهوة من «الكوفي ميكر» كما يحدث في المسلسلات الأجنبية وتحب زوجك وبناتك.. ولاتشكو من مرض ثم تقول لي انك غير راض لانك لم ترزق ولدا يرث عرش مملكتك؟ ماذا تظن نفسك؟ خوان كارلوس ملك اسبانيا أم كارل جوستاف ملك السويد؟.. لقد كنت على استعداد لان احترم آلامك.. اذا قلت لي انك تشتاق الى طفل.. وهو شيء مقبول.. لكنه ليس نهاية الدنيا. ولافرق بين ابنة وابن. لكنك حتى لا تقول لي ذلك وانما تقول أنك تريد وريثا للورشة يحمل اسمك وهذا هو مايغيظ.. فالسعادة ليست في ابن يحمل الاسم او ابنة.. لكنها في الرضا.. وفي اسرة حانية ترعى الانسان وتبدد وحشته..

وكل هذه المقومات حباك الله بها.. وزاد عليها من فضله.. سعة في الرزق..

فماذا تريد؟

اذا كنت تبحث عن المتاعب. فانت وشأنك لكن اذا كنت تطلب النصيحة.. فاسمع نصيحتى ولاتتزوج مرة اخرى لكي تنجب ولدا فتحطم قلب زوجتك وتبدد سعادتك.. فمن يدريك أن زوجتك الجديدة ستنجب ولدا لا بنتا ومن يدريك انها سوف تنجب على الاطلاق!!

انني استطيع ان اروي لك اكثر من قصة لاشخاص ارتكبوا نفس الخطأ فأخلفت المقادير ظنونهم فهل يستحق عرش و الورشة، كل هذا العناء.. الحق انك لست مشغولا بعرش الورشة، وانا مشغول بأن تحجب عن اخوتك ثروتك.. وانت حر في ذلك وهناك وسائل قانونية عديدة تطمئن بالك من هذه الناحية لكن من يدريك أنهم ينتظرون منك شيئا؟.. اليس من المحتمل أن يكون بينهم من هو اغني منك نفسا والغنى غنى النفس قبل كل شيء..

بدليل انك بكل ثروتك مازلت اسير عقدك ومازلت تتلمس الأمان والرضا فلاتجدهما!!

والحق انك رجل مغرور وانانى وشديد «الهيافة» لامؤاخذة ولا تستحق عناء الرد عليك.. وقد اضعت وقتى بمشكلتك السخيفة لكن هذا هو قدرى على أية حال.. ولست نادما عليه!

∞∞∞∞∞

شبح من الماضي

أنا طالبة بالسنة الثالثة باحدى الكليات الجامعية اعيش مع اسرة مكونة مني ومن شقيق يليني في السن وهو طالب جامعي ثم من أمي السيدة الفاضلة التي ترعانا وتزرع الحب في نفس كل منا تجاه الاخر وتجاه البشر اجمعين..

ولقد كان لنا يا سيدى ككل الأبناء أب.. لكنه رحل عن عالمنا منذ أكثر من 10 سنوات، ورغم طول السنين وصغر سني حين غادر دنيانا فمازلت اذكر وجهه.. وكلماته وصوته الهادىء وابتسامته الحزينة كأنه يسامح، بها الدنيا عما فعلته به وبنا من بعده. ولقد كنت احبه الى درجة العبادة واذكر له انه لم يغضب منا أنا وأخي ولا مرة واحدة.. ولم يضرب أحدا منا ابدا.. كما لو كان يحس كما يقول الناس انه سيتركنا وحدنا للحياة صغارا، ورغم صغر سنى فلقد كنت الحظ دموعه وهو يصلى ويطيل الصلاة وهو مستغرق في الدعاء الهامس لفترة طويلة بعدها كما بدأت الاحظ بعين الطفلة.. انه لم يعد يذهب إلى... الشغل، ولا يكاد يخرج من البيت. وأنه يمضى اليوم الطويل.. يصلي أو يكى ويدعو.. فاذا اقتربنا منه مسح دموعه بكفه.. وابتسم وضحك في وجهينا وأعطانا نقودا صغيرة لنشترى الحلوى.

وكنا في اجازة الصيف.. وقد اعتدت ان اصحو من نومى واتجه الى غرفة نومه لأداعبه.. فذهبت إليه ذات صباح فلم أجده.. وعرفت انه فاجأته في الليل نوبة قلبية ونقل إلى المستشفى، وهناك زرناه مرة وحيدة ثم غادرنا الى العالم الافضل.. ووجدنا أنفسنا أمي وشقيقي وانا.. ثلاثة في مواجهة الحياة وحدنا فأحاطتنا امي بجناحيها.. وعلمتنا الصبر والامل..

وارادت ان تنزل للعمل لانها متعلمة وحاصلة على شهادة لكن أخوالى رفضوا السماح لها بالعمل وتكفلوا بنا بمساعدة معاش بسيط لا يتجاوز الثلاثين جنيها ورغم أن الحياة مضت بعدها كما تمضي دائما وواصلنا تعليمنا الا انني كنت احس بجو ثقيل يخيم على اسرتنا. وأحس بنظرة حزينة مستقرة دائما في عيني أمي حتى من قبل وفاته. وبدأت استشعر تناقضا ما اسمعه عن مركز ابي في عمله ومظاهر هذا المركز في حياته.. وبين المعاش الضئيل الذي نتقاضاه. وشيئا فشيئا عرفت السبب.. وإنفجر في وجهي السر المكتوم...

عرفت أن ابي كان مديرا لإحدى الشركات العامة في عاصمة المحافظة التي نعيش فيها، وانه اخطأ حين اعطي ثقته الزائدة لمن حوله فكانت نتيجة هذه الثقة أن أتهم في قضية إختلاس يعلم الله انه برئ منها.. فأوقف عن عمله وبدأ التحقيق معه ثم المحاكمة.. فلم يتحمل مواصلة المشوار واصيب بنوبة قلبية وانتقل إلى جوار ربه. اما قيمة الاختلاس الذي حطم اسرتنا يا سيدى فلقد كان ثلاثة الاف جنيه وكان هذه القصة أثرها في حرمان والدتي من حقوقه في المعاش لكنها بكفاح مرير استطاعت الحصول على معاش الثلاثين جنيها.. ولولا أخوالى وهم بحمد الله ذوو مراكز مرموقة لهلكنا في السنوات الصعبة التي تلت وفاته. وواصلنا الحياة وحاولنا أن

ننسي الماضي بكل جراحه.. وواصلنا تعليمنا، وأمي العظيمة تدفعنا للأمام حتى كدنا ننتهي من تعليمنا الجامعي..

وحرصت امي على أن تجعل منا مثالين للاخلاق وحسن التعامل مع الناس.. وليس هذا غرورا مني لكنها الحقيقة والله العظيم.. ولعلها كانت تعرف اننا سوف نحتاج إلى سلاح اكبر من سلاح العلم لكي تسير بنا سفينة الحياة بسلام ولكن هل أجدى حرصها هذا؟ يبدو انه لم يجد كثيرا.. لأننا الآن وبعد أكثر من عشر سنوات من وفاة ابي.. مازال بعض الناس حولنا ينظرون الينا نظرة مريبة ويتشككون في مصدر أي شيء نشتريه ولو كان قطعة ملابس رخيصة.. كأنهم يتساءلون من اين لكم هذا. وليت الامر اقتصر على النظرات أو الكلمات ذات الايحاءات المؤذية لكنه تجاوز ذلك الى الاضرار بي وأنا فتاة في سن الزواج. فلقد تقدم لى اكثر من خاطب بالطريقة التقليدية وخلال مرحلة التعارف وسؤال كل طرف عن الاخر يسأل فيسمع قصة الاتهام الظالم لابي.. فلا يعود، ولقد تكررت هذه القصة معي مرتين، حتى يئست وصددت نفسي عن التفكير في هذا الموضوع إلى ان ابلغني زميل لي بالكلية ونحن نؤدى الامتحانات العملية انه يريد ان يزور اسرتي بعد الامتحانات.. فحاولت الاعتذار.. ولكنه اصر وبالفعل جاء لزيارتنا في مدينتنا خلال العطلة الصيفية.. وغادرنا على وعد بزيارة تالية لم تتم بالطبع ومضت شهور الصيف طويلة إلى أن بدأت الدراسة وعدت إلى كليتي ففوجئت به يصافحنى باستخفاف.. وفي شيء من السخرية، وكنا مجموعة من الزملاء نتحدث عن الاسعار وصعوبة الحياة ومصاريفها، ففوجئت به يقول لي: وماذا يهمك من هذا.. وأنت سترثين الملايين. فأسودت الدنيا في وجهي واحسست بأطرافي تتثلج وخرست حتى انتهت الجلسة، ثم قمت مهزومة منهارة.. وقررت الا اقترب من مكان يوجد فيه.. والا اطيل الحديث مع احد من زميلاتي او زملائي لكي لا ينحرف الحديث إلى ما يجرح مشاعرى..

لقد أصبح قلبي ينقبض مع كل طارق جديد على بابنا لكى لا تتكرر المأساة وعاد الحزن يخيم على سمائنا من جديد لان ما اصابني اصاب أيضا شقيقي الوحيد الذي بدأ يدفع هو الاخر ثمن شيء لادخل له فيه.. تماما كما أدفع انا نفس الثمن ورغم كل ما حدث فلم ولن اكره ابي ومازلت احبه الى درجة العبادة كما كنت دائما ولقد رأينا باعيننا انتقام ربنا العزيز الجبار من كل من اشترك في هدم اسرتنا.. وهو انتقام لا أستطيع ان اصفه لك وارجو الا تعتبر ذلك شماتة.. بل دليلا جديدا على انه يمهل ولا يهمل..

وبعد كل ذلك اسألك.. ما هو ذنبنا فيما حدث يا سيدي لكي لا يرحمنا الناس حتى بعد هذه السنوات الطويلة.. وماذا جنينا لكي يشعرنا الناس بأن هناك وصمة في حياتنا تبعد الاخرين عنا وماذا يريد الناس منا يا سيدى لينسوا الماضي.. كما كنا قد نسيناه لولا ظلمهم لنا الذي أحياه من جديد؟

∞∞∞∞∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول: لا ذنب لكم.. ولا جريرة.. لكنها الدنيا التي تقسو احيانا على الابرياء بلا جريمة. فأيا كان الخطأ الذي وقع فيه ابوكِ الراحل،

فليس من العدل.. ولا من الرحمة أن تدفعوا انتم ثمنه وأن يلاحقكم «عاره» الى الابد.. لكنها قسوة المجتمع في بعض الاحيان. فالمبدأ الاساسي في فلسفة العقاب هو «شخصية» العقوبة اى ان تنحصر في شخص مرتكب الجريمة او الخطأ، وهذا هو العقاب الجنائي الذي تقضي به المحاكم اما العقاب المعنوي الذي يقضي به المجتمع فهو لا يعرف «شخصية» العقوبة.. ولا يفرق بين مذنب وبريء ويضع عادة المخطىء وأسرته واهله وربما اصدقاءه أيضا في سلة واحدة وينزل عليهم بهراوته القاسية بلا رحمة. ورغم إن هذا العقاب المعنوي هو في حد ذاته أحد ضوابط حركة الحياة والمجتمع لانه أحد الروادع التي تردع البعض عن ارتكاب الخطأ خوفا مما يلحق باعزائهم من عار وفضيحة، الا انه يقسو في أحيان كثيرة فيعاقب الابرياء عن جرم لم يرتكبوه ويطالبهم بدفع فاتورة باهظة من حقهم الطبيعي في الكرامة والأمان كما يحدث معك ومع شقيقك. ويزيد من قسوة هذا العقاب المعنوي انه كصنوة العقاب الجنائي لا يستأسد، في أحيان كثيرة الا على الصغار ومن هم في حكم الغلابة،.. اما الوحوش الضارية فلا يطولها في أحيان كثيرة عقاب جنائي او معنوي.. الا ان تتزلزل الأرض مؤذنة بسقوط وحش كاسر تخلت عنه الدنيا فجأة. لكن هذه قصة اخرى!

فلندعها جانبا ونعد الى رسالتك..

لقد مست قلبي كلماتك الرصينة عن ابيك وهزني انك تحبينه الى درجة العبادة رغم كل شيء.. وان قسوة المجتمع عليك لم تنل من حبك ووفائك له.. ولعله كما تقولين قد قضى مظلوما فعلا وما أكثر من في الحياة من مظاليم بل وما اكثر من فيها من جناة لم يطلهم عقاب الدنيا.. وينتظرهم عقاب السماء لذلك قيل دائما أن الرحمة فوق العدل، ومن الرحمة الا يأخذكم المجتمع بهذه الخطيئة التي لم ترتكبوها الى نهاية العمر، ولكن الكارثة ان ذاكرة الناس تبدو أحيانا أحد من حافة المقصلة. والحق اني احس في كلماتك عن ابيك وشقيقك وامك احساسا عائليا آسرًا، وأعتبر حبك لابيك ووفاءك لذكراه دليلا على صفاء نفسك.. وقيمك الخلقية. التي غرستها فيك أنت وشقيقك أمك بفهم تربوى عال لمعنى إحترام رمز الاب.. والوفاء له.. رغم كل شيء، وارى ان مثل هذه التربية الكريمة كفيلة بأن ينسى لكم مجتمعكم الصغير هذه الذكرى القديمة أو هذا الشبح القديم من الماضي.. وان يتعاملوا معكم على اساس من خلقكم وقيمكم.. ولا شيء أخر.. فهل يعدل البشر مرة؟.

∞∞∞∞∞

رسالة من الباب الخلفي

اكتب اليك من الاسكندرية لاحدثك او لأحدث نفسي بما يدور في خاطرى.. حيث اعمل الان في عمل جديد يتطلب مني اسعاد الاخرين كل ليلة حتى الهزيع الأخير من الليل.

ولعلك قد عرفتى فأنا ذلك الفنان الذي اصطلح النقاد على أن يسموه بالفنان الكوميدي الضاحك الذي ينتزع الضحكات من الثكالى بتعبيرات وجهه وتمثيله الصادق.. والذي قالوا عنه أنه يقدم فنا راقيا لاتهريج فيه.. وكم كان يسعدني أن اقرأ هذه الكلمات عني.. لولا أن مرت بحياتي اهوال فقدت معها القدرة على الاحساس بطعم اى شيء.. وبجدوى اى شيء.

وهكذا الحياة ياصديقي.. نجري وراء اشياء فاذا بلغناها نكون قد فقدنا في الطريق اشياء جوهرية لاتعوض وفقدنا القدرة على الاستمتاع بما حصلنا عليه.

وانت تعرف بدايتي.. وتعرف تأثير النشأة الصعيدية على.. وانى من اسرة صغيرة وانني كافحت كفاح الأبطال لكي اتعلم والتحق بالجامعة..

ثم لكى اجد عملا.. واتزوج، وسأعبر هذه المراحل سريعا لاقول لك:

انني وجدت نفسي في منتصف العمر.. متزوجا من زوجة طيبة اصيلة وابا لثلاثة ابناء اكبرهم طالب بالكلية الحربية واصغرهم بالمدرسة الابتدائية ومازلت أكافح لاجد لقدمى موضعا في العالم السحري الذي اخترت العمل فيه وهو المسرح، وانت تعرف قصص الباب الخلفي للمسارح اى باب الممثلين.. وتعرف كم يشقى الانسان ليدخل منه الى خشبة المسرح..

وكيف يجمع هذا الباب بين النجوم اللامعين الأثرياء.. وبين المغمورين البسطاء الذين قد لا يجدون في بعض الاحيان قوت أطفالهم..

كنت موظفا حكوميا صغيرا.. فاحتفظت بوظيفتي أمانا ضد الفقر وركزت جهدي في الباب الخلفي أخرج من باب لأدخل بابا باحثا عن فرصة، وكانت البداية صغيرة.. دور ضابط شرطة يدخل خشبة المسرح بعصبية ليلقي القبض على بطل المسرحية النجم اللامع في نهايتها.. واذكر الليلة التي بدأت بها طريقى كنت واقفا خلف الكواليس انتظر لحظة الدخول وقد تجمعت في صدري كل همومى.. ومر امامى شريط كفاحي الذي طال بغير بادرة أمل في الوصول الى الراحة.. كانت مطالب الحياة قاسية وأسرتي الصغيرة تعاني من ضيقها ما تعاني، واحسست فجأة بالخجل من أن يراني بعض من يعرفونني من الزملاء وانا اؤدي هذا الدور الصغير واحسست برغبة في الاختباء.. فاذا بيدي ترتفع إلى كاب الشرطة الذي أرتديه تشده الى عيني ليخفي نصف وجهى وجاءت لحظة الدخول فدخلت بعصبية والكاب يخفى عينى وانا أتخبط بين الممثلين لاأرى شيئا.. فاذا بالمسرح يضج بالضحك، واذا بنجم المسرحية اللامع يضحك من قلبه ثم يجد في هيئتى الغريبة مادة للضحك والاضحاك وفي ختام المسرحية حين رفعت الكاب عن وجهي حياني الجمهور

لأول مرة في حياتي.. ثم إذا بهذا المشهد العفوى يتحول الى مشهد اساسي كل ليلة وتزداد مساحته الزمنية من 3 دقائق إلى عشرين دقيقة كاملة واذا بلحظة الضيق من حياتي وتفاهة شأن تتحول إلى لحظة ميلاد، فشاركت بعد هذه المسرحية في اعمال كثيرة.. واديت أدوارا كبيرة.. وتحسنت ظروف الاجتماعية شيئا فشيئا وارتفع اجرى وتحسنت ظروف اسرتي.. واشتريت سيارة بسيطة ومع كل خطوة من خطوات طريقي كانت هي تقف معي ووراءى زوجتي الطيبة سمحة النفس والوجه.. التي ما شكت يوما ضيق الحال.. ولا وعورة الطريق.. وكانت تحرص دائما على أن تحضر حفلات الافتاح لتراني.. وكلما رأت مساحة دورى تزيد سعدت واحست بالفخر.. وكلما رأت البنط الذي يكتب به اسمي على واجهة المسرح يتضخم شيئا فشيئا احست بالانتشاء وكلما حياني الجمهور او ضحك تمثيلي تلفتت حولها فخورة كانها تقول للجميع انه زوجي..

ومضت الايام تقترب بنا من حافة السعادة وتحقيق الامال إلى أن جاء صيف ودعيت للتمثيل في مسرحية تعرض في الاسكندرية وبدأت البروفات، فاذا بزوجتى الحبيبة تسقط مريضة وتدخل غرفة الانعاش بمستشفى المعادى واذ بي أجدني كل يوم مضطر للبقاء بجانبها حتى الظهيرة ثم أركب سيارتي لانطلق إلى الإسكندرية لأصل الى المسرح في المساء واعود لاسافر الى القاهرة في الثالثة صباحا..

وإذا بي أعيش أياما مع الأمل.. واياما مع اليأس.. وفي كل الحالات أجدني كل مساء واقفا على خشبة المسرح اؤدى دورى فانتزع الضحكات رغما عني.. وانا كما تعرف من القلائل في عالم المسرح الكوميدي الذين لايبتسمون أبدأ على خشبة المسرح.. وتتسم « فورمة، وجهى بانها تراجيدية حزينة ومع تثير ذلك الابتسام..، ولعل ذلك ماساعدني على أن استمر في عملي فيما بعد، فلقد توالت على المتاعب.. فانقلبت بي السيارة وانا في طريقي إلى القاهرة مع ابنتى لنزور زوجتي في المستشفى بعد أن طلبت الزوجة رؤية ابنتها ونجونا من الموت والاصابة بقدر الله جل شأنه.. ثم توالت الفصول.. فاذا بوطأة المرض اللعين تشتد على زوجتي واذ بها تتركني فجأة وأنا في منتصف الطريق.. فلا نجومية حققت.. ولاإسما فذا صنعت، ولاثروة جمعت.. ولاشيء سوى العدم.. والفراغ. ونصف حياتي قد تخلى عني.. وأتجاوز هذا الفصل الحزين سريعا.. لاقول لك اننى ايضا دخلت نفس غرفة الانعاش التي دخلتها زوجتي.. بعد أن كادت انفاس الحياة تنقطع عنى.

وهذا هو الفصل الحزين الآخر الذي اخفيته عن الجميع.. فمنعت من الحركة طويلا بعد أن تبين اني اعاني من قصور وتقلص مزمن في شريان قلبى التاجي.. لكن الحياة ارغمتني على الحركة والعمل والوقوف فوق خشبة المسرح من جديد، ومارست العمل وانا خريج غرفة الانعاش.. ولكن الأطباء يجمعون على حاجتي إلى جراحة لاستبدال الشريان التاجي.. وهى جراحة بكل اسف لاتجرى الا في الخارج وتكاليفها باهظة.. ولست نجما مرموقا حتى يتحمس احد لعلاج على نفقة الدولة.. وانا لا استطيع ان اتسول علاج على نفقة بلادي رغم انه من حقي كغيري من المواطنين، وانا حاليا اعمل فوق خشبة المسرح.. أثير الابتسام وانا مكتئب. وأنتزع الضحكات وعيناى مغرورقتان بالدموع كلما سرحت وتذكرت اطفالي الثلاثة وهم

في نظري اطفال مهما كبروا.. لكنهم لم يستمتعوا بما يتمتع به الاطفال ولم تكن حياتهم ناعمة ولاهينة، والحبوب في جيبي أتناولها تحت اللسان كل ما أخشاه أن يغمى على ذات ليلة فوق خشبة المسرح فيتعطل العمل ثم يشيع في الوسط الفني اني مريض جدا.. فلايطلبني احد في عمل ويتوقف اخر مصدر لرزقي بعد أن تركت الوظيفة الحكومية حين استقرت خطواتي فوق المسرح.. ويضيع اخر امل لي في الجراحة.

وانت تسألني ماذا اريد.. فأقول لك اني اريد ان اسألك ما معنى الحياة حين نشقى فلا نصل إلى مانريد.. ولماذا يكافح البعض كفاحا داميا ثم لايصلون إلى شيء مثلي بل يخسرون خلال الطريق اشياء لا تعوض في حين يصل آخرون إلى اكثر مما تمنوا وباقل قدر ممكن. العناء وهل هذه الحياة عادلة في اختيارها البعض للشهرة والثراء.. والبعض الاخر لكي يعيشوا حياتهم مغمورين تعساء؟

انني اعرف اني القى عليك اسئلة لاجواب لها.. لكني كنت في اشد الحاجة إلى من يشاركني همومي التي لايراها احد غيري ووقع اختياري عليك فكانت هذه الرسالة.. والسلام.

∞∞∞∞∞

ولصديقي كاتب هذه الرسالة اقول:

صدقت وانت صادق أدائما حتى في الامك حين قلت انها اسئلة بلا أجوبة.. فهي نوع من حديث النفسي للنفس التماسا للسلوى والعزاء وليست التماسا لاجوبة محددة.. فكثيرا مانسأل أنفسنا مثل هذه الأسئلة فلا نجد جوابا.. وقد لا نجد العزاء أيضا على ان تجربة الحياة تقول لنا ان لكل إنسان نصيبه في الدنيا.. وان الأقدار قد تتساوى في النهاية إلى حد كبير..

واننا لا ينبغي أن نحكم على الآخرين بظاهرهم الخارجية فمن قد نظنهم سعداء.. قد يكونون أتعس ما نظن.. ومن نظنهم تعساء قد تكون لهم سعادتهم الخاصة التي لاندرك عمقها فالسعادة مسألة نسبية ياصديقي، ومايسعد إنسانا قد لا يرضى غيره، وانت شخصيا أصدق مثال على ذلك فمن يراك وانت تضحك الثكالى كل ليلة قد يحسبك إنسانا لاهيا سعيدا تنام قرير العين بما حققت من نجاح، ولايعرف احد ماذا تخفي القلوب. لكنك من ناحية اخرى ربما لو قارنت نصيبك من الدنيا والنجاح بنصيب غيرك من التعساء لربما وجدت لنفسك بعض العزاء.. وقد يكون بينهم من كافح مثل كفاحك وربما أكبر. وفي الحياة متناقضات كثيرة. لايتسع المجال لحصرها... ومن متناقضاتها أن تأتي احيانا ثمرة الكفاح المضني بعد أن يكون الإنسان قد فقد حتى القدرة على الاستمتاع بالنجاح او المال. او الشهرة..

وقد لاتأتي وهو على قيد الحياة أصلا.. فهل تدري مثلا أن آخر عبارة نطق بها الفنان العالمي فان جوخ وهو يموت لشقيقه «ثيو» كانت: لو أنك استرددت حتى ثمن ادوات الرسم التي اشتريتها لي؟ « وكان شقيقه يعمل عارضا للوحات ويعول شقيقه

في أيامه الأخيرة، ومات فان جوخ بغير ان تباع لوحة واحدة من اعماله، ثم مضت سنوات بعد وفاته فاذا بلوحاته تباع بعشرات الألوف.

او تدري مثلا أن الفليسوف الألماني شوبنهاور قد أمضى حياته في البحث والدرس والتأليف وهو مغمور مجهول حتى شارف السبعين، فاذا بشهرته تدوي في العالم وينهال عليه التمجيد والتكريم بعد أن فقد القدرة على الاستمتاع بالنجاح فقال: بعد أن عشت عمري كله وحيدا منسيا بين الناس.. جاءوا فجأة يودعونني إلى قبري بالطبول.

إنها امثلة كثيرة ياصديقي: ولا أحد يملك مصيره.. ولا أحد يعرف أين سعادته الحقيقية فربما كان مانشكو منه الآن هو افضل ايامنا بالمقارنة مع مايخفيه الغيب، فلنتعامل مع حياتنا كما هي.. ولنسعد بما أتيح قدر محدود او غير محدود من الأسباب. ولننظر إلى غدنا دائما بقلب يخفق بالامل.. وأتجاوز هذه النقطة لاتحدث عن صحتك واقول لك أن عليك أن تتقدم بطلب اجراء جراحك على نفقة الدولة سواء في مصر او الخارج مادمت غير قادر على تحمل نفقات الجراحة.. وهذا حقك كمواطن سواء أكنت مشهورا ام مغمورا.. فالمقياس هو العجز عن تحمل النفقات وليس الشهرة او النجومية.. بل لعل ذلك اكثر تأكيدا لحقك في العلاج لان النجم اقدر على تحمل نفقات علاجه، فأطرح اليأس جانبا.. وتقدم إلى المجالس الطبية او زرني لنبحث معا الأمر.. ولسوف تبتسم لك الحياة من جديد، ولسوف تكمل مشوارك الناجح الى اقصى مداه باذن الله.

∞∞∞∞∞

.. ولا مؤاخذة

أحسست أنني أنتقلت إلى عالم غريب من أول سطر قرأته في هذه الرسالة ان كاتبها هو موظف في الأربعين من عمره زوج وله 4 اولاد يعيش في شقة قديمة بحي شعبي مع امه واخته العانس، وهو ككثيرين غيره يعاني من عجز مرتبه المحدود عن الوفاء بمتطلبات و القبيلة، كما يسميها.. لكن تفكيره لحل مشكلته المادية قاده إلى طريق غير مألوف فماذا فعل؟.. سأترك رسالته تروي قصته وتنقلكم معي إلى هذا العالم الغريب.

« فكرت ان اكتب اليك بعد أن قرأت قصص الكفاح التي تنشر وتشيد في تعليقاتك عليها بكفاح اصحابها.. وتحاول بكلماتك أن تأسر جراحهم. وان كنت لا اتوقع ان تشيد بكفاحي.. ولا أن تطيب خاطرى بكلمات رقيقة فالحق الي اخجل مما سوف احكيه لك لكن ما باليد حيلة فلقد اضطررت اليه، وقصتي اني تدرجت في الوظيفة بمؤهل متوسط الى ان وصل مرتبي الى حوالى 80 جنيها.. سوف تقول انه مرتب معقول.. وسأقول لك بل هو اكثر من معقول لكن كيف يكفي هذا المرتب للانفاق على ام وزوجة وأخت عانس في كفالتى و ابناء ثم على الزوج نفسه. وكيف يكفي وحده بلا أي مورد اخر لنا لتعليم 4 ابناء في المدارس من كتب اضافية وكراريس وملابس واحذية. ومصروف يومي.. واجور للمدرسين الخصوصيين. فاذا احتاجت زوجتي الى فستان اسودت الدنيا في وجهي واذا احتجت أنا إلى بدلة كل عامين احترت واحتار دليلى واذا احتاجت والدتي واختي الى ملابس دخت من هول الصدمة.. وان كانت بطاقة الكساء الشعبي تخفف عني بعض هذا العذاب، سألت نفسي مرة ما معنى حياتى؟ انني أمضي يومي في العمل لا استطيع ان انفق فيه اكثر من ثمن 2 ساندوتش و كوب من الشاي و 3 او 4 سجائر.. ثم أعود الى بيتى مشحونا في الاوتوبيس منهكا و كارها للدنيا.. فأمضى باقي اليوم في البيت لاني عاجز عن انفاق اي قرش خارجه.. ويكفي ان اقول لك ان بواب العمارة التي أسكن بها اشترى التليفزيون الملون قبل ان اسمع انا عن التليفزيون الابيض والاسود وان اولادي كانوا يتسللون إلى غرفته ليتفرجوا مع اولاده على هذا الاختراع العجيب ورغم ذلك فأنا موظف و بيه، في عملي أرأس 6 موظفين وأقضي في مصالح الناس كل يوم ولأني بيه، فلا استطيع ان افعل ما يفعله البواب.. اذ لا استطيع ان اقبل بقشيشا من احد.. كما يفعل لأني بيه لكن غلبان وهذه مصيبة طبقة الموظفين من أمثالي.. وفي كل ضائقة كانت تمر بي لم اكن اجد من يقبل إقراضي الى حين ميسرة سوى صديق طفولة قديم يسكن في باب الشعرية توقف عن الدراسة منذ الابتدائية واندمج في أوساط الموسيقيين وعمل معهم عازفا على الطبلة. اى «طبالا» ولا مؤاخذة.

كنت ازوره بين حين وآخر فيفرح بزيارتي جدا ويقدمني لاصحابه بفخار فلان بيه رئيس اقسام كذا بمصلحة كذا.. وكنت اميل عليه واسأله قرضا فيقدمه لي بسماحة ويصبر على حتى ويأتي الفرج وارده اليه.. والفرج هنا هو منحة من الحكومة في مناسبة من المناسبات وخلال متاعبي فكرت في ان اجد حلا لمشكلتي بالعمل بعد

الظهر لكن ماذا يستطيع موظف كتابي مثلى أن يعمل وهو لا يعرف احدا من اصحاب الشركات! وفي احدى المرات.. كان الحال قد ضاق بي الى اقصى حد فتوجهت إلى صديقي في باب الشعرية.. وشكوت له همومى.. فبادرني باقتراح غريب: ولماذا لا تعمل معنا يا سيد فلان؟.. قلت وماذا استطيع ان اعمل؟ وببساطة شديدة قال لي لقد تركنا عازف « الصاجات، امس وطلبت مني الست « راقصة درجة اولى يعمل معها» أن احضر لها «نفرا» غيره الليلة ضرورى، قلت:

كيف وانا لا اعرف شيئا عما تقول.. قال لي.. المسألة بسيطة جدا ستمسك بهذه الصاجات هكذا وتدق بها هكذا.. وسأكون بجوارك وارشدك إلى ما تفعل وهو عمل هين وسوف تقبض عنه 5 جنيهات كل ليلة تعمل معنا فيها ولا أطيل عليك.. قبلت العمل.. واستعرت منه بدلة سوداء وفي المساء ذهبنا مشيا على الاقدام الى ميدان التحرير ووقفنا أمام أحد المقاهي المعروفة فيه.. وفي الحادية عشرة جاء ميكروباس فاخر فحملنا مع غيرنا من العازفين الى احد ملاهي الهرم.. فكل راقصة تملك سيارة ميكروباس تنقل فرقتها من وسط المدينة إلى الهرم وتعيدهم إلى ميدان التحرير اخر الليل حيث يتفرقون إلى مساكنهم وبعضهن يملكن سيارات اتوبيس سياحية وجاءت اللحظة الرهيبة ولبست الصاجات ووقفت بجوار صديق الطفولة وكلما اشار اليّ بعينه ادق بالصاجات حتى يشير لي مرة أخرى!.

وبدأت هذه المرحلة الغريبة من حياتي.. قلت لزوجتي اني وجدت عملا في حسابات مطعم من مطاعم الهرم.. وحين اقف على مسرح الملهى اضع على عيني نظارة سوداء. ثم البس الصاجات وأدق! ولا تسلني عن شعورى وانا افعل ذلك.. والحمد لله فان رواد الملاهي التي تعمل فيها ليسوا من عالمنا بالرغم من أن 98 ٪ منهم من المصريين.. لكنهم ليسوا المصريين الذين اعرفهم في عملي ولا في وسطى الاجتماعي..

عرفت الشبع بعد الجوع شبه الدائم وعرف أولادي التليفزيون الأبيض والاسود وأصبحت ألبي مطالب امي واختي وزوجتي، فأنا أكسب من هذا العمل حوالى 120 جنيها كل شهر لكني حائر وخائف.. خائف أولا من افتضاح أمري في المصلحة الحكومية التي اعمل بها والذي قد ينتهي بفصلى من الخدمة وحائر لانى وان كنت غير راض عن نفسى فهل أجد حلا آخر لمشاكلى في رأيك؟»

∞∞∞∞∞

الحق أن كاتب هذه الرسالة قد وضعني في مأزق لم اجربه من قبل. اذ لا استطيع ان اوافقه على ما صنعه في ضوء اعتبارات الوظيفة وما يليق وما لا يليق وفي ضوء الاعتبارات الدينية والأخلاقية العامة ومن ناحية أخرى لا استطيع ان ادين تصرفه تماما في ضوء الظروف الاجتماعية القاسية، وفي ضوء قانون الضرورات التي تبيح المحظورات بل وفي ضوء كلمة الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري منذ 14 قرنا: «عجبت للرجل لا يجد قوت عياله.. كيف لا يخرج على الناس شاهرا سيفه» وهو في النهاية لم يشهر على احد سيفه.. ولم يسرق ولم يرتش.. ولم يقتل.. فماذا اقول له؟

قد اقول له لماذا لم تجهد نفسك في البحث عن طريق آخر غير مكروه أو لماذا لم تشتر بمرتبك كله ماكينة خياطة مستعملة تعمل عليها زوجتك واختك فتساهمان في تكاليف الاسرة لكني على اي الاحوال اعرف تماما أنه ليس المعزى كالثاكل وان كلمات النصح والارشاد سهلة لكن الحياة شديدة الوعورة!.

∞∞∞∞∞

رجل مهم..

أكتب إليك هذه الرسالة.. ولعلها الأولى في حياتي التي اكتبها الى شخص لا اعرفه لأنني في مفترق طريق.. او في احدى المراحل التي تشهد فيها حياة الانسان تحولا خطيرا كالزواج والعمل وإنجاب الأطفال.. والمعاش.. أو الطلاق.. وهي كلها محطات، يحتاج فيها الانسان الى ان يتوقف ويعيد حساباته ويستعد لما هو مقدم عليه.. ولعلك تتساءل يا سيدي في أي محطة من محطات العمر أنا الآن وأفضل الا اجيب عن هذا السؤال قبل ان احكى لك لمحات قصة حياتي لعل فيها بعض الفائدة على ولغيري من السيدات وللرجال ايضا.

انني.. سيدة تعلمت في المدارس الاجنبية وعشت حياة سعيدة عادية بين أبي وأمي وأخواتي وحين اتممت العشرين من عمري تزوجت من شاب رأيت فيه كل ما اتمناه في شريك الحياة.. كان شابا وسيما يشغل وظيفة محترمه لها هيبة خاصة لدى الناس مرح منطلق مقبل على الحياه ومنذ الأيام الأولى لزواجنا أحببته وتعاونا معا باخلاص على ادارة عشنا الصغير. كان يقبض مرتبه اول كل شهر فيعطيه لي لانفق منه طوال الشهر وأخصص له مصروفا يوميا اعطيه له وهو خارج إلى عمله في الصباح المبكر وكنت أرقبه من شرفة البيت وهو يتخايل بقامته الممشوقه وجسمه الرياضي في طريقه إلى السيارة «الميرى» مرتديا نظارته السوداء التي كانت من ملامح شخصيته وشخصية كثيرين من زملائه.

وحين كان يركب سيارته وينطلق إلى عمله كنت اعود الى داخل شقتى فأفتح الراديو.. وأنظف البيت وأنا استمع إلى برنامج ربات البيوت وأطهو الطعام مع أغاني الصباح.. فقد رفض زوجي أن أعمل بعد انتهاء دراستى وفضل أن أتفرغ له ومضت حياتنا هادئة.. وجاء الابناء واحدا بعد الاخر فعرفت أحاسيس جديدة ومشاغل جديدة وأصبحت أوقات فراغي أقل وسعادتى اكبر، كان زوجي يتحدث دائما عن شخصية هامة كان لها شأن عظيم في ذلك الوقت.. كان للمصادفة من زملائه و كان أصلا لا يحبه ويقول عنه انه مغرور ومعقد و عامل مهم، لكنه ذلك يحرص على زيارته في مكتبه مرة كل اسبوع على الاقل.. ويحرص على مجاملته ويقف امامه «زنهارا»، كأنه من أتباعه، وكان صاحب الشخصية الخطيرة من هواة اصطناع الاتباع وذات يوم فوجئت بزوجي المحبوب يقول لي استعدى سننتقل إلى طبقة الحكام.. فقد وعده فلان بيه، بمنصب كبير ونفذ وعده فعلا ونقل زوجي بعد أيام الى وظيفة هامة وأصبحت له سيارة سوداء بسائق خاص وانتقلنا من بشقة الزواج الى شقة كبيرة فاخرة في حي من ارقي الأحياء كانت لأحد الخواجات الذين فرضت عليهم الحراسة وإيجارها لا يتعدى جنيهات، ووجدت في خدمتى فجأة « شحط، طويل متفرغ تماما لتلبية طلبات البيت وتوصيل الأولاد للمدارس. وبدأت الاحظ اننا قد أصبحنا «أناسا مهمين» بالفعل إذا أساء بائع في السوق الأدب معى وأخطأت فحكيت الحكاية لزوجي من باب التسلية.. سألني باهتمام شديد عن هذا البائع وعن إسمه ثم يصمت وبعد أيام أفاجأ بالبائع نفسه واقفا على باب الشقة يبكى ويحاول تقبيل يدى قائلا: يا ست هانم حرام عليك انا عندي أولاد سامحيني وخلى

البيه يسامحني فامتنعت من يومها أن أحكى له حكاية مماثلة.. اما احتياجات من الأسواق فانها تلبي على الفور من احسن الأنواع وبأرخص الاسعار. وفي عز الأزمات التموينية كانت احتياجاتي كاملة.. لي ولاسرتي ولكل من يطلب مني ذلك من جاراتي كما كانت كل ملابسنا مستوردة من بيروت وغزة واليمن في وقت كانت فيه قطعة قماش مستوردة تعد معجزة من المعجزات وبدأت ألاحظ أن طبيعة زوجى قد بدأت تتغير.. وان روحه المرحة قد بدأت تتراجع وأن وجهه قد بدأ يكتسب ملامح صارمه مخيفة وأن أحاديثه معي ومع الابناء قد اصبحت مقتضبة او إشارات من يده او هزات من رأسه.. فاذا تكلم لا يتكلم الا آمرا! واصبح من برنامج حياتنا أن أزور بالامر زوجة «فلان بيه» كل فترة وان أجاملها في كل المناسبات دون أن تكلف نفسها عناء مكالمتي تليفونيا مرة، وكنت أتعجب من أنها تلومني اذا تأخرت في السؤال عن ابنها المريض بالأنفلونزا، ثم لا تكلف خاطرها بأن تسأل عني وانا مريضة بالمستشفى بعد جراحة الزائدة الدودية وكنت اقول انها ليست صديقة وانما هي تعتبر نفسها «رئيسة» لزوجات كل من يرأسهم زوجها.. فاذا شكوت ذلك لزوجي قال لي «فتحي مخك» النظام كده.. وأهو انت عندك زوجات المرؤوسين لى اعملى معاهم نفس الشيء!

وواصل زوجى صعوده فشغل منصبا أكثر خطورة واصبحت له امتيازات كثيرة. واصبح عدد السيارات المخصصة له ثلاثا.. وأصبح «الشحط» الذي يقف بجوار باب الشقة أربعة رجال عمالقة يتناوبون الوقوف ليل نهار أمام باب البيت.. كأن احدا يدبر لقتلنا او اختطافنا، مع ان الحكاية لا تستأهل، كل هذا وفي هذه الفترة حصلنا على شقة واسعة في قلب مدينة الاسكندرية كان يسكنها ايضا، خواجات، ممن سافروا من مصر بايجار زهيد وأصبحنا نمضي الاجازات فيها.. وفي هذه الفترة ايضا اشترى زوجى قطعة أرض مبان في مدينة نصر بسعر المتر جنيهين وبالتقسيط وهي نفس القطعة التي بلغ سعرها بعد عشرين سنة اكثر من مائتي جنيه للمتر الواحد..

وإطمأننا إلى مستقبل الأولاد بهذه الأرض وبمدخراتنا.. لكن ما اصبح يشغلنى هو زوجي نفسه. فلقد أصبح انسانا غريبا عنى لقد مضي يزداد صمتا وصرامة وغموضا وإنشغالا عني.. ومضى يزداد استغراقا داخل نفسه كأن لم تعد له شريكة حياة. ولأن الحياة لا تمضي على وتر واحد دائما..

فلقد جرى علينا ما يجري على الآخرين من تقلبات.. وصحونا ذات يوم على احداث وتغيرات وزلازل و رهيبة في يونية 1967 وانتهى الأمر بخروج زوجي من عمله. وليت الامر اقتصر على ذلك فلقد تغيرت دنياه كلها خلال فترة لا تزيد عن شهور وبدأ الزلزال بسقوط «فلان بيه» وسجنه.. ثم سقوط كثيرين من أبناء جيل زوجي.

وفي البداية نظر زوجي إلى الأمر باستهانة.. وواثقا من أن البلد «حتروح في داهية» وانها ستعرف له ولزملائه قدرهم خلال وقت قصير، وانها ستعود اليهم لترجوهم العودة إلى تحمل مسئولياتهم الخطيرة من جديد ولإنقاذها.. وانه ساعتها سوف «يفكر» طويلا قبل أن يقرر هل يقبل العودة لخدمة هذا البلد، ام لا؟.

لكن الأمور مضت في طريق لا عودة فيه.. وفي كل يوم يختفي من الحياة شخص جديد من عالمه القديم او يدخل السجن شخص اخر كان يهتز في اعماقه ويتوجس خيفة.. لكنه يتظاهر برباطة الجأش وواجهت معه فترة عصيبة في حياتنا. لم تكن احوالنا سيئة فلقد كان لدينا 3 شقق في القاهرة والاسكندرية وقطعة ارض للمبانى وكان لدينا سيارة هي أول سيارة اشتريناها من مالنا وكانت شقتنا بمجهزة بكل الكماليات وله معاش مناسب ولدينا بعض المدخرات، وقد استسلم زملاؤه لمصيرهم بعد فترة.. وشغلوا انفسهم في مشروعات تجارية صغيرة او انشطة خاصة فهذا يرى العجول في مزرعته وهذا أقام مزرعة دواجن. وذاك افتح معرضا للسيارات.. الخ. اما زوجى فقد تأزم تماما وتعقدت شخصيته بدرجة خطيرة.. واصبح عمله الوحيد هو الذهاب الى النادي في الصباح بعد ان يرتدي ملابسه الكاملة في عز الصيف ويرتدى النظارة السوداء.. ثم يمشى بوقار إلى السيارة التي استأجر لها سائقا يتقاضى ثلث معاش زوجى بلا ضرورة وفي النادي يجلس زوجى مع بعض زملائه القدامى.. يتحدث في الأمور العامة ويدلى بأرائه بثقة ويشرب القهوة.. ثم يعود الى البيت في الظهر فلا يغادره حتى اليوم التالي.

وفي البيت بدأت ألاحظ عليه تصرفات غريبة مع مرور الأيام والسنين فلقد بدأ يدخن المخدرات كل يوم من الظهر حتى ينام ويمضي الوقت ساهما سارحا، فاذا تحدث اصبح الحديث الوحيد له هو و أمجاده، وما فعله، للبلد، فاذا جاءت سيرة احد الكبار في ذلك الوقت أيا كان موقعه قال ببساطه فلان ده كان هنا بييجي يلبسني هدومي الصبح وانا نازل للشغل، او فلان ده كنت باضربه على قفاه كل يوم او فلان ده اسألوه يقولكم إنى استاذه وانه ما يقدرش يقعد قدامى، وكنت اسمع ذلك واتألم لما آل اليه حاله.. لانه كان «يكذب» امامى وانا شريكة حياته التي تعرف عنه كل شيء ولم يكن يحزنني حالته في البيت. بقدر ما كان يحزنني حاله في النادي وخارج البيت فقد بدأ يفتقد الاصدقاء والجلساء الذين لا يستطيعون «تحمل» هذا «الفشر» وهذه الكبرياء الكاذبة، أما خارج النادي فلقد اصبحت خناقاته، كثيرة مع كل من يتخيل انه لم يبدِ نحوه الاحترام الكافي وكنت اسمع حكاياته من الجيران وأبكى.. فلقد بهدل نفسه كثيرا مع اناس ليسوا على استعداد لتحمله، اما حاله الأولاد فلقد اصبح محزنا بالفعل، فقد اصبح لا يحتمل أي مناقشة لرغبة من رغباته ولا يتحمل مخالفته في أي شيء واصبحت كلمته في أي أمر يتعلق بى او بشئون الأبناء لا راد لها ولا مناقشه فيها. وبدأ الاولاد يتذمرون خاصة وقد اصبحوا شبابا وتزوجوا فاذا راجعته في ذلك انفجر حانقا.. وكلما نصحته بان يمارس اى عمل لكي لا يؤذيه الفراغ أهانني وخاصمني.. حتى أصبحت حياتي معه جحيما لا يطاق خاصة بعد أن استقل الأبناء بحياتهم وتجنبوه بقدر الامكان تفاديا للمشاكل والإهانات.

الى ان جاء يوم وحدث خلاف عادى من خلافاته معي لكنه طال هذه المرة لأنه رفض محاولاتى للصلح معه ثم فوجئت به يجمع الأبناء ويعلن عليهم قرارا خطيرا إتخذه هو.. طلاق! يا رب.. طلاق وأنا في الستين وبعد هذا العمر الطويل.. وبعد ان تزوج الابناء ولم يعد لكل منا سوى الاخر..

لقد حاول الأبناء اثناءه عن ذلك لكن كيف يرجع في قرار اتخذه وهو الذي كان يتخذ أخطر القرارات ويتمسك بها ولا يجرؤ احد على معارضته «طلاق يعني طلاق» وجاء المأذون في يوم حزين وتمت المراسم الكئيبة في نفس البيت وامام الأبناء وأصبحت بجرة قلم مطلقة في الستين بلا امل ولا مستقبل.

إنى اكتب اليك لاسألك ماذا تفعل سيدة مثلى في هذا العمر حين تفاجأ بالطلاق واين تقيم؟ وكيف تواجه حياتها بعد نفاذ النفقة هل أمد يدي لأولادي في هذه السن ولماذا يسمح قانون الأحوال الشخصية بالطلاق بلا سبب كما حدث معي؟ او بسبب ازمة نفسية لا سبب لي فيها يعاني منها الزوج..

وهل فكر مشرعو القانون في وضع مطلقة مثلى في هذه السن أين تذهب واين تقيم والزوج يقيم وحده في شقة من 6 غرف وهل لديك جواب على هذه التساؤلات؟

∞∞∞∞∞

سأعلق على هذه الرسالة باختصار شديد لاني آثرت ان اخصص معظم المساحة للقصة التي ترويها لأنها تنقلنا معها إلى عالم غريب لم تقترب منه رسائل البريد من قبل. انه عالم الأشخاص المهمين.. ومأساتهم ومأساتنا أيضا معهم!

ولكاتبة الرسالة اقول اني عاجز بالفعل عن ان اجد إجابات مقنعة لتساؤلاتك الحائرة وأرجو أن يجيب عنها من هم اقدر مني على الإفتاء في هذا الشأن، وعاجز أيضا عن أن أفهم كيف يمكن أن يتدهور شخص مهم او كان مهما الى هذا الحد لمجرد أن دنياه قد تغيرت وانه لم تعد له نفس السطوة التي كانت له ذات يوم. إنني أعرف تماما أن انعدام الدور محنه ومحنة قاسية لكنها ليست نهاية الحياة ولا ينبغي أن تكون كذلك فهناك اشخاص كثيرون يتوقف دورهم في كل حين فلا يتحولون إلى شخصيات مريضة مشوهة وانما يتقبلون الأمر بواقعية ويتكيفون مع واقعهم الجديد لأنها سنة الحياة ولأن لكل زمان رجال.. ولان الرجل الكبير حقا هو من يرى نفسه اكبر من منصبه مهما علا هذا المنصب فاذا فقده فانه لا يفقد نفسه معه لكن مأساتنا أن « الصغار، أحيانا يتسللون إلى مواقع الكبار فاذا فقدوها فقدوا معها كل اتزانهم وحكمتهم وتحولوا إلى اشباه مجانين!.

ومأساة بعض افراد هذا الجيل الذي يمثله زوجك بكل اسف هي، أنهم لا يتحملون، أبدا ألا ويخافهم، الناس!.. فاذا فقد الناس خوفهم منهم إنهاروا كالاطفال وتحولوا إلى شخصيات ممزقة تهرب من واقعها الجديد إلى عالم خرافي لم يعد له وجود إلا في خيالهم وزملاء زوجك الذين تكيفوا مع الحياه وربوا الدجاج والعجول هم في رأيي اشجع منه وأفضل واكثر فائدة للحياه وللمجتمع، ولو فعل مثلهم لأضاف زوجك إضافة جديدة إلى نهر الحياة المتدفق الذي لا يتوقف ولا ينتظر أحدا، ولو مارس أي عمل لأنقذ نفسه من جنون الفراغ واجترار الماضي، ولما انفصل هذا الانفصال الرهيب عن الواقع حتى ليتخيل نفسه بعد عشرين سنة الرجل الخطير الذي يصدر القرارات الخطيرة كقرار طلاقك في هذه السن فلا يتراجع عنها مهما كانت قراراته خاطئة ومهما كانت كارثة. ولا شك أنه - سامحه الله - قد أتحفنا ببعض هذه القرارات الجليلة الشأن ايام مجده فساهم في تعقيد حياتنا وفي مضاعفة صعوباتها ثم

رفض أن يتراجع عنها.. وهيهات أن العظماء أمثاله اخطائهم.. انها ليست مأساتك وحدك وانما هى مآساة هذا الجيل من الحكام الصغار الذين عانينا منهم مثلما تعانين واكثر..

ومأساتك يا سيدتي أن زوجك رجل مصاب بجنون العظمة وقد تفاقم جنونه مع تدفق المياه في نهر الحياة بغير آن تعود مرة اخرى الى الوراء لترمى تحت قدميه.

وهيهات أن تعود ومن عجب ان المصابين بهذا الجنون يتفاقم إحساسهم بالعظمه بعد زوال اسبابها ومبرراتها.. كأنهم يريدون أن يؤكدوا لأنفسهم ما يكتبه الواقع كل يوم.. ويصرون عليه كلما تباعدت ذكراه.

والحق أن زوجك هذا ليس عظيما ولو كان عظيما بحق لما عرضك لهذه المحنه الشخصية بعد هذه الرفقة الطويلة بحلوها ومرها ولو كان رجلا بحق لما شردك من بيت الزوجية بعد هذا العمر الطويل. وبغض النظر عما يقضي به القانون ولتخلي لك هو عن بيت الزوجية رحل حقيبته معه إلى حين ألقت قدماه مادام مصرا على الطلاق وهو والحمد الله قادر على أن يجد لنفسه مأوى كريما في القاهرة او الاسكندرية.. أو في أي مكان. والبركة في شقة الحراسة التي حرم منها الشعب واحتكرها الحكام الصغار من جيله.. وفي ارض مدينة نصر التي يمكن أن تشتري له شقة في اسبانيا لو اراد!.

لكنه ليس عظيما ولا خطيرا.. ولا رجلا.. وانما هو احد هؤلاء الصغار الذين حملتهم الامواج بالصدفة إلى مواقع الكبار.. فكان صعودهم نكبة علينا وكان انهيارهم نكبة عليكِ وعلينا فلك الله فيما تلاقين.. ولنا ايضا فيما لقينا وفيما نلقى منهم ومن امثالهم وحسبنا الله ونعم الوكيل..

∞∞∞∞∞

فتاة من قاع المدينة..

أعتذر في البداية عن أية لمحة ألم قد تسببها قراءة هذه الرسالة اللاذعة للبعض، واعترف انني حاولت ان اخفف قليلا من الصورة القاعة الي ترسمها للحياة في قاع المدينة.. فنجحت في بعض فصولها وفشلت في فصول أخرى.

تقول كلمات الرسالة:

«انا فتاة عمرها 18 سنة اقول لك في البداية إنني لا أكتب إليك هذه الرسالة لاستعطفك او لأثير عطف أحد قرائك فالحق انني لا اقبل العطف من أحد ولو كان من أقرب الناس.. واكره نظرة الشفقة في عين احد ولو كان قريبا مني لكني اكتب اليك هذه الرسالة لأروي لك قصة حياة أناس قد لا يعرف بعض قرائك الكثير عن حياتهم وقد لا تلقون بهم كثيرا..

وسأروي لك كل شيء بصراحة مهما كانت جارحة أو مثيرة للقرف..

وأرجوك ألا تحس بالغثيان وأنت تقرأ بعض تفاصيل حياتي، لقد عرفت الفقر منذ طفولتي.. وعاشرت المرض منذ تفتحت عيناي للحياة فقد ولدت في غرفة مظلمة لا ترى النور ولا تعرف الماء.. وترعرعت كما يقولون في وسط محروم من كل شيء يضيء بلمبة الجاز ويشرب من ماء الطلمبة ومضت طفولتي بطيئة.. لكن عن أى طفولة أتكلم.. أن أمثالى لا يعرفون الطفولة التي يتحدث عنها الآخرون.. لذلك فسأروي لك بعض لمحات من هذه الفترة التي أسميها طفولتي لم أعرف في طفولتي سوى قماش الدمور الرخيص رداء خارجيا وداخليا في نفس الوقت.. لم ألبس طوال طفولتي فستانا مما تلبسه الصغيرات لا جديدا ولا مستعملا مما تخلعه بعض الأسر على أطفال الفقراء، لم أخذ في حياتى قرشا أو نصف قرش في يدي عند الذهاب إلى المدرسة كما يفعل الأطفال.. وستسأل وهل دخلت المدرسة. فأقول لك دخلتها رغم كل هذه الظروف فان ابي المكافح العامل في أحد المصانع قد حرص على تعليمي أنا وأخوتى الأربعة.. آملا أن ينقذنا من مصيره هو..

وفي المدرسة كنت أرى الأطفال يشترون المصاصة ويمصونها فيتحلب ريقي ولا استطيع شراءها، ورغم كل ذلك مضت بنا الحياة ونحن نقاوم أبي وأمي وأنا وأخوتي، ثم تدهورت بنا الأحوال، وفقدنا غرفتنا المظلمة في انهيار المنزل، واضطررنا للسكني في بدروم عمارة تمليك مكونه من ١٠ شقق، بلا أجر ندفعه في مقابل خدمة سكان العمارة كلهم والقيام باعمال بواب العمارة، وتصورنا أن متاعبنا قد انتهت لأن البدروم اوسع من الغرفة.. لكن مالقيناه ومازلنا نلاقيه كان أشد وأقسى.. خمسة أولاد ثلاث بنات وولدان أنا اكبرهم في المدارس جميعا مطلوب منهم النجاح واجتياز عقبات المجموع للاستمرار في التعليم المجاني، لكن كيف يذاكرون دروسهم وهم جميعا في خدمة سكان العمارة في اي وقت من الليل أو النهار.. روحى هاتى عيش.. اكنسي السلم.. اغسلي العربية.. هاتي المكوة.. وصدقني إن هذا يحدث طوال النهار بلا مبالغة.. فكيف نذاكر دروسنا وكيف نجيب

المجموع المطلوب؟ ورغم كل هذا العذاب فقد واصلت دراستي وحصلت على دبلوم التجارة لكن اختى رسبت.. وأخي على وشك الرسوب هذا العام لنفس السبب..

وحين افكر فيما يحدث لنا أسأل نفسي: وماذا يستطيع أبي وأمي أن يفعلا؟

إنهما يغالبان الفقر والمرض والظروف القاسية بلا هوادة.. إنني أتعذب حين أرى أبي عاريا نازلا في بالوعة المجارى لكي يسلكها في عز الليل والناس نائمون والدنيا مطر.. لاننا عاجزون عن النوم لأن مياه المجاري طافحه وبللت المراتب التي ننام عليها.. لقد زارتنا كل أمراض الدنيا.. بسبب الحياة مع المجاري في بدروم واحد.. وتلطمنا بين العيادات الخارجية للمستشفيات المجانية.. والمستوصفات الخيرية نتعالج بالمزيج والحديد والزرنيخ.. وقاومنا الأمراض فنجونا من بعضها.. واستقر فينا بعضها الآخر.. وانا شخصيا بقى عندي من الأمراض مرضان جليلان هما المرارة.. والتبول اللارادى اثناء الليل، وأسفة لأن أقول ذلك بلا خجل لكن هذه هي حياتنا.. ورغم كل ذلك لا نعدم من يؤذي مشاعرنا بجهل او بحماقة.. فانا مثلا قد اسمع وأنا ماشية في الطريق واحد معندوش دم يقول لي اهلا يا بوابة. وأخي وأختى رغم صغر سنهما حاولا الانتحار بسبب كلام زملائهما لهما في المدرسة بسبب فقرها وعملهما في خدمة السكان وكل ذلك بسبب البدروم اللعين صحيح إن مرتب أبي الآن كويس لكن من اين يأتى بخلو رجل لغرفتين في أي مكان.. أما أنا فلقد حصلت على الدبلوم وجلست في البدروم بلا عمل ومفيش فلوس راضية تيجي أبدا كأن بيننا وبينها عداء مستحكما ونحن جميعا إخوتي وأنا نمضى النهار بطوله دون أن نمسك عشرة قروش نستطيع أن نشتري بها شيئا خاصا لنا وسأكون صريحة معك بالرغم من أنني لا أعرفك، كلما ضاقت بي الدنيا فكرت في الطريق الخاطيء لاية فتاة لانقذ نفسي من هذه الحياة لكني اراجع نفسي وأقول لها ان الشرف هو أغلى ما أملكه فكيف أضحي به وفي النهاية أقول لك اني اقرأ في بابك رسائل لفتيات يشكين هموما تبدو بالنسبة لى ثانوية.. او دلعا لا يستحق الوقوف عنده وأحس أحيانا عندما أقرأ رسالة من هذا النوع أني أريد أن أمسك بشعر كاتبة هذه الرسالة وأن أجرها إلى بدرومنا لترى الهموم الحقيقية التي يعانيها البشر.. لعلها ترضى عن حياتها وتترك لنا نحن أن نكتب لك لنفضفض معك بلا اى امل في الحل عن بعض همومنا والسلام عليك.

∞∞∞∞∞

واجد نفسي أقول لها بلا وعي وأنفاسي مبهورة من ملاحقة عباراتها التلقائية اللاذعة. بل السلام عليكِ أنتِ يا صديقتي فأنت التي تستحقين الإعجاب لصمودك وقوة احتمالك وقبل كل شيء لرفضك الانسياق وراء وساوسك. ولقد ادركت جوهر المسألة... حين عرفت انكِ اذا اقدمتِ على ما فكرتِ فيه فانكِ بذلك تكونين قد اهدرت رحلة كفاحك المريرة هذه ورحلة كفاح أبيك البطل في تربيتك وتعليمك رغم الأهوال، انت من هذه الناحية تستحقين كل الإعجاب وتستحقين أن تفخر بصداقتك اى فتاة كريمة.. بقى بعد ذلك.. أن اقول لكِ إنك رغم كل المرارة والألم لستِ وحدك فيما قاسيت في طفولتك وفيما تقاسين الان.. ولربما كان هناك من قاسي الاهوال أكثر مما قاسيتِ وأنتِ رغم كل ذلك مازلتِ في بداية حياتك ولابد أن نأمل في أن

تكون الفصول التالية أكثر إشراقا وأقل معاناة فنحن لا نستطيع يا صديقتي مهما بدا الطريق أمامنا صعبا أن نكف عن الأمل أو أن نتوقف عن محاولة اختراق السدود وقفز الحواجز.. فلابد أن نأمل دائما في غدٍ أفضل والا أصابنا الجنون واستسلمنا لليأس والإحباط.

لابد أن نأمل دائما في المستقبل مهما بدا الحاضر عقيما وغير مبشر بالامال..

إنني لا اخدرك بالأمل.. لكني أدفع عنك اليأس والإحباط والهموم بوابة الشيطان إلى عقل وقلب الانسان لابد أن ننظر إلى الأمام دائما بوجه مبتسم حتى ولو ظن بنا البعض البله فالأمل هنا دفاع عن النفس ضد الجنون وضد شرور عديدة.. وليس استغراقا في الوهم والأحلام وتذكري دائما أن **أكثر لحظات الليل سوادا هي اللحظات التي تسبق مباشرة ظهور أول ضوء في الفجر** لذلك فإنه لابد أن يحين فجر يوما ما وسوف يحين بكل تأكيد في يوم (6) قريب ربما كان اقرب كثيرا مما تتصورين.

∞∞∞∞∞

رجل الأسرة

أنا يا سيدي رجل في السابعة والثلاثين تزوجت منذ حوالي 15 سنة من زوجة شابة جميلة في مثل سنى كريمة الخلق، وعشنا معا في سعادة تامة.. اكتملت بمجيء ابننا الصغير بعد عام ونصف من الزواج.. وقررنا أن نأتي له من عالم الغيب بأخت أو بأخ ثم نكتفي بذلك ونشكر الله على ما أعطانا ونواصل حياتنا في سعادة وفعلا حملت زوجتي، وقبل أن تضع مولودها كانت حرب أكتوبر قد اشعلت وكنت قد اشتركت فيها فقد كنت ضابطا بالقوات المسلحة، وخرجت منها بشلل نصفي أقعدني عن الحركة.. ولست بحاجة لاقول لك إن حياتنا قد تغيرت بالكامل بعد ذلك.. وانني نظرت إلى نفسي فوجدتني أبا لطفل عمره عام ونصف العام والمولود في علم الغيب وزوجا لشابة صغيرة جميلة مليئة بالحيوية.. ففكرت طويلا ثم طلبت منها أن تدعني لمصيرى وان تسعد بحياتها.. وأن تجرب حظها مع غيري فرفضت بكل اباء ومنعتى من العودة إلى مثل هذا الحديث وقالت لي إنها لن تتخلى عني وانها ستقف معي إلى أن اعمل وأمضينا عامين طويلين في رحلة العلاج وهي تسحبني كل أسبوع عدة مرات إلى جلسات العلاج الطبيعي. بلا أي تقدم فبدأنا نسافر وراء الأطباء بحثا عن أمل وأرهقتنى تكاليف العلاج وأصبح معاشي لا يكفيني وعشت أياما سوداء وكان أشقائي الأصغر يأتون لزيارتي ثم يدس الواحد منهم في يدي بعض المال وأنا حبيس الكرسي المتحرك قائلا.. هذا شيء بسيط للاولاد.. أو للدواء، وفعل نفس الشيء معي كل أقاربها، واستمرت رحلة العذاب بلا أمل حتى بدأت أنهار وأرفض الذهاب إلى جلسات العلاج الطبيعي أو إلى عيادات الأطباء، لكن زوجتي لم تيأس ولم تنهر ولم تضعف وتعلمت كل التدريات الرياضية المطلوبة واصبحت تجربها لي في البيت حتى استطعت بفضلها أن انتقل من السرير إلى المقعد المتحرك بلا مساعدة أحد، لكن أزمتنا المالية استمرت بل زادت صعوبتها مع وصول الأبناء إلى سن الدراسة وكانا قد أصبحا إبنا وابنة بعد وصول ابنتي التي جاءت إلى الحياة وأنا حبيس المقعد المتحرك، وأصرت زوجى أن تلحق أبني وأبنتي بالمدارس الاجنبية كما كنا نحلم ونحن في بداية حياتنا وكلنا صحة وشباب والدنيا ممتدة امامنا..

وقررت أن تخرج للعمل لكي توفر دخلا إضافيا مع معاش يكفي لمصاريف المدارس واشتراك النادي والدروس الخصوصية وعملت في إحدى الجهات، ثم انتقلت منها بعد فترة إلى شركة استثمارية بمرتب اكبر وكانت تعود منهكة لتعد الطعام وترعى الأبناء ثم لتساعدني في قص شعري وأداء التمارين.. وفي الإغتسال وفي أشياء أخرى أخجل من ذكرها ويحتاج فيها أمثالي إلى مساعدة غيرهم، وكانت رغم كل ذلك سعيدة راضية دائما تقول كل يوم لإبنيها.. بابا بطل.. وبقي كده لأنه كان بيدافع عن مصر.

ولم أسمعها طوال هذه السنوات الطويلة الكئيبة تشكو أو تتذمر أو تبدى اعتراضا على مشيئة الخالق، وإنما تقول دائما إنها إرادة الله وعلينا أن نمتثل لها، وكانت تحاول جاهدة ألا تخرج كثيرا.. ولا تذهب حتى إلى اسرتها لكيلا أحتاج إليها فلا

اجدها.. ولا تحاول أن تتزين أو تسرف في الاهتمام بأناقتها لكي تتجنب إثارة غيرتى.

ومضت حياتنا هكذا وبمرور الأيام بدأت أشعر أن دورى كرجل الأسرة وعائلها قد بدأ يتراجع في حياة أولادي كثيرا فإذا طلبت المدرسة ولي أمر أحدهما فان زوجتي هي التي تذهب اليها.. وهي التي تحضر اجتماعات مجلس الآباء.. وحفل توزيع الهدايا على المتفوقين الخ، وإذا تطلب الأمر شراء ملابس للأبناء فانها هي التي تصحبهم معها لتنزل الى المحلات وتشترى لهم ما يريدون وشيئا فشيئا بدأ الأبناء يتجهون بمطالبهم إلى أمهم مباشرة مادامت هي التي تشترى وهي التي تذهب الى المحلات.. أما أنا فلقد بدأت اكيف حياتي مع ظروفي الجديدة.. وأحاول أن أقوم بما يسمح به جهدي المحدود من أعمال تخفف عن زوجتي بعض أعباء البيت، وأصبحت بعد فترة قصيرة أصحو مبكرا.. وبعد انصراف زوجتي والأولاد للعمل والمدرسة اتجول في الشقة بالكرسي المتحرك فأقوم بتقشير خضار اليوم وأغسل بعض الأطباق وبعض الجوارب والمناديل ثم اطبخ ما أستطيعه من خلال الكرسي المتحرك، وأصنع كل ما أستطيعه لان زوجتي تعود في السادسة مساء فتقوم بترتيب البيت وتتفرغ لخدمتى والأبناء ومساعدتهم في الاستذكار.

وأصبحت أشعر داخليا أنني «ست البيت» وانها هي رجل الأسرة الذي يتحمل كل المسئوليات.. وآلمني ذلك كثيرا.. ولكن ماذا كنت أستطيع أن أفعل ولم يكن لي حيلة فيما جرى.

وذات يوم وكنا في بداية الصيف جاءني ابني يطلب مني السماح له بالذهاب مع بعض أصدقائه في رحلة إلى مرسى مطروح، فرفضت لأني أرى أنه مازال صغيرا على القيام برحلة بمفرده مع اصدقائه بلا رقيب كما انه غير مستعد للاعتماد على نفسه، ولم تعلق زوجتي على ذلك وسكتت لكني فوجئت بابني بعد ذلك بأيام يناقشني في ذلك ثم يقول لي فجأة: ليس من حقك أن تسمح أو تقبل ذهابي إلى الرحلة، وماما هي صاحبة القرار لأنها هي التي تعمل وتكسب بينما أنت جالس في البيت طوال النهار على هذا الكرسي بلا عمل!

كنت وحدي على مقعدى في ركن التليفزيون من الصالة و كانت زوجتي في العمل وابنتى تشترى شيئا من الخارج وذهلت وأحسست بالبرودة تتسلل إلى كل جزء من جسمى.. ثم انتفضت ورفعت يدي لأصفعه.. فوجدت يدى ترتخي ثم قطرات من الدمع تقفز من عيني حتى لأراها أمامي وصدقني إنها كانت تقفز ولا تسقط إلى اسفل لأن قوة الدفع وراءها كانت شديدة.. فاذا بها تدفعها للامام لا إلى تحت..

دارت الدنيا بي يا سيدي.. ولم أعد أراه أمامي.. ولا أرى شيئا ولم أشعر بشيء إلا وهو يبكي ويقول لي « معلهش» يا بابا حقك على يا بابا أنا آسف يا بابا، ثم يقبل رأسي وأنا أقبله ولا أستطيع أن أغضب منه؟

فما قاله هو الحقيقة.. لكني لا ذنب لي فيها.. ولم أرد لنفسي ما أنا فيه، لكن الحياة تبدو قاسية أحيانا يا صديقي بلا ذنب في ذلك. وكان هذا هو حالى مع ابني وفلذة كبدي الذي طعنني في رجولتى و كرامتى بغير قصد، ولقد ترك هذا الحادث في

نفسي أثرا غائرا فأمضيت أسبوعا وانا لا أكلم زوجتي ولا أفعل شيئا سوى التفكير الصامت الحزين و تحت تأثير الغضب أو الشيطان - لا أعلم - توصلت إلى قرار خطير قررت تنفيذه مع شريكة عمري وألمي وعذابي: وذات يوم بعدما كانت عائدة من عند شقيقها الذي ذهبت إليه مع أشقائها لتوديعه قبل السفر، فاستقبلتها مع أولادي عند الباب ثم إنفجرت فيها متهما إياها بخيانتى وداعيا عليها أمام الجيران أن ينتقم منها وطردتها.. فهرولت باكية إلى الخارج تلاحقها لعناتي وصياحى، وانفجرت الفضيحة في العمارة وفي وسط الاسرة وبلغت شظاياها مكان عملها. ورقدت هي مريضة في بيت اهلها.. ورقدت أنا مريضا في بيتى.

والآن وبعد ان مضت الشهور والاسابيع وتوالت الأحداث.. وتدخل الأهل والأقارب اعترف لك امام الله ألى ظلمتها وأني مثلت معها دور الزوج المخدوع لكي أتخلص من عذابي، وأنه لا توجد على ظهر الأرض من هي أشرف منها. إنني العن نفسي كل يوم.. وأتجرع الندم كل لحظة لكن ماذا يفيد الندم؟ إلى أسال نفسى كل يوم ماذا فعلت ولماذا فعلته مع أقرب إنسان في الوجود الى قلبي؟ فلا أجد جوابا مقنعا لهذا السؤال.

لقد جاءني شقيقها منذ أيام يرجوني أن أمنحها الطلاق وأن أترك لها الأبناء ولو على سبيل المكافأة عن الفترة التي قضتها بجوارى تمرضني وترعاني، لكني لم أتخذ قرارى بعد.. فأنا أريدها أن تعود إلى وإلى أولادها وإلى بيتها.. فهل تعتقد أنها يمكن أن توافق على العودة.. وإذا وافقت.. هل تعتقد أن الناس والجيران والأهل الذين علموا بما جرى سوف ينسون الواقعة المخجلة التي رويتها لك؟ إني اعترف انني المخطىء لكن في مثل سنى وظروفي فإن الأزمات النفسية تكون شيئا متوقعا كما تعلم. لذلك فإني أرجوك الا تنصحني بطلاقها وبترك الابناء وأن أعيش وحدي بعيدا عنها وعنهم لأني لا أستطيع مفارقة أبنائي فهل تساعدني برأيك في حل مشكله صنعتها بيدي؟.

∞∞∞∞∞

ولكاتب هذه الرسالة المؤلمة أقول:

يا سيدي لقد اخترت أسوأ نهاية لأكثر القصص التي قرأتها في رسائل القراء تأثيرا في النفس وإيلاما لها فلقد اخترت لنفسك أن تكون ظالما وأنت من ظلمته الحياة واخترت لنفسك أن تكون جانيا وانت أصلا ضحية.

وصدقني أن جسدي قد إقشعر وانا اقرأ رسالتك حين بلغت هذا المشهد المؤلم بينك وبين إبنك الصغير. سامحه الله وسامح أمثاله ممن لا يدرون أحيانا أين تقع كلماتهم الجارحة من القلوب الكسيرة، لكنه طفل يا صديقي وإن أخطأ أو أجرم وحتى لو كان وراء هذا الخطأ نقص تربوى معين لم يلتفت إليه أحد خلال صراعكم مع الحياة، لذلك فان خطأه لا يبرر لك أبدا أن تنتقم من شريكة حياتك الصابرة التي لم تتخل عنك في محنتك وكانت لك نعم الرفيق والصديق هذا الانتقام الجبار.

لا يا سيدي إنها لم تكن لتستحق منك هذا الانتقام مهما كانت اسبابك الحقيقية لهذا التصرف العنيف فلو كنت مثلا قد أردت تحت تأثير الآلام النفسية لما جرى بينك وبين ابنك، ان تثبت لنفسك أنك مازلت رجل الأسرة الأمر الناهي الذي يحاسب ويعاقب.. فلم تكن هذه هي الوسيلة الصحيحة لتفعل ذلك بهذه الطريقة العلنية الجارحة مع شريكة عمرك المخلصة. ولو كنت قد قررت أن تنهي ما بينك وبينها اقتناعا باستحالة استمرار الحياة بينكما على هذا النحو، فلقد كان الأجدر بك أن تصارحها بذلك وأن تنهي الأمر كله باحترام يليق بها وبك وبأسرتك وبرصيدها الكبير لديك. وحتى لو كنت قد وقفت منها هذا الموقف الشائن لأن الشك قد ساورك فيها في لحظة ضعف والنفس أمارة بالسوء كما تعلم.. فلقد كانت هناك طريقة أخرى لإنهاء الأمر بغير هذه الفضيحة، فلماذا اخترت هذه الطريقة البشعة للإساءة إلى من تقسم أمام الله باخلاصها وشرفها؟.. ولماذا تسيء إلى نفسك وإلى ابنائك هذه الاساءة البالغة وقد كنت تستطيع تقديرا لماضيها معك على الأقل وحرصا على مشاعر ابنائك وسمعتهم أن تنهي كل شيء في هدوء، ألم تعلم أنك بذلك قد اسأت إلى أبنائك قبل أن تسيء اليها، وانه كان حريا بك أن تحسن إليهم قبل أن تحسن اليها لقد قال أحد العرب ذات مرة لبنيه: لقد أحسنت إليكم صغارا وكبارا وقبل أن تولدوا فقالوا له و كيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: إخترت لكم من الأمهات من لا تُسبون بها! فلماذا أردت لابنائك أن يُسبوا بأمهم بهذه الفضيحة التي لا مبرر لها وأنت تعرف صدق إخلاصها؟ ثم لماذا يا سيدى تسلى الأخرين بعذابنا وآلامنا لو كنا معذبين ولماذا لا ينهي الانسان عذابه بغير أن يُشهد عليه العالمين؟

إنني لا أريد أن أقسو عليك.. لأنك ضحية في النهاية.. ولأننا جميعا نحسن السباحة في مياه الشاطىء الضحلة فإذا ما جرفنا الموج إلى المياه العميقة لا نعرف كيف يمكن أن يكون حالنا أو ماذا يمكن أن نقول أي نفعل وليس المعزى كالثاكل، لذلك فإلى أفهم ظروفك يا سيدي وأقدّر الأمك لكني أطالبك بأن تكون عادلا سواء عادت المياه إلى مجاريها معها او لم تعد وأطالبك بألا تسكت على ضيم أوقعته بأحب الناس إليك واكثرهم إخلاصا لك وانت تملك رفعه خوفا من ربك وإرضاءً لضميرك قبل كل شيء فاعلن للناس يا سيدى ما صارحتني به.. ردّ لزوجتك شرفها أمام كل من رميتها أمامهم بالباطل، فالساكت عن الحق شيطان أخرس واعلم أن الله لا يتسامح مع هذه الجريمة الشنعاء ما لم ترجع عنها.. ثم بعد ذلك ابحث أمر مستقبلك معها ومستقبل أولادكم معكما فليس عيبا أن يخطيء الانسان مرة لكن العيب كل العيب هو ألا يصلح خطأه وهو معترف به خاصة إذا ترتب عليه إنصاف مظلوم.

تسألني هل تقبل أن تعود إليك فأقول لك لا أعرف على وجه التحديد وان كنت أتصور أن طبيعتها المضحية ربما تتغلب عليها في النهاية فتقبل بعد إنصافها أن تعود إليك من أجل أولادها ولا يجوز في مثل هذه الحالة أن تسألني هل ينسى الناس أو لا ينسون فليس مهما أن ينسي الناس وإنما المهم هو أن تنسي هي وأن تصفح!

∞∞∞∞∞∞

عمارة الأحلام

سأبدأ قصتى بلا مقدمات لاني في حالة لا تسمح لى بالتفلسف أو حكاية الحكايات.. وستعرف ماذا أقصد حين تقرأ سطور رسالتي..

أنا يا سيدى رجل في الأربعين.. خلال دراستي الجامعية تعرفت بزميلة لي أحببتها وأحبتي وشرعنا نبني معا مستقبلنا، وبعد التخرج بعامين وفقنا في الحصول على شقة تزوجنا فيها وبدأنا قصتا السعيدة، فعشت معها سنوات كان فيها الحلو وفيها المر لكن القافلة كانت تسير، وخلال رحلة العمر معها انجبنا ثلاثة اطفال، وسافرت للعمل في احدى الدول المجاورة عدة سنوات حرصت خلالها على تركها هنا توفيرا للنفقات ولكي أجمع أكبر قدر من يسمح لنا بتكوين حياتنا وحتى حين عدت بعد سنوات العمل واصلت العمل هنا ليل نهار لكى استطيع استكمال بناء منزل 4 أدوار وضعت فيه كل مدخراتى وحصيلة كفاحي في الغربة وهنا وسط أصعب الظروف وفعلا تمكنت بجهد جهيد من استكمال البناء وبنيت عمارة الاحلام كما يقولون وبدأت أستعد لكي أجني ثمار هذه السنوات الطويلة من الكفاح، وفي هذه الأيام بالتحديد أفقت فجأة على صدمة هزت كياني كلي. فلقد فوجئت بزوجتي المحبوبة التي واصلت العمل في الليل والنهار من اجل تأمين مستقبلها ومستقبل أبنائها تطلب مني الطلاق.. بل وتصر عليه. لم يقع بيني وبينها خلاف.. ولم تشهد حياتنا تقلبات عنيفة.. فلم يحدث بيني وبينها الا ما يحدث احيانا بين الأزواج من خلافات بسيطة لا يخلو منها بيت لذلك كان طلبها مفاجئا لي تماما وحين سألتها عن الأسباب قالت لي بإصرار: تحس انها قد أصبحت بالنسبة لى منذ سنوات بعيدة قطعة من قطع اثاث البيت وإنها لا ترغب في مواصلة الحياة معي..

حاولت اثناءها عن ذلك ووعدتها بأن اعطيها إهتماما اكبر ووقتا اكبر بعد أن انتهيت من بناء البيت ولم اعد مطالبا بالعمل بهذه الطريقة السابقة فلم تقنع..

أشركت أسرتها في الأمر ففوجئت بوالدتها تؤيدها في مطلبها فمنحتها الطلاق راغما.. على أمل أن يهدأ غضبها بعد فترة وأن تراجع نفسها من أجل الأبناء ومن أجلى واعطيتها كل حقوقها فاعطيتها أثاث البيت والأبناء وكل شيء وتركت شقة الزوجية لها وأقمت في شقة من عمارتي الجديدة، وحاولت الا اقطع ما بيني وبينها أملا في اعادة الأمور إلى مجاريها فكنت أسأل عنها وعن الأبناء وأعطيها النفقة بنفسي فلاحظت لأول مرة وجود شخص ثالث في حياتنا يؤثر على مجرى الأحداث بدون أن أعرف سر قوته..

أما الشخص الثالث فهو صديق كنت قد فتحت له بيتي وقلبي منذ سنوات طويلة كان دائما على استعداد لأن يقدم لنا خدماته.. كان يأتي الينا ليجد عندنا الراحة من متاعبه أسرته ويجد عندنا النصيحة المخلصة ووثقت به ولاحظت أن هناك تقاربا بينه وبين زوجتي لكني لم يساورني الشك فيه وحتى حين أردت أن أتخلص من ظنوني ذات مرة فصارحته بما يساورني من شك قال لى إنه ليس سوى أخ لزوجتي وانه كان يدخل بيتها منذ الطفولة كصديق لشقيقها ويهتم بأمر اسرتها.. وتذكرت فيما بعد أن

زوجتي كانت تعتمد عليه دائما في أشياء صغيرة لم يكن انشغالي المستمر يسمح لي بالقيام بها كالتوصيل إلى الطبيب او اصطحاب الأبناء إلى عيادة طبيب الأطفال او أداء مهمة تتعلق بشقيقاتها الأصغر منها.. وحين وقع الطلاق وجدته مستمرا في رعايتها ورعاية شقيقاتها بل والابناء أيضا ونصحته بالابتعاد عن أسرتها لكيلا يتيح مجالا للحديث فقال لي انه صديق قديم للاسرة وإنه أخ لا أكثر، وخلال هذه الفترة عرضت عليها أن تنتقل من شقة الزوجية القديمة إلى الشقة التي كنا قد أعددناها في البيت الجديد واخترنا كل شيء فيها معا من الألوان الى البلاط الى السيراميك الخ.. فاشترطت لكي تسكن هذه الشقة أن أعطيها عقد إيجار كمستأجرة وأن تقيم فيها مع ابنائها كمطلقة قائلة إنها ربما بعد عام أو عامين حين تهدأ مشاعرها فانها قد تعود الىّ.. فقبلت لكيلا أغلق الباب بيني وبينها وحبا في الأبناء لكيلا يعيشوا بعيدا عني. وقبل أن تنتقل إلى الشقة الجديدة كانت وبمساعدة الصديق نفسه قد تنازلت عن شقة الزوجية القديمة لصاحب البيت مقابل مبلغ حملت اثاث السابق إلى الشقة الجديدة وفرشت الشقة به وبعد أن استقرت فيها واستقر كل شيء في موضعه كان اول شيء فعلته بعد الانتهاء من ترتيب قطع الأثاث وتركيب الستائر وتنظيف البيت هو الذهاب الى قسم الشرطة المجاور لكي تطلب من الشرطة استدعائي لتحرير تعهد بعدم التعرض لها.

هل تتصور ذلك يا سيدى؟ كنت معها وهي تقوم بترتيب الأثاث وهي تركب الستائر بل ورأيتها تغتسل لتستبدل ملابسها وتخرج بعد دقائق فوجئت بمن يطلبني للذهاب إلى القسم فذهبت متعجبا فاذا بها جالسه بنفس الفستان الذي استأذنت لترتديه في حجرتها وامامى تعهد مكتوب ومطلوب توقيعى عليه!

ماذا جرى للدنيا يا صديقي؟ ألهذا الحد يصل الغدر والتدبير بأعصاب باردة كأننا لسنا بشرا عاديين واننا من دهاة المتأمرين. نظرت إليها مصدوما فحولت عينيها بعيدا عني بلا مبالاة وكان القانون معها فوقعت وأنا في قمة الخجل واليأس وانصرفت وأنا مقهور مكسوف.. مذهول وعدت للشقة الأخرى التي اخترتها للحياة فيها وحدي ووضعت فيها بعض الأثاث السفرى وهي الشقة المواجهة تماما لشقة مطلقتي أو زوجتي السابقة وامضيت في شقتى يومين لم أستطع مغادرتها خجلا من الجيران الذين توقعوا أن يكون دخولها للبيت تمهيدا لعودتها إلى ولم تضيع هي وقتها فبعد أيام قليلة فوجئت بها تتزوج هذا الصديق تزوجته في شقتي التي بنيتها طوبة طوبة وأنفقت عليها ثمرة شقائي. وعلى اثاثي الذي اشتريته بسهرى وعملى من الفجر كل يوم الى منتصف الليل وبين اولادي الذين حرمت منهم وهم على بعد خطوات منى، وحين اعترضت وتكلمت قال لي الجميع انها مطلقة وحرة ومن حقها أن تتزوج بمن تشاء ووضعها قانونى فمعها عقد ايجار للشقة التي تسكنها فعدت مغلولا محسورا.. اني اكتب اليك لأسألك ماذا أفعل انني مستسلم لما إختارته لى الأقدار وآمل في أن تحمل لى الأيام بلسما شافيا لجراحى ولكنه من المؤلم جدا يا صديقي أن تكون شقتى امام شقتها والباب أمام الباب وان كل يوم وكل ساعة أراه وقد حل محلى في مكاني من زوجتي وابنائي وهما يتمتعان معا بثمرة شقائي في الغربة وفي مصر وهل يرضي ذلك أحد؟ انى حائر لا اعرف ماذا افعل هل ابيع

العمارة واذا فعلت أين اذهب ام ماذا تنصحني يا صديقي الذي لا اعرفه بعد أن فقدت ثقتي فيمن عرفت من اصدقاء؟

∞∞∞∞∞

لكاتب هذه الرسالة اقول:

يا صديقي أنقذ نفسك من هذا العذاب الذي تتجرعه كل يوم وأنت ترى زوجتك السابقة ذات الأعصاب الحديدية ضاحكة لاعبة لاهية مع صديقك السابق بين اولادك وفوق أثاثك لأن الباب أمام الباب.. وانت ترقبها بحسرة وتتجرع كل لحظة الم الغدر والخيانة؟

لا شيء في الدنيا يساوي أن يتحمل الإنسان هذا العذاب إذا كان قادرا على أن ينجو بنفسه منه وأنت قادر والحمد الله فماذا تنتظر؟ ولماذا لا تبيع هذه العمارة اللعينة التي هدمت أسرتك بانشغالك الشديد بجمع ثمنها ثم ببنائها إلى الحد الذي تركت فيه لغيرك ان يقوم بما كان ينبغي أن تقوم به انت من رعاية زوجتك وابنائك؟ ثم ماذا يساوى مال الدنيا اذا افتقد الانسان السعادة والكرامة والأمان؟.

لقد غابت عنك أشياء كثيرة يا صديقي في حينها او مهدت بتصرفاتك لكل ما حدث فلم تر النار تسرى تحت الرماد لأنك مشغول بعمارة الاحلام ولعلك نفخت فيها بغير قصد باعتمادك التام على هذا الصديق الغادر وبثقتك فيه رغم أن الأمور كانت واضحة أمام كل ذي عينين.. ثم حين نفذت لزوجتك رغبتها في الطلاق ابتذلت نفسك في محاولات استرضائها للعودة اليك فاعطيتها الفرصة لكي تحقق من ورائك اكبر قدر من المكاسب وتستولى منك على شقتين بدلا من شقة واحدة وتستولي على الشقة التي اعددتها خصيصا لها بمداعبة أملك في إمكان عودتها إليك وحين تمكنت نفضت يدها منك باعصاب قاتل محترف لا يوجه ضربته الا في مقتل وهذا هو اكثر جوانب خديعتها اجراما وانتهازية وأنانية. وهذا هو ايضا اكثر جوانب شخصيتك تناقضا فانت فيما يبدو لي حريص على المال ومع ذلك فقد لانت فراملك سريعا معها لرغبتك الشديدة في اعادتها إليك ولعلها عرفت ذلك فيك فاستثمرت بتفكير مادي بحت هذه الرغبة لتحقق لحياتها الجديدة التي دبرت لها من اللحظة الأولى اكبر مكاسب ممكنه ولو كان من ذلك أن تغدر بك مرتين. مرة بالانفصال عنك للارتباط بصديقك ومرة أخرى بهدم كل أحلامك بعد الحصول على الشقة لكي تتزوج شريكها وتستمتع بحياتها أمام عينيك يا إلهى انه تفكير رجال عصابات.. لا زوجة سابقة وأم لأطفال يجمعون بينكما إلى نهاية العمر حتى ولو انفصلتها فماذا جرى للبشر يا صديقي؟ ولماذا اصبح بعضنا لا يتردد عن طعن الآخر. بخنجر مسموم إذا لاحت وراء ذلك منفعة مادية؟ لقد كانت تستطيع أن تتزوج من شريكها في شقتك القديمة وان تعلنك بذلك بوضوح وبشرف ولم يكن لأحد أن يلومها مادامت قد اختارت حياتها وهي في النهاية رغم الغدر سوف تتزوج زواجا مشروعا فلماذا هذا التدبير الاجرامي؟.

إنني أشعر بعذابك يا صديقي وأحس انني أمام دراما غريبة تقف فيها وحيدا وسط قوم لم تأخذهم بك شفقة ولا رحمة حتى ولو كنت مخطئا لكن هكذا الدنيا يا صديقي تقسو احيانا وتصفو احيانا أخرى وعلينا أن نتعلم فيها كيف نتقبل الهزيمة كما نسعد بالانتصارات الشخصية.. والصوفية يقولون في بعض أشعارهم:

فات ما فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

والساعة التي أنت فيها تطالبك بأن تخرج من موقف المحسور الذي يرقب سعادة الآخرين بأسى والم ويتعذب بها وتطالبك بأن تطوى هذه الصفحة الأليمة وأن تبدأ حياة جديدة مزودا بخبرة ثمينة عن الحياة والبشر ولعل ما حدث يعلمك أن المغالاة في الجري وراء المال على حساب حق الزوجة والأبناء من الرعاية لا تحقق السعادة كما أن بناء العمارات على حساب كل شيء آخر في الحياة لا يحقق الكرامة ولا الأمان وما أكثر ما نتعلم كل يوم من فصول جديدة في علم الحياة.

∞∞∞∞∞

«ادب الحياة»

بقدر ما اعرف ان رسالتي هذه سوف تدهشك بقدر ما أعرف انها سوف تسعدك لانها رسالة تختلف كثيرا عما يصلك من رسائل.. وعما أقرأه منها مع اصدقائي على الورق واتفاعل معها حزنا احيانا وغضبا أحيانا أخرى ودموعا تنساب منى بغير ان اشعر احيانا ثالثة وكثيرا ماافكر في الكتابة اليك ثم تشغلنى مشاغل الحياة الا أن رسالة واحدة من هذه الرسائل دفعتى دفعا لان اكتب وارد عليها وهي الرسالة التي نشرتها بعنوان «بئر الحرمان» التي تشكو فيها سيدة من قلة دخل زوجها حتى انها كرهته مع أنه انسان مثالي كما تقول وتعجبت وكدت اقول لها اتكرهين من احببت من اجل نقود تذهب وتجيء. انني على ثقة أن هناك أكثر من زوجة قالت بعد أن قرأت رسالتها اعطني زوجك المثالي المحب الحنون.. وخذي مال الدنيا كله..

واستأذنك في ان ارد عليها نيابة عنهن فأقول لها اني سيدة في الخامسة والثلاثين من عمرى من اسرة كبيرة يشغل معظم أفرادها مراكز كبيرة ووصل بعضهم الى كرسى الوزارة، وحين كنت في السادسة عشرة من عمرى ارادت امي ان تزوجني لرجل رأته مع ابي واعجبتها وسامته وشخصيته.. وحاولت اقناعى به بكل الطرق الممكنة فزادنى ذلك إصرارا على الرفض لاني كنت متفوقة في دراستي وراغبة في استكمالها.. لكن امى مضت في الاجراءات.. وجاء هو مع امه لزيارتنا زيارة تمهيدية قبل الخطبة فرفضت ان ادخل الصالون لاصافحه.. واصررت على ذلك وامى تحاول اقناعي إلى أن استجبت لها وقررت فيما بيني وبين نفسي ان ادخل الى الصالون معتزمة أن اجعله يخرج من بيتنا ولا يفكر في العودة اليه.

ودخلت الصالون لرؤيته.. ولا اعرف ماذا جرى لي حتى الان. دخلت وانا انسانة وغادرت الصالون بعد عدة دقائق من الحديث معه وانا إنسانة اخرى.. ان امي تقول لي ان ماحدث هو النصيب. وانا اقول لا.. بل هو الحب.

فلقد رأيت رجلا بكل ما تحمل الكلمة من معان.. ثقافة.. لباقة.. وأفقا واسعا.. ووسامة وشخصية.. واصلا طيبا عريقا، فأحببته من الدقائق الأولى واحبني وتمت خطبتنا.. ونسيت من اجله طموحي ودراستي وكل الدنيا وعشت له وبه.

وعندما تزوجنا كان مرتبه 22 جنيها وكان يملك 9 أفدنة وكانت وقتها ذات شأن والمستقبل امامه مشرق، فعشنا بهذا المرتب الصغير اجمل ايام عمرنا.. ورزقنا الله بطفلتين اية في الجمال ولم يزد المرتب كثيرا ليواجه متطلبات الحياة الجديدة.. و ايراد الارض محدود للغاية فقرر زوجى ان يحقق امل حياته وان يكمل تعليمه مابعد العالى على نفقته فباع بضعة افدنة وسافر الى أوربا بثمنها ليكمل تعليمه، وبعد عامين من سفره سافرنا اليه انا وبناتى فعشنا معا اجمل مني العمر.. ورأينا مالم نره واستمتعنا بالحياة هناك مدة 4 سنوات كاملة كانت كلها رحلة من الهناء رغم قلة المورد.. وعدنا بعد كفاح مجيد استطاع خلاله رجلى الحبيب أن يحقق مايتمناه وان يحصل على الدكتوراه التي اغترب من اجلها.. لكننا وجدنا الدنيا بعد عودتنا مختلفة عنها حين سافرنا. وعدنا فاكتشف زوجى أنه فقد وظيفته لان المؤسسة التي كان

يعمل بها قد حُلت وانه قد تحول الى موظف بمصلحة حكومية لا علاقة لها بدراسته وشهادته العلمية الحكومية لانه لم يكن في الخدمة في نهاية عام 74 كما تنص اللوائح.. وكنت قد انجبت بنتا اخرى واصبح عدد افراد اسرتي 5، وكل دخلنا من الوظيفة هو 15 جنيها بالاضافة الى حوالى 50 جنيها من ايجار الأرض المتبقية، أي أنه تقريبا نفس دخل كاتبة رسالة بئر الحرمان التي كرهت زوجها بسبب قلة الدخل علما بأنها تعيش في قرية صغيرة.. ونحن نعيش في عاصمة احدى المحافظات الكبرى فهل انا ناقمة.. ثائرة مثل هذه الاخت؟ ابدا والله فأنا والحمد الله سعيدة لان في حياتي اشياء اخرى كثيرة اجمل واهم من النقود.. فعندي زوج بالدنيا يجمعنا معا الحب والالفة والمودة واشياء اخرى خاصة بنا صغيرة وجميلة لا تعوضني عنها نقود الدنيا وعندي 3 بنات هن اية في الجمال كبراهن على ابواب الجامعة و كل فرد منا يحب الأخر ويقدره وقد افاء الله علينا من نعمه الكثير.. فنحن والحمد لله بصحة جيدة.. وبيتنا ومستور، دائما بستر الهى.. له العجب. فمعظم افراد اسرتي كما قلت لك اثرياء واخوتي كلهم في مراكز مرموقة يحبونني ويحبون زوجي ويحترمونه ولم يحدث خلال 20 سنة أن غضب احدهم منى او من زوجي.. بل يلجأون الينا دائما في حل مشاكلهم مع بعضهم البعض فكنا دائما واسطة خير بينهم.. ودائما يتم الصلح على ايدينا.. وبيتنا والحمد لله رغم انه اقل البيوت دخلا بالنسبة لبيوتهم هو قبلتهم التي يشعرون بالراحة فيه.. وما من طعام اصنعه بيدى حتى يتهافتوا عليه بسعادة رغم بساطته..و«ستره عجب» كما يقولون فكثيرا ماتحدث في حياتنا اشياء صغيرة تملؤنا سعادة وحبا، فمثلا قد يكون رصيدنا في الثلاجة صفرا وفجأة يأتينا الخير من حيث لاندرى.. وبمجرد أن تمتلىء الثلاجة يأتي الضيوف فنقوم بالواجب وزيادة وفرحة الدنيا لا تسعنا وانا باقل الأشياء اصنع سفرة رائعة.. واجيد صنع كل شيء من الخبز الافرنجي الى التورتات وكل انواع الحلوى والبسكويت إلى المحشي والكشري أبو دقة، وكل فرد في اسرتي واخوتى كثيرون والحمد الله يحبون طعامي ويستطيبونه، وانا من النوع الذي يصنع من الفسيخ شربات وهكذا سيدات كثيرات يدبرن امورهن مع الحياة بلا انين ولاشكوى، لقد رأيت فستانا من التريكو لابنتي في الفاترينة ووجدت ثمنه 32 جنيها، فاشتريت الصوف وصنعت صورة طبق الأصل منه بل اجمل منه في حوالي شهر وتكلف 560 قرشا، وأنا لااملك حلقا ذهبيا ازين به اذني.. لكني بهذه الاذن نفسها اسمع اجمل وارق الكلمات من زوجي ومن الأهل والأبناء والاحباء، وانا لا أملك عقدا ذهبيا ازين به صدرى.. لكني املك قلبا ذهبيا بحب الناس ويبادلونه الحب، وليس في يدي سوار ذهبي.. لكن في يدي الف بركة، وليس على نوافذ بيتى ستائر لكن «ستر ربنا» يغطينا من كل جانب. وليست شقتى مفروشة بالسجاد ولابالموكيت.. لكنها مفروشة بالحب والحنان.. والدفء في قلوبنا هو «زادنا وزوادنا» وصدقوني و الله العظيم انني لا اتحدث عن فيلم سينمائي رأيته بل عن حقيقة اعيشها والحمد لله..

ولعل كاتبة الرسالة قد فهمت ماذا اريد ان اقول لها هذه الرسالة الطويلة.. انني اريد ان اقول لها أن النقود تذهب وتجيء.. اما الزوج المثالي المحب المخلص.. فلو راح - لاقدر الله - فلاشيء في الدنيا يعوضه.. لان الرجل هو الذي يأتي بالنقود.. اما النقود فمهما فعلت فلا تستطيع أن تأتي بزوج محب.. فلتشكر الله على ما أنعم عليها

به من زوج مثالي وطفل جميل قد تحسدها عليهما اغني امرأة في العالم، كما أريد ان اقول لها حاولي أن تجيدى صنع شيء بيدك وان تستخدمى قدراتك في تجميل حياتك ان لم يكن بهدف الاتجار فعلى الاقل للترويح عن نفسك واضفاء لمسات عليها تخفف من جفاء الحياة.. واقتربي من زوجك وكون رفيقة به وتمسكى به فهو زوج مثالي في زمن عز فيه الرجال وأخيرا اقول لها ولك ولكل اصدقائي على الورق من قراء بريد الجمعة اجمل تحياتي..

ولى طلب واحد فقط منكم جميعا هو ان تمسكوا الخشب، وانتم تقرأون رسالتي وان تدعوا لي جميعا من قلوبكم ان يديم الله علينا نعمته..وأن يحفظ لي زوجي حتى آخر لحظة من عمرى.. فليس لدي ما اخشاه سوى ان يفرق بيننا هادم اللذات ومفرق الجماعات.. ولست ارجو من دنياى سوى.. اعز الحبايب.. زوجى والسلام عليكم ورحمة الله.

∞∞∞∞∞

احسست بعد قراءة هذه الرسالة انى غير قادر على التعليق عليها. اذ ماذا يمكن ان يخط قلمى ارق من هذه الكمات الصادقة.. وأى نظرة اعمق للحياة يمكن أن أتوصل اليها بافضل مما فعلت كاتبة هذه الرسالة.

لقد قرأت رسالتك ياسيدتي فتذكرت على الفور ماقاله يوما الدكتور احمد امين من أن الأدب الراقي هو الذي تحس بعد قرءاته انك قد صرت انسانا مختلفا عنك قبل أن تقرأه. وصدقيني اني قد احسست بسمو غريب داخلى بعد أن قرأت رسالتك هذه. واني وجدت فيها اجابات لكثير من التساؤلات الحائرة لدىّ بل ووجدت فيها ايضا بعض السلوى وبعض العزاء. فرسالتك ياسيدتي قطعة من «ادب الحياة» الرفيع الذي لايحتاج الى شهادات جامعية لتعلمه.. ولا لدراسات اكاديمية لاجادته. لانه ادب الصدق والفهم العميق لحقائق الحياة الأساسية وارجو ان يصدقني القراء انني لم اعالج صياغة هذه الرسالة باكثر من إخفاء بعض ملامح شخصية كاتبتها بناءً على رغبتها وباعادة ترتيب بعض أجزائها واني لم ابتدع هذه الصور الشاعرية الفريدة عن الأذن التي بلا «حلق» و العنق الذي بلا «قلادة» الخ.. وهيهات لى أن أفعل لو اردت. انها صور املتها عاطفة صادقة تغمر حياتها كلها بالحب الصادق.. ولاتبدعها سوى مثل هذه المشاعر. صحيح ياسيدتي.. كن جميلا تر الوجود جميلا!

وصحيح ايضا انه في الحياة اشياء عديدة تستحق بأن نحياها من اجلها.. ليس من بينها بكل تأكيد المال الذي لايشترى حبا.. ولايشفي مرضا. ولايعيد غائبا من غيبته.. اذ كيف يمكن ان يرغم المال احدا على أن يفجر ينابيع الحب بداخله بهذا الصدق.. وبهذه الفطرة العجيبة!!

اني اشكرك على رسالتك القيمة هذه التي اطلت علىّ فبددت من نفسي وحشه المت بها وانا افتش بين مئات الرسائل لقراء بريد الجمعة عن رسالة تضيف إلى تجربة الانسان خبرة جديدة تعينه على مواجهة الحياة.. او إضافة انسانية تعمق من فهمه للدنيا، فلم أجد بكل اسف.. وانما وجدت عشرات من الرسائل تحمل هموما عادية.. ومئات اخرى تحمل هموما غير حقيقية تذكرني دائما بقول ايليا أبو ماضى:

ايها الشاكي وما بك داء كيف تبدو اذا غدوت عليلا

كما وجدت بينها ايضا عشرات من الرسائل الأخرى التي تذكرني دائما بعظمة الفقيه ابراهيم بن اسحق الحربي الذي عاش في القرن الثالث الهجري وروى عنه الرواة أنه عاش و يعاني من صداع باحد جانبي رأسه 45 عاما لم يخبر به احدا، وانه عاش بفرد عين 10 سنوات.. فلم يخبر بها أحدا، وأنه كان يقول ان الرجل الحق هو من ادخل همه على نفسه ولم يدخله على اسرته.

فبعض الناس يؤمنون بعكس ما آمن به ابراهيم بن اسحق على طول الخط، وبعضهم لايرى في الحياة الا كل سواد.. وتغفل عيناه دائما عن رؤية جوانب حياته الجديرة بالارضاء والسعادة.. ولاتقع الا على ماينقصها فقط من الجوانب الأخرى.

ودرس رسالتك الذي تعلمته هو ان ثروة الحياة الحقيقية هي في الصحة وسلامة الأبناء وهذه العاطفة السامية الصادقة التي تربط بين الشريكين فتطبع كل جوانب حياتهما بالحب والسعادة وتفيض حبا للاخرين كما يفيض ماء النهر على جانبيه، فيخفف عن المرء هجير الحياة ويقنعه بانه يملك الدنيا ولو لم يكن يملك منها شيئا

ليحفظ الله عليك بناتك الجميلات.. وزوجك الرائع ونفسك الراضية السعيدة.. وارجو ان يكون صدي طرقات يدي على خشب المكتب قد بلغ اسماعك طوال قراءتي الرسالة.. التي ادهشتني فعلا كما توقعتِ.. واسعدتني ايضا.. ولكن باكثر مما توقعت!

∞∞∞∞∞

الوجه الآخر

أكتب اليك.. وأنا أعرف أنك لا تملك لي شيئا.. لكني أكتب اليك لأني سوف اشعر بالراحة حين تسمعني وتتفهم مشكلتي.. ورسالتي لك لا تتحدث عن حاجتي إلى شقة لان لدى شقة والحمد لله.. ولا تتحدث عن حاجتي إلى عمل اضافي او اساسي لالي لا أريد أي عمل ولو جاء على طبق من فضة.. ليس لاني غير قادر على العمل وانا لاني لا أريد أن أعمل.. ولا أريد أن أرى مكاتب أو عاملين، فقد عافت نفسي العمل وأريد أن أختلي بنفسي بعد هذه السنوات الطويلة من الجري واللهاث. لقد استرسلت في الحديث عن مشاعري بدون أن اعطيك الفرصة لتعرف قصتي.. واعذرني لذلك فانا متألم.. وألمي قد دفعني للاندفاع في التعبير عن شعورى.

انا يا سيدي شخص كنت مهما بالنسبة لآلاف الأشخاص حتى وقت قريب.. إذ كنت رئيسا لمجلس ادارة شركة كبرى يعمل فيها آلاف العاملين، بدأت حياتي العملية فيها منذ اكثر من ثلاثين سنة. وتدرجت في وظائفها حتى بلغت أرقى منصب فيها وهو منصب رئيس مجلس الادارة منذ 5 سنوات بالضبط.. وبالرغم من اني كنت قد اعتدت القيام بالأعمال الإشرافية منذ أكثر من 15 سنة.. وانتقلت إلى موقع رئيس مجلس الادارة من منصب كبير داخل المؤسسة نفسها.. إلا إلى حين مارست عملي الجديد كرئيس لمجلس الإدارة اكتشفت اني لم أكن أعرف الكثير عن هذا و الهيلمان، الذي يتيحه هذا المنصب لصاحبه في شركة كبرى فقد كنت اذهب الى عملي في سيارة صغيرة تابعة للشركة ففوجئت عقب تعيينى بمدير الحركة في مؤسستى وهو شاب لزج لم أكن استريح إليه وكنت أشك في أمانته، يدخل إلى مبتسما إبتسامة عريضه ليهنئنى.. ويبلغني بأن «السيارات» جاهزة للاستعمال من اليوم، فسألته مندهشا أية سيارات؟ قال: سيارة سيادتك كرئيس مجلس الادارة وسيارتان للخدمة إحداهما للمكتب والأخرى للبيت وان هذا النظام المعمول به، فشكرته وصرفه وحين انتهي اليوم ونزلت لأركب سيارتي وجدت سيارة رئيس مجلس الادارة السابق تقف في انتظارى بسائقها الذي يرتدي «بدلة مكوية و كرافت» ثم وجدت بداخل السيارة شخصا يجلس بجوار السائق اعتقدت انه قريبه او شيء من هذا القبيل.. لكنني وجدته يقدم لى نفسه بأنه من ادارة الأمن بالمؤسسة، وحين استدعيت مدير الأمن بالمؤسسة في اليوم التالى لاسأله عن حكمة تخصيص أحد رجال المؤسسة لمرافقتي اجابني بابتسامة ودودة، بأن حراسة شخص رئيس مجلس الادارة من صميم أعمال ادارة الأمن بالمؤسسة، وان هذا هو النظام المعمول به لصالح أمن المؤسسة ونظام العمل بها..

فسكت وصرفته..

وفي الأيام الأولى تكشفت لي صورة جديدة تماما عن عالم غريب لم اكن أعرفه بالرغم من أني كنت من كبار موظفي الشركة قبل تعييني رئيسا لها، فلقد كنت وأنا في منصبي السابق أنفق حوالى 40 جنيها كل شهر داخل العمل مقابل القهوة والشاي والسجائر التي اشتريها من بوفيه المؤسسة، فاكتشفت أن كل ما احتاج اليه من مشروبات وأدخنة لى ولضيوفي يغطيه اعتماد مفتوح للاستقبال من ميزانية

العلاقات العامة بالمؤسسة، وان هذا هو النظام السائد! وكنت على فترات متباعدة أضطر أحيانا لدعوة بعض معارف العمل في البيت على العشاء ردا على دعواتهم لي ففوجئت بمدير العلاقات العامة يرتب لدعوة للعشاء في بيتى لعدد من رؤساء الشركات التي نتعامل معها.. وان كل التكاليف سوف تتحملها إدارة العلاقات العامة تنفيذا لتقليد قديم، وحين حاولت الاعتذار بأن بيتي غير مستعد لهذه الدعوات لأن صالة الاستقبال فيه ضيقة، فوجئت بأنه يطلب مني الإذن باعداد مكان للاستقبال في مسكني على أن يتم ذلك قبل الموعد المحدد للدعوة، وأذنت له، فإذا بفرقة من المهندسين والعمال تهاجم البيت وأعمال التكسير والبياض على أشدها.. وخلال ايام معدودات كانت قد تمت إزالة حائط كان يفصل بين حجرة الطعام وحجرة الصالون وهو حلم كان يراودني منذ قديم لكني لم اكن اقدر على تحقيقة التكاليفه ولما يحتاجه من فراغ واشراف الخ.. وقد تمت العملية بنجاح باهر وجاءت السيارات فحملت الاتربة وناتج الكسر في لحظات وتم لصق الصالة التي اصبحت واسعة بورق حائط جديد ولم أتكلف من العملية كلها إلا من ورق الحائط الذي أصررت على دفعه وتمت الحفلة.

أما الحياة في البيت فلقد اصبحت اكثر سهولة ويسرا عن ذي قبل، التموين اصبحت سيارة الخدمة تشتريه من الجمعيات الاستهلاكية بالأسعار المحددة بعد أن كنا نعجز في أحيان كثيرة عن شرائه منها ونضطر لشرائه من البقال.. ولاحظت بالتدريج الى قد اصبحت محور حياة كثيرين جدا في المؤسسة.. فالمديرون الكبار يبدأون يومهم بزيارتى وتبادل تحية الصباح معى والجميع يهتمون بصحتي فاذا اصبت بنوبة برد.. فالسؤال لا ينقطع في التليفون في البيت عن أخبار الانفلونزا. وبعضهم يتطوع باحضار أحدث أدوية البرد التي ظهرت في أوربا، وطبيب المؤسسة يزورني في البيت كاني مريض بمرض خطير!. وفي المناسبات المختلفة أتلقى بطاقات التهاني ويرن التليفون في البيت بصفة مستمرة..

والحق أني قبل أن أشغل هذا المنصب لم اكن اعرف مشكلة الوقت بهذه الحدة لكني عرفتها بصورة رهيبة خلال عملى، فلقد كنت اتصور عمل 8 ساعات كل يوم يمكن أن يكفي لإدارة أي عمل منظم يقوم مديروه التنفيذيون بواجبهم، لكني اكتشفت اني محتاج يوم طوله 70 ساعة كل يوم ليس لإنجاز العمل وانما لمقابلة كل هؤلاء الذين يريدون مقابلتى، وبعضهم يطلب المقابلة وينتظر بالساعات ثم استقبله فلا اجد لديه ما يستحق المقابلة ولا الانتظار وأحس أن المسألة مجرد «تمحيك» لكي يقابلني وينافقني ويذكرنى بنفسه لكي لا أنساه في العلاوات والترقيات.

وبعضهم وصدقني أن كلهم من كبار المديرين عرف اني أمشي لمدة نصف ساعة كل صباح بجوار مسكنى قبل أن أركب السيارة إلى العمل ففوجئت به ذات صباح مرتدي « التريننج سوت» والحذاء المطاط في السادسة صباحا ويجري بجوارى ثم يتوقف مندهشا لهذه المصادفة السعيدة التي جمعتنا على غير ميعاد في موعد الرياضة ثم يمشي بجواري ويبادلني الأحاديث مؤكدا على أنه رياضى مثلى ويجري كل يوم لمدة ساعة في الصباح، ثم اصبح يلازمني في مشوار المشي الذي

اشتهر أمره بعد حين واجتذب اشخاصا اخرين من المديرين حتى تضخم طابور المشي وتحول الى مجلس يضم معظم المديرين!

اما عند السفر الى فروع الشركة في الداخل فحدث ولا حرج عن تسابق المديرين وحتى من ليس لهم علاقة بهذه الفروع للسفر معي ومصاحبتي في القطار او السيارة وعند السفر للخارج يودعنى العشرات في صالة المطار..

وعند العودة يستقبلني العشرات ونخرج من المطار في، زفة، سيارات كأننا في فرح، وللأسف فان زوجتي وابنائي قد اعتادوا هذا الزحام وتصوروا طبيعة حياتنا.. فقد اعتادوا أن يزدحم البيت بالسعاة وطالبى المقابلة.. وان نسافر إلى مصيفنا في زفة وان نعود منه في، زفة، واعتادت زوجتي بالذات على الحياة السهلة التي يسرها وجود العشرات من الفنيين والسعاه تحت الطلب، فاذا حدث عطل في جهاز كهربائي سارع موظفو مكتبي بإيفاد فتى لاصلاحه في ثوان.. واذا قررت زوجتي أن تضع بعض «قصارى» الزرع في البلكونة سارع جناييني المقر الرئيسي للشركة بعمل اللازم، ومضت الحياة وأنا ابذل كل جهدي في العمل بإخلاص أعمل في الصباح وفي المساء حتى نتصف الليل. وحققت الشركة في عهدى أرباحا بعد ان كانت شبه خاسرة. لأني كنت اؤمن بالمتابعة الشخصية للعمل وأنتقل كالنحلة بين جميع ادارتها وفروعها ومراكزها وكنت أجزل العطاء لمن يجيد ولا أرحم من يقصر أو ينحرف.

وقلت لنفسي.. لقد ربينا الابناء ووظفناهم وزوجناهم وأوجدنا لكلٌ سكنه.. وقد كسبت صداقات عديدة في العمل وخارجه وفي النادي، وقد عملت، اكثر من 40 سنة ووفقني الله فإدخرت بعض المدخرات التي نكفل لى حياه معقولة بعد سن المعاش، فلماذا لا أحيا حياة هادلة واستمتع بما لم يتح لى العمل المستمر الاستمتاع به..فاذهب إلى النادي.. واستقبل الاصدقاء وأزورهم وأزور الابناء ويزورونى واخرج مع زوجتي في الأمسيات كأيام الشباب ورضيت عن ذلك الى حد ما.. وان كانت النفس قد طمعت كطبعها في أن تقدر لى الوزارة جهدي في تحويل المؤسسة من خاسرة الى رابحة وفي أن تمد لي مدة خدمتى عامين آخرين.. لكن هذا الأمل الواهى لم يتحقق.. وصدر القرار بإحالتي الى المعاش واستعددت لاستقبال حياتي الجديدة.. فسحبت السيارات الثلاث وعدت لاستعمال سيارتى الخاصة واختفى المرافق فلم افقده لأني كنت أضيق بوجوده معي، وإختفى السعاه والفنيون من حياتنا وعدنا من جديد لشراء احتياجات البيت فلم يضايقني ذلك لانى اصبحت خاليا واستطيع قضاء هذه المهام في سيارتي مع زوجتي..

لم يزعجني يا صديقي من كل ذلك إلا شيء واحد هو ما دفعني للكتابة لك أما هذا الشيء فهو: أين الأصدقاء يا صديقي؟ أين من كانوا بصاحبونني في مشوار المشي في الصباح لأنهم «رياضيون» ومن هواة المشي؟ وأين من كانوا ينتظرون لقائي بالساعات ليطمئنوا على صحتي ولا يهدأ لهم بال الا اذا تأكدوا من انها بخير! وأين رنين التليفون الذي لم يهدأ طوال الليل والنهار في البيت؟ واين المهنئون الذين كان الصالون يضيق به في المناسبات حتى ليقف الكثيرون منهم؟ وأين المودعون عند

الذهاب للمصيف والمستقبلون عند العودة منه؟ واين من كانوا يقلقون اذا أصبت بالبرد واين.. واين.. واين.

انني لست حزينا لشيء.. ويكفيني أني راضي الضمير.. واني خدمت بلدى بكل جهدي لكن فقط متألم لما جرى لمشاعر الناس في هذا الزمان.

لقد تركت الشركة بلا عداوات تقريبا.. ورغم ذلك فإنى لا اكاد أرى كبار مديريها منذ تركتها.. او بالتحديد عقب تركها بفترة وجيزه فقد حافظ البعض على مودتي في البداية ثم بدأت الزيارات تتباعد ورنين التليفون يخفت حتى اذا ما أتممت عاما واحدا من تركى للشركة كنت قد أصبحت نسيا منسيا بالنسبة لهم! إنى اكتب اليك لأسالك.. هل هناك في الدنيا صداقة فعلا.. واذا كانت موجودة فأين اصدقاء العمل الذين كانوا يسبحون بحمدي ليل نهار؟.

∞∞∞∞∞

ولكاتب هذه الرسالة الفريدة في بابها أقول: نعم يا سيدي هناك صداقة وهناك أصدقاء.. لكن ظروفك فيما يبدو قد حرمتك من أن تتعرف عليها بصدق.. فمن كانوا حولك لم يكونوا أصدقاء.. ولم يكن ما بينك وبينهم صداقة. وإنما كانوا طلاب منفعة ورفاق عمل ولعلهم الان مشغولون بتعلم هوايات الرئيس الجديد لممارستها معه، فاذا كان من هواة السباحة مثلا فلعلهم يبلبطون، معه كل يوم في حمام النادي أما لماذا لا يرن التليفون عندك فلأنهم مشغولون الآن بإدارة أرقام تليفون الرئيس الجديد، وباستقباله وتوديعه وتهنئته في المناسبات واستحضار الأدوية له وإرسال العمال والفنيين إلى بيته.

إني أكاد أتصور يا سيدي أنك حسن الطوية الى حد كبير لأنك تصورت أن ما بينك وبين معظمهم هو صداقة، ولم تكتشف أنه نفاق، وربما اكتشفت لكنك استدرجت للاستجابة لهذا النفاق.. ثم اعتدته.. ثم إستمرأته حتى أصبحت تفتقده بعد أن غادرت هيلمانك ومنصبك، وفي ذلك فأنى ألومك يا سيدي.. انني اعرف ان أمواج النفاق عاتية وانه لا يستطيع أن يردها عنه إلا من كانت نفوسهم كبارا لا تستجيب للصغائر، لكني أعرف ايضا ان من طبيعة المنافقين الا يقتربوا الا ممن يستشعرون إستجابته للنفاق والتلذذ به داخليا حتى وان اظهر غير ذلك!

كذلك فلقد استمرأت يا سيدى الهيلمان ووقعت في أحابيل المنافقين فإستأثرت لنفسك بثلاث سيارات.. واسترحت إلى قيام ادارة العلاقات العامة عنك بكل شيء في المكتب وفي البيت.. واستنمت الى وجود السعاه والفنيين تحت امرك وتحت أمر الأسرة، واعتدت مواكب المودعين والمستقبلين والمهنئين.. والمستفسرين على الصحة والأحوال. ولم تقاوم كل ذلك في حينه وتصورت أن الحياة سوف نمضي على ما هي عليه، وفي ذلك فإنى الومك ايضا يا سيدى ليس فقط لانك ظلمت الشركة التي كنت ترأسها بهذا الانفاق الشخصي وهذا السلوك الترفي الذي يسود بكل اسف مواقع عديدة في بلادنا الفقيرة المثقلة بالاعباء. انما ايضا لانك ظلمت نفسك باعتياد هذه الحياة الفخمة وكان أولى بك أن تحافظ على قدر معقول من البساطة لكي لا يدير الترف رأسك ولأنك لابد تارك موقعك ذات يوم كما هي سنة

الحياة اذ لو دام لغيرك لما وصل اليك. والمأساة أن كثيرين تعمي ابصارهم مظاهر المنصب واضواؤه حتى يتصوروا أحيانا انهم مخلدون فيما فيه. ثم يفتحوا عيونهم بعد قليل على صدمة الواقع.. ومن عجب ما لا يعلمون من تجارب الحياة ولا من دروس التاريخ.. فما يكاد بعضنا يتعجب ما فعلته الدنيا بفلان المتجبر بعد زوال هيلمانه حتى ينساق هو نفسه إلى التجبر والى تكرار نفس القصة بنفس نهاياتها المأساوية، ثم يجلس ليبكي الوفاء في الدنيا وانصراف الاصدقاء عنه وربما بالغ فيتمثل بقول الشاعر متأسيا «من خانه الدهر خانته صنائعه»!. ولا خيانة هناك في الحقيقة اكبر من خيانة الانسان لنفسه.. ومن جهله بحقيقة الحياة وقصر نظره وإغتراره بإقبال الدنيا عليه في بعض المراحل فيتصور في نفسه ما ليس فيها.

إنني لا أريد إيلامك يا سيدي.. لكني أريدك فقط ألا تعطي للمشكلة حجما اكبر من حجمها الحقيقي.. وأن تنظر إلى جوانب الصورة الأخرى لترضى عما أعطتك الدنيا وأجزلت لك فيه العطاء فلقد بلغت أرق المناصب.. وزوجت الابناء واوجدت لهم العمل والمسكن وصحتك بخير وزوجتك بخير ولديك من المدخرات ما يكفل لك الحياة الكريمة.. فماذا تريد من الدنيا أكثر من ذلك يا سيدى؟ تسألني أين الاصدقاء فاقول لك:

اصدقاؤك هم أصدقاء الطفولة وأصدقاء العمر القدامى الذين عرفوك بلا غرض وبلا أمل في نفع ولا خوف من ضرر، وهم أيضا ابناؤك وزوجاتهم وبناتك وازواجهن واقاربك الاقربين وهم كثيرون كما ترى. فماذا تريد أكثر من ذلك؟

هل اقول لك في النهاية ما قاله جمال الدين الأفغاني للامام محمد عبده حين راعه نفيه من مصر؟ لقد قال له: كن فيلسوفا يرى الدنيا ألعوبة ولا تكن صبيا هلوعا..

لقد قيل هذا لـ «محمد عبده» وهو من هو، كما يقولون.. فهل تغضب منى إذا ما قلته لك؟

∞∞∞∞∞

شيء من الرومانسية

في بريدى اقرأ وأرى العجب.. ارى الحياة من جانبها المؤلم.. وأري العلاقات الانسانية في اسوأ ظروفها وأرى الدنيا في صورتها البشعة ولقد رأيت كل ذلك وانا اقرأ هذه الرسالة المزعجة.

اعتقد ان الوقت قد حان لكي اروي لك قصتي بعد أن ترددت طويلا.. انني شاب مهندس خريج كلية هندسة منذ شهور. أبي يعمل بأحد البنوك في احدى الدول العربية وحالتنا المالية جيدة جدا والحمد لله ولدي سيارة بي. ام. دبليو، وخلال دراستي بالكلية تعرفت على زميلة بالكلية جميلة أسرة ميسورة تركب هي الأخرى سيارة مازدا فاخرة وقد سعت إلى التعرف علىّ والى التقرب مني لانني كما قالت لي بنص كلماتها شاب رائع من كل الوجوه.. وسيم من أسرة طيبة له شخصية محبوبة من الزملاء وتعجب به كل فتيات الكلية واستجبت لتقربها مني.. وأقبلت عليها وتعرفت على أسرتها وهي أسرة كبيرة فوالدها موظف كبير بالمعاش وإخوتها مهندسون ومحامون واتفقنا على الزواج وعلى أن نتزوج عقب التخرج وخلال هذه الفترة كانت تصاحبني في كل مكان فإذا جاء موعد إستلامي للشيك الشهري الذي يرسله لي والدي من الخارج لأنفق على نفسي واخوتي منه، إصطحبتها معي إلى تاجر العملة الذي اتعامل معه، وهو عالم غريب بالفعل فتاجر العملة هذا يمارس نشاطه في مكتب فاخر بوسط المدينة تدخل عليه بعد استئذان السكرتيرة و تجده جالسا على مكتب فخم فوقه، اجهزة تليفون ملونة، فأقدم له الدولارات فيفتح خزينة داخل «بلاكار» في الحائط خلفه ويضع الدولارات ثم يخرج النقود ويسلمنى قيمتها وتكرر ذهابنا اليه كثيرا.. مرة لنفسي ومرة لابدل لها هي الأخرى دولارات تصل اليها كثيرا من شقيقتها المتزوجة والمقيمة بالخارج.

وتحولت العلاقة الى صداقة وفي كل مرة يطلب منا البقاء قليلا للتحدث معنا لانه «مرهك» من العمل.. وهذه عبارته المفضلة وينطقها بالكاف هكذا وهو كما عرفت قد بدأ حياته عصاميا يكاد لا يفك الخط وكان قبل 10 سنوات فقط يعمل مناديا للسيارات أمام أحد البنوك وقد روى لنا ذات يوم وهو يقدم لنا عصير التفاح ويشعل سيجارا فاخرا قصة كفاحه.. فقال إنه حين بدأت «هوجة» السفر والدولارات بدأ يعمل سمسارا لبعض تجار العملة يصطاد لهم عملاء البنك الذين يتلقون التحويلات من الخارج ويقدمهم للتجار الذين يقفون بجوار البنك مقابل عمولة، وكان حصيفا فلم يبدد ما كسبه هذه العملية.. فتكونت لديه مدخرات صغيرة بدأ يتاجر بها لحسابه في العملة.. وبعد عامين فقط من التجارة أمام البنك كان قد اصبح غنيا،! فاشترى غرفة بأحد مكاتب وسط المدينة واستأجر السماسرة ليجلبوا له العملاء وبعد عامين آخرين وعلى حد تعبيره « و إنفتحت الحنفية، عليه يقصد حنفية الفلوس! فضخم نشاطه وتضخمت أرباحه وتحولت الغرفة الواحدة الى شقة كاملة واصبح له سكرتيرات وسعاة وسيارات وشقة فاخرة في المهندسين..

سمعت منه فمنه بدهشه وسمعتها خطيبتي بإنبهار ثم لاحظت انه بعد هذا اللقاء بدأ الخلاف ينشب بيني وبينها.. وبدأت فترات الشقاق تطول ولم يطل بنا الوقت حتى

كانت خطبتنا قد فسخت قد لا ترى في ذلك شيئا غير عادي فكم خطوبات تفسخ كل يوم لكنك ستدهش حين تعرف ماذا حدث بعد ذلك فعند وصول الشيك التالي من الخارج ذهبت إلى مكتب تاجر العملة لأصرفه وحيدا هذه المرة ففوجئت بخطيبتي السابقة المهندسة خريجة. الميريديه، تجلس على مكتب السكرتيرة اصدمت.. لكنها كانت واقعية أكثر مني فرحبت بي بتحفظ كأنى مجرد زبون ثم اخبرت «البيه» وأشارت إلى لأدخل بيد مغطاة بخواتم السوليتير. دخلت فرحب بي الرجل بواقعية اشد وانهى المهمة سريعا ثم قال لي.. إنى اعطيك سعرا خاصا اكراما لك لأنك صاحب فضل فقد عرفتني بالمدام! اى مدام؟ لقد ظننت أنها تعمل معه فقط.. فإذا بها.. المهندسة التي تجيد الفرنسية والانجليزية.. بنت الاسرة الكبيرة قد تزوجت من هذا الرجل وتم الزواج خلال شهر واحد من فسخ خطبتنا! أما الزوج غريمي الذي سرق فتاة أحلامى وتركتني من أجله فهو في الخامسة والخمسين وله (5) ابناء أكبرهم في سن خطيبتي السابقة.. وهو دميم كالقرد والله العظيم وبلا مبالغة.. وملابسه مبهدلة.. رغم انها غالية ولا يعرف كيف يتكلم لمدة 3 دقائق بغير ان يغلط ويتفوه بألفاظ سوقية مقززة. هذا هو الزوج الذي فضلته على خطيبتي السابقة وقد تم الزواج وكانت هديته سيارة مرسيدس وخواتم سوليتير و متعدش، وشقة فيلا في أحدث عمارة في القاهرة كتبت باسمها.. انني لست حزينا عليها فانا في بداية حياتي واستطيع ان اجد من ترغبنى كزوج وتفضلني على غيري. لكنني اتساءل وأريد منك جوابا يريحني.. ماذا جرى للدنيا؟ قد تقول انها محتاجة أو أن وراءها ظروفا قاسية دفعتها للتضحية بنفسها لإنقاذ اسرتها او علاج ابيها المريض الخ كما نرى في الافلام.. لكني أطمئنك أن كل ذلك غير صحيح.. فهل عندك تفسير هذا اللغز؟

∞∞∞∞∞

ولكاتب هذه الرسالة اقول:

انه ليس لغزا يا صديقي.. لكنه تدرج منطقي للأحداث يتفق مع شخصية خطيبتك السابقة فهي ببساطة شديدة فتاة إنتهازية سعت اليك في البداية لأنها رأت فيك زوجا مناسبا مقبول الشكل متيسرا تركب سيارة فاخرة وتستطيع أن توفر لها شقة الزواج واحتياجاته لكنها حين تعرفت على القرد، رأته أكثر ملاءمة لها وأسرع وصولا بها الى الثراء.. فتخلت عنك ببساطة وذهبت اليه. فهي باحثة عن الحياة اللذيذة الزاهية الألوان لا عن الحياة السهلة العادية التي ستوفرها لها. ولا دخل للمشاعر العاطفية فيما فعلت معك او معه. واسف لان اقول لك ذلك ففي صدر فتاتك هذه آلة حاسبة لا قلبا ينبض بالمشاعر.. وقد حسبت حسابها ووجدته رابحة أكثر معه فتزوجته. والمؤسف أن كثيرات ممن يتعاملن مع الحياة بهذا المنطق التجاري هن غالبا في حكم القادرات، ولسن من غير القادرات. كما قد يتصور البعض وكما تحكى الأفلام وصدقني أنني كنت على إستعداد لتقدير ظروفها لا للإقتناع بها لو كانت قد تزوجته بحسابات عاطفية مهما كانت مستغربة او لو كانت تزوجته ليأسها من إمكان عثورك على شقة للزواج كما تفعل بعض الفتيات الآن اللاتي يفضلن – مضطرات

في عصر تراجع الرومانسية أمام صعوبة الحياة - الزوج الجاهز مهما كانت سنه ومهما كان عمله ومهما كانت ظروفه الاجتماعية والثقافية..

إن الجريمة في قصتها ليست فقط في أنها تركت شابا رائعا مثلك لتتزوج من «بلاكار نقود» لكن الجريمة في أنها قبلت زوجا كهلا متزوجا وله أبناء كبار وزوجا شبه أمي سوقيا لا يقنع أية فتاة سوية مع ظروفه كزوج وأب الا فتاتك الانتهازية هذه. وأنا أصدقك في أنك غير حزين عليها فمثل هذه الفتاة لا يحزن الانسان لفقدها وانا يسعد ويشكر ربه أن أنقذه منها وفضح شخصيتها الحقيقية قبل أن يرتبط بها، فليس مما يسعد الانسان بكل تأكيد أن يتزوج من ماكينة حاسبة لامكان للمشاعر والعواطف والرومانسية في حياتها.. وهي سوف تدفع ثمن انتهازيتها اقرب مما تتصور فالثروة التي اغرتها هي في النهاية ثروة طفيلية وستقرأ اسم زوجها وإسمها هي أيضا قريبا جدا في أخبار المدعي الاشتراكي والحراسات وساعتها سوف تتطاير الثروة وسوف تتخلى عنه بأسرع من البرق.. والحمد لله أن مثيلاتها من دعاة الواقعية الجديدة، لسن كثيرات، وعلينا ندعو كل يوم الا تغيب القيم والفضائل والرومانسية عن حياتنا فلولاها لما قبلت فتاة الزواج من خريج جديد لتكافح معه.. ولولاها ولولا الطبيعة السوية لفتياتنا لانطلقن يبحثن عن: قرود، هذا الزمان القبيح الذي تنهزم فيه احلام الشباب أمام «الباكو» والأرنب، وخواتم السوليتير..

شيء اخير لقد قلت لي في رسالتك هذه انها من عائلة كبيرة وان أباها موظف كبير على المعاش وإخوتها محامون ومهندسون فأين هي هذه العائلة الكبيرة؟.. واين الاب واين الاخوة المهندسون والمحامون الذين وافقوا على زواجها من هذا اللص المتزوج؟ أي عائلة كبيرة هذه؟.

∞∞∞∞∞

نهاية القصة

اكتب اليك للمرة الثانية وبعد عامين من رسالتي الأولى اليك والتي نشرتها في بريدك بعنوان «شيء من الرومانسية» وقبل أن تجهد نفسك لتذكرني سأحاول ان اذكرك بنفسي انني يا سيدي المهندس الشاب الذي يعيش مع شقيقيه في القاهرة ويعيش والده في احدى الدول العربية حيث يشغل منصبا كبيرا في احد البنوك ويتقاضى مرتبا ضخما، ولقد رويت لك في رسالتي الأولى قصتي حين تعرفت خلال عامي الأخير في الجامعة بفتاة طموح كانت زميلتي بالهندسة ومن اسرة كبيرة وأنها تملك سيارة مازدا وانها صارحتى بانها اعجبت بي وانها رأت فيّ شابا لائقا بها. فتصادقنا وتبادلنا المشاعر وقدمتى لاسرتها. وقدمتها لشقيق وشقيقتي في انتظار عودة ابى وامي في الاجازة لاتمام الخطبة وعقد القران خاصة وان ظروفي المالية حسنة واستطيع توفير الشقة ولدي سيارة خاصة وقلت لك الي كنت قد اعتدت طوال السنوات الماضية أن أتلقى من ابي شيكا بمبلغ شهرى بالدولارات اصرفها من البنك لأتولى الإنفاق على نفسي وشقيقي وشقيقتي وانني اذهب اول كل شهر الى احد تجار العملة الذي يتخذ لنفسه مكتبا فاخرا في وسط المدينة فأحول الدولارات الى جنيهات مصرية وانني كنت اصطحب خطيبتي معي كل مرة اذهب اليه حتى دعانا التاجر مرة للجلوس معه لبعض الوقت وحكي لنا قصة حياته وكيف أنه بدأ مناديا للسيارات امام احد البنوك ثم تاجر في العملة مع رواد البنك ثم راجت تجارته واصبح ثريا ومليونيرا خلال أعوام قليلة واصبح يمتلك سيارة مرسيدس ويسكن في ارقي الأحياء ويرتدى خاتما كبيرا من الماس.. وتتدلى من رقبته سلسلة بها قطعة من الذهب بحجم البرتقالة. وقلت لك اني لاحظت بعد هذه الزيارة بالذات أن العلاقة بيني وبين خطيبتى قد فترت وان المشاكل كثرت بيننا حتى فاجأتنى ذات يوم بطلب فسخ الخطوبة ونسيان كل شيء لاننا لا نصلح لبعضنا، وانقطعت عن رؤيتى وتجرعت الالم وحاولت نسيانها ثم جاء موعد صرف الشيك التالي فذهبت الى مكتب تاجر العملة ففوجئت بوجود خطيبتي السابقة تجلس على مكتب السكرتيرة في الصالة. فاستقبلتني بنظرات محايدة كأنها لا تعرفنى وبهدوء قاتل رفعت سماعة التليفون الاحمر المسخسخ على مكتبها وأبلغت صاحب المكتب بوجودى ثم أشارت لباب مكتبه وقالت لي تفضل، فدخلت مندهشا من أنها وهي المهندسة التي على وشك التخرج قررت العمل في هذا المكتب وهي غير محتاجة للعمل خلال الدراسة، ثم تكشفت لي الحقيقة المذهلة بعد لحظات على لسان التاجر نفسه الذي قابلني بالترحيب الحار والابتسام وأعلنى انه سيعطيني سعرا خاصا هذه المرة لان لى إعزازا خاصا لديه اذ انني كنت سبب تعرفه «بالمدام»!.. اى بخطيبتي السابقة.. ولحظتها أفقت على الحقيقة.. وعرفت سر الأساور والخواتم الماسية التي رأيتها ترتديها.. وأيضا سر الماكياج الثقيل الذي تضعه على وجهها والذي يكسبها سحنة غربية.. واكتشفت انه قد تزوجها واسكنها في شقة فاخرة والحقها بمكتبه وكل ذلك في اقل من شهر واحد.

اعتقد انك الان قد تذكرت كل شيء.. وتذكرت اني كتبت لك شاكيا خطيبتي التي فضلت على تاجر عملة شبه امى وفوق الاربعين ومتزوجا وله ابناء كبار وشكله كالقرد، لان سيارته مرسيدس، وملايينه عديدة وشبكته، من الماس ولابد انك تذكر أنك نصحتني بنسيانها إلى الأبد لانها انتهازية اختارتني من بين زملائي بسبب بعض مظاهر الثراء التي توسعتها في فلما اتاحت لها الظروف زيجة اكثر ثراء تركتنى بلا قلب لتزوج من ملايين رجل امي مشبوه بلا عاطفة ولقد عملت بنصيحتك يا سيدي وحاولت نسيانها ونسيتها بالفعل بعد فترة من العذاب أحسست خلالها بألم من كل شيء وكرهت خلالها الدنيا وغدر البشر وفقدت الثقة في الوفاء.. لكني لا اكتب لك هذه الرسالة لاقول لك اني نسيتها وعدت إلى حياتي الطبيعية.. وإنما اكتب لك لاروي لك الفصل الثاني من قصة خطيبتي السابقة لعل فيها عبرة لمن يعتبر لقد امضيت شهورا سوداء عقب إكتشاف زواجها من تاجر العملة. وواجهت حرجا شديدا تجاه أبي وأمي اللذين باركا خطبتي في رسائلهما. واشتريا إلى الشبكة من مقر اقامتها وراحا يرتبان لعقد القرآن في الصيف وترددت فيما يجب ان اقوله لهما. لكني رأيت بعد تفكير أن الصدق هو الحل الوحيد فصارحت شقيقي وشقيقتى بحقيقة ما حدث وتركت لهما إبلاغ أبى وامى. وانصرفت لعملى.. واجتهدت الا اراها والا اذهب للكلية لكيلا نلتقي.. وغيرت تاجر العملة الذي اتعامل معه بالطبع..

فلقد رأيتها ذات يوم على كوبري الجامعة إذ كنت عائدا الى بيتي.. فوقفت سيارتي خلال زحام المرور الى جوار سيارتها المرسيدس الجديدة التي يقودها سائق خاص وهي تجلس في الخلف وحيدة رافعة الرأس كانها ملكة! تنظر حولها بكبرياء وتأفف من زحام الطريق. فالتقت عينانا.. فتوقعت أن تخفض عينيها خجلا مني. فإذا بها تنظر إلى بثبات وبلا أدني إحساس بالخجل ثم تهز رأسها بتحية عابرة وتنطلق بالسيارة في طريقها الجديد!.

وكم أتعسني هذا اللقاء، لا لشيء إلا هذا البرود المتحجر ولأنها لا تشعر تجاهي بأي إحساس بالذنب بعد أن جرحتنى جرحا غائرا وشككتني في نفسى وفي كل شيء..

أصبح لا يربطني بها شيء سوى ما أسمعه بين حين وآخر من زملاء الكلية القدامى عنها وعنه، ومنها أن زوجها توسع في أعماله وانه أصبح يمارس إلى جانب تجارة العملة تجارة العمارات لكي يخفي نشاطه الأساسي في تجارة العملة ولكي يزيد من ارباحه وليبنى لزوجته الجديدة شقة فاخرة على مساحة 4 شقق، وأنه قد عين والدها المدير العام السابق موظفا عنده بمرتب ضخم إرضاءً لعيون المدام. وعجبت كيف قَبِل المدير السابق أن يعمل تحت امرة رجل لا يفك الخط.. فضلا عن أن يصاهره؟... وهو كما عرفت من اسرة كبيرة وابناؤه مهندسون ومحاسبون الخ.

ومع إحساسي بالمرارة. فلقد واصلت حياتي إلى أن دارت الايام دورتها وإذ بي ذات صباح أقرأ في الصحف خبر القبض على زوج حبيبتي الخائنة، تماما كما تنبأت انت في ردك على رسالتي الاولى ثم توالت الاخبار كالمطارق فوق الرؤوس.. فتبين انه قد حصل على مقدمات إيجار بالملايين من السكان وتوقف عن إستكمال بناء اكثر من عمارة كان يقوم ببنائها في وقت واحد منها العمارة التي كان يعد لها

فيها عش الاحلام ثم جاءت هوجة مخالفات مواصفات المباني وقرارات إيقاف البناء فهجم المستأجرون عليه لاسترداد مبالغهم التي دفعوها في وقت واحد.. فعجز عن الدفع فقدموا بالبلاغات ضده فأمرت النيابة بالقبض عليه فاذا بالمدعي الاشتراكي يتحفظ على كل امواله ليحاول انقاذ ما يمكن انقاذه من حقوق المستأجرين.

وسمعت ما هو أغرب من ذلك.. فعرفت انها كانت صاحبة المشورة «الثمينة» له بأن يدخل عالم بناء العمارات لتصبح مهندسة ومالكة عمارات بدلا من زوجة تاجر عملة. وأقنعته بان المطلوب هو فقط شراء قطعة ارض ووضع لافتة عليها بإسمه. وبعدها سوف تنهال عليه الملايين من راغبى الاستئجار ففعل ذلك فعلا.. وإنهالت عليه مقدمات الايجار حتى جاء عليه وقت كان يستعين فيه بـ 3 موظفين لعدّ النقود التي يتسلمها من المستأجرين، وبدلا من ان بينى عمارة واحدة كما كانت الفكرة في البداية قرر أن يبني اكثر من عمارة فعجزت إمكاناته عن استكمالها.. وتدهور الى الهاوية مع تطورات الأحداث المفاجئة. ربما تقول لي وما شأنك بكل ذلك وقد خرجت من حياتك فاقول لك ان خطيبتي السابقة.. بحاستها المرهفة قد احست بقدوم الزلزال قبل وقوعه بلحظات.. فاقنعت زوجها - ولا اعرف حتى الان كيف نجحت في ذلك - بأن يطلقها بصفة مؤقتة لكي لا يشملها أي قرار بالتحفظ على أمواله وأموال اسرته.. لكي تستطيع ان تسانده خلال مرحلة القضايا والمحاكم بما تنجو به من ثروته.. وبالفعل طلقها قبل فرض التحفظ على أمواله بفترة قصيرة، فنجت بالسيارة المرسيدس وبمجوهرات ومدخرات كبيرة.. في حين خرجت الزوجة الأولى من المولد بلا حمص!.

وبالفعل وقفت بجواره في البداية وقامت بالاتصال بالمحامين للدفاع عنه، لكنها بعد أن تأزمت الامور تماما عادت إلى دراستها. ودخلت امتحان السنة النهائية ونجحت. ولا اعرف ايضا كيف؟ ثم بعد عدة شهور فوجئت بها أمام مكتبي في الشركة التي اعمل بها تدعولى للخروج معها للحديث في امر هام. فلم ارفض. وخرجت معها فروت لي ما حدث بلا أية محاولة للاعتذار، وبلا أي احساس بالذنب مفسرة ما حدث بانه كان تجربة وانتهت. ثم سألتني فجأة سؤالا غريبا.. انت لم تتزوج بعد، ولم ترتبط بفتاة أخرى.. فلماذا لا نستكمل المشوار الذي بدأناه معا ثم اعترضته هذه التجربة، وكأن ما حدث لم يحدث؟.. أنت شاب ظروفك حسنة.. وكلانا عرف الاخر وفكر في الارتباط به.. فلماذا لا نحقق الارتباط الذي أردناه ذات يوم وكأن شيئا لم يحدث؟

سمعت كلامها.. والدنيا تدور بي.. ولم استطع أن أصدمها ولم استطع أن أقول لها انني فقدت حبي لها منذ زمن بل اني وبصراحة يا سيدى احس بالشماتة فيها ولا اشعر بأي ثقة فيها، فكيف أتزوجها واعيش حياتي معها؟

لقد طلبت منها مهلة لأفكر وكتبت اليك لأسالك رأيك. وأريد ان اعرف رأيك بصراحة فماذا تقول لي؟.

∞∞∞∞∞

ولكاتب هذه الرسالة اقول:

إنني ايضا - وليغفر لي الله هذا الإحساس الشائن - اشعر معك بالشماتة فيها! فلقد تذكرت رسالتك الأولى. وتذكرت كيف أثار تصرف هذه الفتاة معك حنقي لما آل اليه حال البعض في مجتمعنا من وضعوا داخل صدورهم آلات حاسبة في مكان القلوب وأصبحوا يقيسون كل شيء حتى العواطف بمقياس النقود والمرسيدس وخواتم السولتير بلا اي معيار آخر. حتى لتقبل هذه المهندسة سليلة الأسرة و الكبيرة، أن تتزوج بقرد أمى صاحب ثروة مشبوهة متزوج وله أبناء كبار من اجل مزيد من المال ومن أجل شقة على مساحة 4 شقق بدلا من شقة متوسطة المساحة معك.. لقد قلت لك في ردى الاول انها فتاة انتهازية.. وان فقد مثل هذه الفتاة نعمة لا نقمة كما قد تتصور وأنك حسن الحظ أنها قد كشفت عن معدنها قبل أن ترتبط بها إرتباطا نهائيا. وتوقعت لها أن تقرأ اخبارها وأخبار زوجها في اخبار الحراسات والمدعى الاشتراكي. ولم أتوقع أن يصدق التوقع خلال هذه الفترة القصيرة! لكن ما بني على خطأ فهو خاطىء.. وليت هذه القاعدة تصدق. اذن لإنصلحت الاحوال ولما فقدت القيم معناها، ولما إنهزم شاب مثلك أمام لص مشبوه كهذا اللص، ولما احس الشباب بالعجز والاحباط والهزيمة الشخصية أمام قرود هذا الزمان الرديء. تسألني عن رأيي فاقول لك.. ابتعد عن هذه الفتاة يا صديقى فلا حياة لك معها ولا امان ولا مستقبل، لا لانها اخطأت هذا الخطأ الانتهازى فقط، وانما لانها لا تشعر في قرارة نفسها بانها قد اخطأت في حقك او في حق نفسها ولا يساورها تجاهك اى احساس بالذنب مع الجميع دائما..

وهذه هي الكارثة. فلو انها عادت اليك باكية. نادمة قائلة انها قد اكتشفت أن المال وحده لا يحقق السعادة، وانها اخطأت. وعرفت انها قد ضلت الطريق وعادت اليك لأنها تحبك وترغب في أن ترتبط بك للابد، وانها لن تغضب حتى لو إحتقرتها لانها تستحق الاحتقار فعلا، لكنها تحبك وتريد الزواج بك، لو قالت لك شيئا من ذلك واستشعرت صدقها لربما ترددت وفكرت في أن انصحك بالصفح عنها والارتباط بها..

لكنها يا صديقي مازالت تتحدث معك بنفس المنطق الحسابي البارد الذي تصرفت على أساسه في حياتها ولا ترى فيما فعلت أي خطأ.. وهذا يعني ان الآلة الحاسبة مازالت بين ضلوعها وأنها لم تتعلم شيئا من التجربة التي مرت بها، ويعني أيضا أنها فتاة اعتادت أن تنال ما تريد بغض النظر عن مشاعر الاخرين وإرادتهم، وانها تريد أن تجمع كل شيء بين يديها بلا أية خسائر من جانبها، فتحصل على المال من القرد إياه.. وتحصل على الشباب والوسامة والعائلة الكريمة منك.. وحتى اشعار اخر. اى حتى تظهر لها فرصة أفضل سواء قبل الارتباط معك.. او بعده، وهذه كلها أشياء مخيفة.. وفتاتك هذه فتاة جبارة ولا يؤمن لها جانب.. فهل تريد ان تتزوج من دراكيولا مصاصة للدماء بلا أي عاطفة... ولا إحساس بالذنب؟.

∞∞∞∞∞

مجلس العائلة

أشعر بشيء من الخجل وأنا أكتب لك هذه الرسالة.. لأني سأحكي لك عن مشكلة قد يراها كثيرون مشكلة تافهة لا تستحق الكتابة لكنها بالنسبة لنا ولأمثالنا مشكلة تزيد من مرارة الدنيا.. فأنا يا سيدى سيدة توفي عني زوجي رحمه الله منذ 3 سنوات وكان موظفا طيبا صغيرا، وقد رحل تاركا وراءه أربعة أبناء وتاركا لنا معاشا قدره خمسة وأربعون جنيها هي كل موردنا والحمد لله، فرتبت حياتنا على العيش بهذا المبلغ. وتعاون معى أبنائى فتخلوا عن كثير من مطالبهم التي اعتادوها في حياة الأب.. ورضوا بكل شيء ورضيت أنا بما قدر الله لنا وشكرته على هذه النعمة وأكبرها في نظري نعمة صلاح الأولاد وطيبتهم وهم جميعا بالمدارس وبعد وفاة الأب بدأت اشركهم معي في كل أمور حياتنا فإذا عرضت لنا مشكلة دعوت الأولاد وتشاورت معهم.. واحاول دائما ان اجعلهم يقترحون الحل.. فاذا وافقنا عليه، فان تنفيذه يصبح مسئولية مشتركة بيننا، ولاحظت انهم يتحملون مسئوليتهم بإمانة ورجولة رغم انهم جميعا تلاميذ بالمدارس الابتدائية والاعدادية. واصل بعد ذلك إلى المشكلة التي قد يراها البعض مشكلة تافهة، فقد كان من بين ما تركه لنا زوجي جهاز تليفزيون أبيض وأسود أصبح بعد رحيله هو وسيلة الترفيه الوحيدة في حياتنا، ورغم متاعب الحياة فقد كنا نعم كل ليلة بجلسة هادئة أمام التليفزيون بعد أن يذاكر الأولاد دروسهم ثم نذهب لنومنا راضين. لكنه حدث أن تعطل هذا الجهاز ثالث أيام عيد الفطر الماضي أعاده الله على الجميع بكل خير. فسدت نافذتنا الوحيدة على الدنيا وتوقفت متعتنا الوحيدة.

وكالعادة عقدت مجلس العائلة لحل المشكلة.. وتكلمنا وخرجنا بقرار بتوفير مبلغ جنيه واحد كل شهر لإصلاح التليفزيون مهما كانت الصعوبات لأن التليفزيون هو وسيلة الترويح الوحيدة في حياتنا. وكان الأولاد والحمد الله متعاونين معي، فنجحنا في توفير ١٢ جنيها على مدى سنة كاملة.. وبعد أن تجمع لدينا هذا المبلغ الكبير حلى الأولاد على إصلاح التليفزيون قبل شهر رمضان لكى نتفرج على برامجه في ليالي رمضان وأثناء الصيام فخرجت للذهاب إلى مراكز اصلاح التليفزيون القرية من مسكني، فكنت أقابل في البداية بالترحيب الشديد ثم عندما يعرفون أن التليفزيون أبيض وأسود يتحول الترحيب إلى سخرية لماذا؟ قالوا لي إن التليفزيون الأبيض والأسود لم يعد أحد يستعمله.. ولم يعد هناك أحد يصلحه. لماذا؟ قالوا لي إنه لم يعد له قطع غيار.. ولم يعد هناك أحد مستعد لتضييع وقته في إصلاح جهاز رخيص وثمن اصلاحه رخيص فالجميع يعملون في اصلاح التليفزيون الملون.. لأن قطع غياره متوافرة وأجر اصلاحه كبير. فخرجت من مركز إلى مركز وأنا اسمع نفس الإجابة وأقابل بنفس النظرات.. وعدت من جولتى مكسوفة وحزينة إلى أولادي. وعندما سألوني ماذا صنعت يا أمي أفلت لسانى بما يدور في باطنى وكنت أحب ألا يفلت لساني لكي لا أزيد غمّهم فقلت لهم ساهمة وكأنني اكلم نفسى: اكتشفت اننا لسنا «عايشين» في الدنيا. ورغما عني يا سيدي حكيت لهم ما حدث. وحاولت أن أخفف

عنهم بانى سأركب الأتوبيس الى أحياء أخرى للبحث عمن يصلحه. فكان ردهم على بلسما خفف من الآمي.. فقالوا ولا يهمك.. المهم إن احنا مع بعض وكويسين.

وأخيرا فكرت في أن أكتب اليك، فرغم.. ضيق مواردنا فإلى أحرص وهذه عادة من أيام زمان «السعيدة» على قراءة الاهرام وبعد وفاة زوجى ونقص الدخل قررت الاستمرار فيها لأني وجدت فيها راحة نفسية لى كما وجدت فيها زيادة معرفة وتنمية لحب الاطلاع عند الأولاد.. وفعلا نحن نتبادل قراءة الجريدة واحدا بعد الآخر وقد فكرت أن أكتب لك لعلك تستطيع أن تعاونني في ايجاد أحد الفنيين الرحماء الذي يقبل أن يصلح جهاز تليفزيوني قبل شهر رمضان، ولعله إذا عرف انى مريضة بتضخم الكبد وارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين يقدر مدى حاجتي إلى ما يروح عني خلال أيام الصيام الطويلة بشرط أن تكون العملية كلها في حدود 12 جنيها، وأشكرك كثيرا والسلام عليكم ورحمة الله.

∞∞∞∞∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

يا سيدتي ضعف الطالب والمطلوب. لقد حلت مشكلتك بأمر الله قبل أن أنتهي من قراءة رسالتك، فقد كنت مشغولا بقراءة الرسالة حين جاءني زائر كريم بطلب مني أسماء وعناوين بعض من يستحقون معاونته، فمددت يدى إليه برسالتك ولم أزد. فحُلت المشكلة بإذن ربك في لحظة ولو لم يسارع هذا الزائر الكريم بحلها لتولى بريد الاهرام الأمر لكنه شاء أن «يستأثر» كما قال لي بإسعاد هذه الأسرة المكافحة: فلا تقلقي فسوف ترين برامج رمضان «ملونة» بإذن الله، لكن هذا ليس المهم وانا المهم هو أنت واسرتك الرائعة هذه..

أتعرفين يا سيدتي إنك ربة أسرة متحضرة متنورة تعد نموذجا يحتذيه الآخرون؟ أتعرفين أنك تطبقين في إدارتك لهذه الأسرة المكافحة الشريفة أحدث نظريات التربية وأرقاها؟ ربما تكونين لم تقرئي كتابا في علم التربية، لكن رغم ذلك وبحس حضاري فطرى مستمد غالبا من قيمك الدينية الراسخة ومن تنورك وحرصك على القراءة رغم نقص الإمكانيات، تقومين بتربية أبنائك تربية سليمة صحيحة، سوف تثمر رجالا نافعين وأشخاصا أسوياء على خلق كريم بإذن الله فأنتِ بحرصك على تشجيع أبنائك على إبداء الرأي رغم صغر سنهم في شئون الأسرة.. واقتراح الحلول وإشراكهم في القراءة تغرسين فيهم القدرة على التفكير والميل للمشاركة.. والرغبة في تحمل المسئولية.. لذلك يسارعون جميعا الى تنفيذ ما اتفق عليه حتى ولو جاء على حساب مطالبهم الضرورية. وهذا هو جوهر الشورى والمشاركة والمسئولية.

أتعرفين أيضا إنك بتشجيعك لأبنائك على القراءة رغم صعوبات الحياة تغرسين فيهم بذور حب المعرفة والاطلاع.. وفهم الواقع والحياة.. أو ليس هذا هو مقياس الرقي في أي مجتمع؟.

إنكِ يا سيدتي تمارسين سلوكا متحضرا في حياتك وإدارة أسرتك ولابد أن تثمر مثل هذه التربية السليمة أسرة يحب أفرادها بعضهم بعضا ويتعاونون على تحمل

مسئوليتهم في الحياة برجولة وشرف وسلوكك هذا لا يرق اليه بكل أسف كثيرون ممن يملكون المال ويقتنون منتجات الحضارة الحديثة.

لكنهم بسوقيتهم وجهلهم وظلام عقولهم أجلاف متأخرون ويؤخرون الحياة من حولهم.. ويزيدون من صعوبتها على غيرهم بسلوكياتهم المؤسفة تسأليني بعد ذلك ولماذا أنشر رسالتك إذا كانت مشكلتك قد حلت قبل النشر. فأقول لك أنشرها لان اسرتك يا سيدتي نموذج رائع لكفاح أسرة مصرية متحضرة ومثقفة يظللها الحب والتعاطف والصفاء رغم التقشف والإملاق، وأنشرها ليعرف من تقولين أنهم لا يعرفون عن حيانا شيئا.. كيف «تجاهد» أسرة مصرية لاصلاح تليفزيون قديم حتى لتعقد مجلس العائلة، ثم تطرح المشكلة على بساط البحث ثم تتخذ قرارا بادخار جنيه واحد فقط لا غير كل شهر. وتنفذ قرارها بشجاعة وتحمل المسئولية على حساب الضروريات من مطالب الحياة، فتجح بعد كفاح مجيد لمدة سنة طلعت فيها الشمس وغابت 365 مرة في توفير 12 جنيها مصريا، وبعد أن يتجمع الدها هذا المبلغ الكبير تخرج الأم إلى مراكز إصلاح التليفزيون فتكتشف أن جهازها لم يعد قابلا للاصلاح، وأن العصر قد تخطاه منذ زمن بعيد؟ اليست هذه قصة دارمية مكتملة العناصر؟.

إنني أؤكد لك إنه لو قدم مؤلف درامى قصتك هذه في تمثيلية تليفزيونية لاتهمناه بالمبالغة والميلودرامية والرغبة في إستدرار الدموع.. لكنها الحياة با سيدتى أعظم المؤلفين وأكثرهم ميلودرامية ولكنه أيضا واقعنا الأليم الذي نشقى و بالحلم، في تغييره ذات يوم.

ثم أخيرا أنشرها ليرى فيها المتبرمون بلا سبب وهواة الشكوى والأنين، والمعذبون بتطلعاتهم إلى ما في أيدي غيرهم وهم يملكون الكثير.. صورة واقعية لحياة لا يسمح لهم أنينهم المستمر بالاطلاع عليها. وليرضى المتهمون بما نعموا.. ففي تجارب الآخرين نبع لا ينضب من العبرة لكل ذي قلب حكيم.

∞∞∞∞∞

الخيط الرفيع

هذه رسالة (عاجلة، تلقيتها من فتاة في محنة.. سأعرضها بلا مقدمات اللهم الا ان اقول انني اجد نفسي مدفوعا بقلبي واحساسي الى تصديق ما ترويه هذه الفتاة رغم غرابته ورغم مخالفته للعقل. فكثيرا ما تصدقنا أحاسيسنا فيما يرفض العقل أن يصدقه. تقول كلمات الرسالة:

ولا اكتب اليك هذه الرسالة طالبة وظيفة.. ولا طالبة و عريسا، كما تفعل بعض القارئات، لكني اكتب اليك طالبة نجدة عاجلة.. وارجو ألا تخذلني فأنا يا سيدي أعيش في محنة لا تغمض جفوني خلالها الا ساعات قليلة.. واذا نمت كان نومى قلقا مضطربا أصحو منه عدة مرات فزعة خائفة. انني اعرف انك قد لا تصدق ما سأقوله لك، لكني أقسم بالله وبرسله وكتبه ان ما اقوله صحيح وأترك الأمر لضميرك..

انني فتاة عمرى 21 سنة، لست طالبة جامعية ولا خريجة إحدى الكليات فكل ما حصلت عليه من العلم هو الحصول على الشهادة الاعدادية ثم منعني أي من مواصلة

التعليم وأجلسني في البيت خوفا على من الفتنة. وابي موظف مرموق يتقاضى مرتبا كبيرا يصل الى 400 جنيه كل شهر وأعيش مع أبي وحدنا في شقة مكونة من 5 حجرات، وقد تتصور مع هذه الظروف أنا نعيش حياة مترفة او على الأقل حياة معقولة، لكن الواقع الذي يعرفه من يعيشون حولنا ويلمسون حياتنا هو غير ذلك، فليس في شقتنا هذه سوى أثاث بسيط جدا مكون من «كنبة، وحصائر تُفرش على الأرض. ونحن نعيش في تقشف تام وليس لدينا تليفزيون ولا بوتاجاز، وأنا اطهو الطعام على موقد جاز قديم وان كان معظم طعامنا مما لا يحتاج إلى طهو اصلا وكل مرتب ابي بعد دفعه الايجار يذهب الى شراء الكتب الدينية والإحسان الى الفقراء والتبرع للجمعيات الخيرية، وأحاديثنا كلها عن الدين ولا اعرف الا القليل عن الحياة خارج شقتنا، وليس لى صديقة واحدة يسمح لها أبي بزيارتى وليست المشكلة في كل ذلك، فلقد كنت راضية بحياتي هذه والحمد الله عليها واشكره على نعمته التي انعم بها على مما قد يتمناه الاخرون كالمسكن الواسع والأب الحنون وراحة البال، لكن حدث بعد ذلك ما قلب حياتي جحيما وأفقدني كل ما كنت أحس به من سكينة وإطمئنان، فقد حدث ذات ليلة أن هبَّ أبي من نومه مفزوعا ونادي علىّ لأحضر له كوبا من الماء فذهبت اليه بكوب الماء فإذا به مستغرق في البكاء سألته مابك يا أبي فلم يجب فبكيت لبكائه وواسيته قدر استطاعتي لكنه ظل يبكى طوال الليل إلى أن اشرقت الأرض بنور ربها، وفي اليوم التالى لم يذهب الى إلى عمله وأرسل باجازة عارضة مع احد جيراننا، وبقي في البيت لمدة أسبوع لا يذهب إلى العمل، وهو حزين.. يكفكف دموعه بين حين وآخر او يمضي الساعات واجما ساهما حزينا.

وكلما سألته عن أسباب حزنه يسكت عن الاجابة أو تدمع عيناه ولا يتكلم،، وبعد اسبوع على هذه الحال جاءني في غرفتي وصارحني بما يعذبه فكان مفاجأة أيمة لي.. إذ قال لي أبي أنه حين صحا من نومه فزعا كان قد رأى في المنام رؤيا سمع خلالها هاتفا يأمره بذبحي.. ظنته في البداية يحكى إلى هذه الرؤيا متعجبا منها لكني رأيت منه إصرارا نهائيا على فعل ذلك ورأيته يتعذب بين عاطفته نحوى كأب رحيم وبين هذا الإصرار على تنفيذ ما امره به الهاتف فكدت أسقط مغشية على ثم توسلت إليه الا ينفذ ما رآه.

فيبكى ويتر كنى.. لكني أتعذب كل يوم وأحس به يتعذب أكثر أراه بين حين وآخر يمسك بسكين في يده ويتأملها طويلا ثم تنهمر دموعه، فيدب الخوف في قلبي وأبكى لعل دموعي بعدم تنفيذ ما يريد.. كأنني اقول له بدموعي لا يا أبي.. لا تقدم على ما يدور في ذهنك.. وحياتي منذ هذا اليوم جحيم.. وكلما إستعدت بعض إطمئناني إنخلع قلبي مرة أخرى بمشهد مماثل. وصدقني لقد حاولت أن أهرب بعيدا عن أبي لكني تراجعت إشفاقا عليه لاني اخاف عليه واخاف على سمعته، وفكرت في أن اتصل بالشرطة لكني تراجعت ايضا إشفاقا عليه.. فهل من المعقول أن أبلغ عن ابي؟ إن هذا لا يصح ولن يكون.. ثم اخيرا وبعد عذاب إهتديت إلى بابك الذي يقرأه أبى بانتظام ويعجب بنصائحك للآخرين، وإهتديت إلى كتابة هذه الرسالة وإعطائها إلى إحدى جاراتى لكي ترسلها إليك، ولكي تقرأها وتكتب اليه ناصحا له ألا يفعل هذه الجريمة البشعة وبالا يصدق ما رآه لأنه ليس سوى حلم وخواطر في النفس ولا مجال للحقيقة فيها، وأرجوك أن تسرع بنجدتي فهذا.. هو الخيط الرفيع الذي اتعلق به الآن فأبي لم يعد يفعل أي شيء.. ولا يقرأ أي شيء بعد هذا الحلم وهو دائما وحيد في حجرته يتأمل السماء وحيدة في حجرتي خائفة. والسلام عليكم ورحمة الله.

∞∞∞∞∞

هذه هي الرسالة العاجلة.. وسيكون ردي عليها ايضا عاجلا وموجها إلى الأب مباشرة:

يا سيدى لن اناقش معك في البداية اسلوبك في الحياة.. ولا ما جنيت على ابنتك من حرمانها من حقها في التعليم وحقها في الحياة الكريمة العادية لأسباب تراها وقد نختلف حولها لكني سأناقش معك هذه المرة ما تسلط على ذهنك من أنك: ترى في المنام أنك تذبحها كما رأى ابو الانبياء ابراهيم أنه يذبح ولده اسماعيل وأريد ان اقول لك ياسيدي انك لست بنبي ليكون ماتراه في نومك رؤى تراها وهواتف تهتف اليك بالحق المبين - فأنت رجل عادى مثلنا ومثل كثيرين غيرنا من البشر قد تفضلنا بفضلك وطيبتك وتقواك، ولكنك في النهاية انسان ولست نبيا. ولو كلفت نفسك قراءة كتاب واحد في تفسير الاحلام لعرفت آن مانراه في نومنا هو ترجمة بالصور لما يختلج في عقلنا الباطن ومايترسب في اللاشعور خلال فترات طويلة، وليس أوامر نؤمر بها ولا إشارات إلى المستقبل او الاحداث المقبلة.

وانت ياسيدي بكل أسف وفيما أتصور تربط في عقلك الباطن وبغير أن تعي ذلك بين نوع البنت وبين مفهوم و العار، بشكله التقليدي الشائن وهو المفهوم الذي كان يدفع الآباء في الجاهلية الى وأد بناتهم وإهالة الرمال عليهن أحياء تخلصا مما سيمثلنه بعد ذلك من و عار، لهم.. بالرغم من بديهية أن هؤلاء الرجال هم أنفسهم أبناء النساء حملن فيهن وانجبنهن للدنيا!

وهذا المفهوم التقليدي الشائن الذي نسخه الإسلام ونهى عنه. مازال يجد له آثارا مترسبة في بعض المجتمعات.. ولدى بعض المتزمتين حتى ولو لم يعلنوا ذلك أو لم يشعروا به. وهذا الإحساس الكامن هو الذي دفعك الى منع إبنتك من مواصلة تعليمها و إجلاسها، في البيت بعد الاعدادية، وهو ايضا الذي يؤرقك في داخلك بعد أن كبرت ودخلت طور الشباب وأصبحت فتاة وقد تفاعل لديك هذا الاحساس الكامن في عقلك الباطن إلى أن عبر عن نفسه اخيرا في حلم يدعوك إلى ذبحها. وانت في الحقيقة لا تريد أن تذبح ابنتك الطيبة المتدينة المحبة التي ارتضت هذه الحياة المتقشفة البسيطة الخالية من كل منع الحياة بجوارك بلا شكوى ولاضجر، لكنك تريد أن تذبح «مخاوفك» منها وشعورك الداخلي بما تمثله من عار محتمل!.. وهو إحساس متخلف رهيب مع مثل هذه الابنة الملائكية التي تعيش جحيم الخوف من القتل وتخشى عليك وعلى سمعتك في نفس الوقت لو انقذت نفسها أو لو ابلغت الشرطة عن مخاوفها.

أمثل هذه الفتاة يخشى من يؤمن بالله واليوم الآخر منها؟

أن كثيرين يغبطونك على مثل هذه الإبنة العطوفة الطيبة.. فكيف تساورك الأوهام بشأنها؟ إرحم نفسك ياسيدي قبل أن ترحم ابنتك.. ولو أنصفت نفسك لإستشرت طبيبا نفسيا يساعدك على فهم أغوار نفسك ويغوص في اعماقك ليستخرج لك أسباب هذا التفكير الخاطيء تجاه ابنتك مما مر بك في طفولتك او صباك او رجولتك من احداث.. ويساعدك على تخطي هذه المحنة.. وعلى الشفاء منها.

ولو أنصفت ايضا ياسيدي لاعتدلت وعدلت في توزيع دخلك فإن لنفسك عليك حقا ولإبنتك عليك حقا.. ولمستقبلها عليك حقا وليس من التقوى أن تنفق كل دخلك على شراء الكتب والتبرع للجمعيات وبيتك خال إلا من الحمير والكتب.. وحياتكما متقشفة إلى حد الإملاق فاذا كنت قد إرتضيت ذلك لنفسك وهو شطط لاشك فيه. فما ذنب ابنتك ومن حقها أن تستمع بما أحل الله بغير مغالاة. إنني اتصور أن هذه المحنة التي تعيشها أنت أولا سوف تزول عندما تتزوج ابنتك وتتخلص أنت ما تمثله من عبء، على ضميرك. فأفرج عنها قليلا ياسيدي وثق فيها وفي خلقها. ودعها تخبر الحياة قليلا تحت إشرافك لكي لا تواجه الدنيا بلا أي سند من معرفة أو فهم اذا ماوجدت نفسها يوما وحيدة تماما في الحياة، وتخير لها من الصديقات من تطمئن إلى خلقها فالصداقة قيمة ضرورية للحياة،

إني لا أفهم في تفسير الاحلام.. لكنه خطر لي خاطر لا بأس من أن اقوله لك بعد قراءة هذه الرسالة.. أليس من المحتمل أن يكون هذا الحلم هو اشارة، فعلا لكنها

اشارة للواقع الذي تعيشه مع ابنتك والذي «تذبحها» فيه حقيقة بحرمانها من الحد الأدنى للحياة المعقولة.. وبفرض هذا التقشف والحصار القاتل عليها؟

بربك ألا يستريح ضميرك الديني الى هذا التفسير الذي يبدو اقرب للعقل والمنطق والدين؟ واذا كان الأمر كذلك فلماذا لاتنفق بعض الوقت الذي تمضيه صامتا ساهما معذبا في البحث عن زوج صالح لمثل هذه الابنة الطيبة المتدينة؟ لقد قلت لك ما أردت وعفوا لأي تعبير قد يمسك فلا أقصد الا انقاذ إبنتك وانقاذك من هذا الوهم الكبير، اما انت يا ابنتي فلا تترددي إذا ما استشعرت الخطر مرة أخرى في الاستنجاد بجيرانك مهما كانت العواقب، فأنت بذلك تنقذين نفسك وتنقذين أباك ايضا من ارتكاب جريمة.. وحبذا لو كتبت الى باسمك وعنوانك لعلى أستطيع لك شيئا. وارجوك على الأقل ان تكتبي الى بما فعلت بك المقادير وقلبي معك ومع أمثالك من المعذبين.

∞∞∞∞∞

السيمفونية الناقصة

مشكلتى رغم أنها شخصية الا أنها تواجه غيري من السيدات.. لذلك فسأروي لك قصني كاملة وأطلب منك مساعدتي في حلها. تزوجت بعد تخرج من الجامعة مباشرة وعشت مع زوجي 10 سنوات كاملة من أحلى فترات العمر كان زوجي لي خلالها هو كل شيء بالنسبة لي.. وكان محور حياتي الذي ادور في فلكه.. إن ضحك ضحكت وان تألم تألمت وأن شرد شردت معه احاول ان اغوص في افكاره.. واعرف ماذا يشغل حبيبي أو ماذا يكدره وأنا على استعداد لكي اقدم عمري كله لكي احجب عنه ما يكدره. مضت حياتنا سعيدة كانت لنا حياة اجتماعية مليئة.. بيتنا لا يخلو من الزائرين وامسياتنا تشهد زيارات عائلية سعيدة للاصحاب والاهل..

وفي أمسيات الخميس نخرج للسهر في إحدى دور السينا في مدينتنا الجميلة الاسكندرية او للعشاء في أحد المطاعم.. لم يكن ينقصنا شيء.. لا بل كان ينقصنا شيء هام لكننا لم نكن نحس به الا في نظرات بعض الأمل بين حين وأخر والا حين يشرد حبيبى بافكاره بعيدا عني فأخشى ان يكون هذا الشيء الناقص هو ما يشغله. كان ينقصنا الانجاب.. وكنت المسئولة عن ذلك لكننا صدقتى كنا نحيا حياة سعيدة كاملة لا ينقصنا شيء ولم يكن هو يشير الى هذا الموضوع من قريب أو بعيد بل كان يبالغ في تهيئة الجو السعيد حولى إذا استشعر أي تغير في خوفا من أن يكون هذا الموضوع هو شاغلى وفجأة وقع الزلزال وبلا مقدمات. كيف؟ لا اعرف فبلا مقدمات استسلم فجأة لبكاء والدته وإلحاح والده وبدون أي تمهيد نفسي أو عاطفى وجدت نفسي مطلقة، فقد صمم أهله على أن يطلقني لكي يستطيع أن يتزوج ممن تنجب له اطفالا وكانت الصدمة شديدة على هزت كياني وافقدتنى توازنى وثقتى بالحياه وبنفسي ماذا جنيت حتى تنهدم حياتي من اساسها؟ الأطفال؟ ومتى رفضت ان يكون على أطفال؟ وأين هي الزوجة الطبيعية التي ترفض ان يكون لها اطفال لكني لم أخلق عجزي بنفسي وإنما هي ارادة الله فماذا جنيت؟

ألا يكفى عذاب حرمان المرأة من الطفل.. حتى نضيف اليه عذاب الطلاق وهدم حياتها؟ الان عام على الطلاق ومازلت أبكي بحرقة كلما تذكرت ما آل اليه حالى فبعد البيت الخاص أصبحت أعيش الآن مع أمي المسنة وأختي التي على وشك التخرج، وبعد الحياة الاجتماعية الحافلة والزيارات واستقبال الزائرين والخروج، تمضي الايام لا يطرق علينا الباب طارق.. انني موظفة كبيرة باحدى شركات القطاع العام بالاسكندرية.

وقد تلفت حولي فوجدت نفسي في الثامنة والثلاثين من عمرى.. مطلقة بلا أمل.. وبلا ذنب ففكرت في ان اكتب اليك عسى ان تدلني على طفل يتيم ليس له اهل لاقوم بتربيته وأخذه إلى ابنا يكون لي فيه بعض العزاء عن غدر الأيام وقلة الوفاء ولكي يصبح لحياتي معنى وهدف أعيش من أجله فهل تساعدني في ذلك؟

∞∞∞∞∞

واقول لهذه السيدة.. نعم أستطيع ان اساعدك وان اكتب بعنوانك ورغبتك الى بعض معاهد الأيتام بالاسكندرية لتتصل بك وترتب معك هذا الأمر، وهو تفكير انساني عظيم.. لكن هل هذا هو الحل السليم لمشكلتك؟

تستطيعين أن تتبني طفلا وان تفرغي فيه عاطفة الأمومة لكنه سيبقى هناك دائما شيء ناقص سيكدر حياتك.. فلماذا لا تطوين صفحة الماضي وتبدئين حياة جديدة مع زوج ملام لا يرغب في الانجاب كمطلق له اولاد او ارمل له اولاد؟ لقد كانت لك حياة سعيدة لكنه كان يؤرقها دائما هذا الشيء الناقص.. وهو الذي هدم حياتك مع زوجك. فلا تصدق يا سيدتي أن رجلا يحب زوجته ويجد لديها كل سعادته يمكن أن يستجيب لالحاح اب او ام في طلاقها؟ أن الرجل اذا لم تتوافر لديه بواعث الطلاق من داخله هو لا من خارجه فانه لا يقدم على هذه الخطوة ابدا إرضاء لاحد. لقد كان الشيء الناقص يؤرقه هو نفسه قبل والديه لكنه كان يجد تعويضا كافيا لديك عنه إلى أن اشتدت وطأته عليه.. فضعف واستجاب لما كان يلح عليه من داخله..

ولا أريد أن أظلمه.. فأنا لا أعرف كل حيثيات قراره.. ونحن نتعامل مع المشاكل من جانب واحد.. ولا نسمع عادة صوت الطرف الاخر، لكنني فقط اقول لزوجك السابق انك لو كنت سعيدا فعلا مع زوجتك السابقة ثم طلقتها لا لشيء فقط سوى هذا السبب وحده.. فانت يا صديقي لم تعرف الحياة جيدا.. ولم تعرف أن السعادة الكاملة من كل الوجوه لم تخلق بعد على ظهر الأرض.. ولم تعرف ان السعادة نسبية وان الدنيا تعطى اشياء وتأخذ اشياء اخرى.. وان الدنيا هي غالبا كالسيمفونية الناقصة لا تكتمل ابدا فاذا كان ما اعطته لنا كافيا فمن البلاهة أن نعذب انفسنا بالتطلع إلى ما حرمتنا منه.. خاصة واننا لا نعرف تماما هل سنجد سعادتنا فيما نطمح اليه ام لا.. وهل لو فقدنا ما بأيدينا جريا وراء ما نحلم به..

هل نخسر ام نكسب؟ فاذا كنت قد طلقت زوجتك لهذا السبب وحده فقد ظلمتها وظلمت نفسك لأنك فيما أتصور لن تجد لدى غيرها كل هذا العطاء.. ولانك لا تعرف ماذا تخبئه لك الأيام والليالي.. والليالي كما يقولون حبالى يلدن كل عجيب! لقد سبقك امبراطور عظيم الشأن هو شاه ايران السابق إلى هذه المغامرة فطلق في الخمسينات زوجته الثانية الامبراطورة ثريا على حبه الشديد لها ورغم جمالها الباهر.. طلقها وهو يبكى و مضطرا، كما يقول معظم من يقدمون على هذا التصرف ولنفس هذا الدافع! لأنه حريص على أن ينجب وليا للعهد يرث العرش ويحفظه في أسرته، فتم له ما أراد فعلا وأنجبت له زوجته الجديدة اكثر من وريث للعرش. لكن العرش نفسه قد إندثر تحت حمم براكين الثورة الإيرانية، وضاع العرش ولم تعد هناك حاجة لمن يجلسون عليه! اننا ننسى كثيرا أنه لو علمتم الغيب لإخترتم الواقع.. وننسى في أحيان كثيرة أن علينا أن نسلم بما اختاره لنا الله في أشياء كثيرة.. فيجرنا هذا النسيان إلى اخطاء عديدة تتعس حياتنا من حيث نريد أن نجنبها التعاسة. وقد نسي زوجك كل ذلك فكانت هذه المحنة.

∞∞∞∞∞

أسرة من الحىّ الشرقي

أنا طالب بالسنة الثالثة باحدى كليات جامعة عين شمس ومتفوق في دارستي والحمد لله، أسرتي مكونة من ام طيبة مكافحة.. وشقيقتين طالبتين إحداها معى في نفس الكلية والأخرى بالمدرسة الثانوية وهما والحمد لله فتاتان على خلق ويجمعنا جميعا الحب والتعاطف والترابط - حيث أننا نواجه الحياة وحدنا بعد رحيل أبي رحمه الله منذ حوالى 10 سنوات ونعيش بمعاشه المحدود حياة متقشفة لكنها مستورة والحمد لله. وقد كافحت أمي معنا كفاحا مجيدا لكى نواصل تعليمنا مستعينة بالصبر وبالحيلة لتدبير حياتنا وتلبية مطالبنا في حدود معاشنا.

وهي صورة تراها في كثير من البيوت التي تفعل الأعاجيب لكي تستمر في حياتها البسيطة بغير أن تفقد نفسها وإحترامها. ولا يضايقني ذلك فحياتنا لا تخلو من متعة بسيطة نستمتع بها بين حين وآخر، كجلسة عائلية دافئة في أمسيات الشتاء نضحك فيها على ما نراه في يومنا من صور تثير الضحك أو «كأكلة» بلدية هنية التي تجيد أمى كسيدات الأحياء الشعبية صنعها في حين، او كأكلة من طعام السوق اللذيذ الذي يجيد جيراننا في الحي الشعبى صنعه وعرضه للبيع تسبقه روائحه الطيبة.. الخ.. وهي كلها متع بسيطة لكنها ترضى أمثالنا من البسطاء.. وأهم منها بلا جدال أننا جميعا بصحة طيبة.. وأنه لا مكان للكراهية بيننا.. لذلك فأني أكاد أعتبر أسرتنا أسرة سعيدة والحمد لله.. «لولا»... ولقد قرأت في ردك على رسالة الزوجة الحائرة بسبب زوجها.. انه ليست هناك حياة خالية من «لولا» الشهيرة هذه.. فقررت أن أكتب لك عن «لولا» الخاصة بنا التي تفسد علينا سعادتنا ونتعذب بها العذاب الأليم كل يوم. فنحن يا سيدى نعيش حياة مريرة لسبب عجيب لا يخطر على بال أحد هو والدي رحمه الله منذ ٢٠ سنة لم تستطع إمكانياته المادية أن توفر لنا مسكنا إلا في هذا الحي من أحياء القاهرة الذي ارتبط اسمه لسوء حظنا بتجارة المخدرات طبعًا عرفت اسمه؟ إن كل ذنبنا لدى الآخرين أننا نقيم في هذا الحي الذي يتصور الناس أنه لا يقيم به إلا تجار المخدرات والموزعون والمدمنون.. إلخ، علما بأن هذا الحي كغيره من الأحياء يقيم به موظفون مكافحون وتجار عاديون وعمال لا يربطهم بتجارة المخدرات صلة، لكن قدرهم انهم يعيشون في هذا الحي ولا يجدون بالطبع بديلا للسكن فيه أزمة المساكن الحالية..

إنك قد تتصور أن هذه مشكلة تافهة لكنها ليست كذلك أبدا، فالناس خارج الحي إذا اختلطنا بهم وعرفوا أننا من سكان هذا الحي تغيرت على الفور نظرتهم لنا وتهربوا منا ولم يقبلوا على صداقتنا رغم أننا فقراء شرفاء..

ثم والله العظيم، وإذا تحدثوا معنا لا حديث عندهم لنا الا عن المخدرات وأسعارها وأصنافها وهم يسألوننا عن الاسعار والأصناف.. وأسماء التجار كأننا من صبيانهم، رغم أنني لا أعرف شيئا عن المخدرات ولم أذقها في حياتي ولا أدخن السجائر ولم أذقها أيضا، فاذا تغيبت عن الكلية لمدة يومين لأي سبب وكأي طالب آخر يقابلني زملائي بالتساؤلات الجارحة: كان فيه كبسة عندكم والا ايه؟.. والا كنت بتوزع البضاعة؟! فأصمت صمت العاجز عن الرد وفي قلبي ألم لا يحس به احد.. وآخر

يقول لى في الكلية، يا عم انت بتكسب كثير من التوزيع.. إيه اللى عاجبك في التعليم؟ فأحس بغصة في حلقي.. وأعجز عن الرد.. وليتني أستطيع إذن لقلت له: أية مخدرات إن أمي ترتق لي الجورب حتى يكاد يذوب بين يديها وشقيقتى تتبادلان إنس و الجيب، الواحدة والبلوزة الواحدة، حتى تبليا تماما، ولولا بطاقة الكساء الشعبي لمشينا شبه عرايا إلى كليتنا ومدرستنا.. فأية مخدرات يا صديقي.. وأي عذاب تعرضونني له بغير تشعروا حسبي الله ونعم الوكيل.. لقد كافحت أمنا كفاح الأبطال لكى لا نسقط في هاوية العمل في «الكار» التي سقط فيها أقراننا منذ البداية تحت ضغط الفقر وضغط الحاجة وضغط نظرة المجتمع لنا فبعض أقراني في المدرسة الإعدادية حسموا المسألة منذ سنوات طويلة وقالوا لأنفسهم اذا كان الناس جميعا يعاملوننا كصبية لتجار المخدرات ونحن نقاسي من الفقر ولا فائدة من إقناع أحد ببراءتنا، فلماذا نتحمل الفقر إذن؟. وهكذا انجرفوا إلى الجريمة.. وتوقفوا عن التعليم وعملوا بتوزيع المخدرات وعرفوا النقود الكثيرة ولبس الملابس الغالية ولبس الخواتم الذهبية التي تلمع في أيديهم تحت ضوء الشمس.. وإكتسبوا سحنا غرية وهيئة معلمين صغار.. أما نحن فقد أحاطتنا أمي بذراعيها لكي لا نسقط في هذا المستنقع وتحملنا الحرمان سنوات طويلة وما زلنا وكنا أحيانا فى الأمسيات بلا مليم في جيوبنا وعشاؤنا من الخبز والفول، ورفاق المدرسة القدامى يتصدرون «القعدة» في الشارع تحت بيتنا بالضبط ويأمرون، بشراء الكباب ويدخنون المخدرات ويشربون الخمور وينفق الواحد منهم على عشائه في الليلة الواحدة ما يزيد عن قيمة معاشنا طوال شهر.

ولست نادما أبدا على فقرنا وحرماننا.. بل لقد زدت إكبارا لأمي حين كبرت وأدركت حجم حبها لنا وحرصها علينا بإبعادنا عن هذا الطريق، وكيف أنها قد فعلت ذلك مضحية بصحتها.. وكيف رمت نفسها فلم تَهِن ولم تضعف رغم المغريات.. ومثلها في حينا كثيرات ومثلنا كثيرون صدقنى بل نحن الأغلبية الصامته الفقيرة في هذا الحي لكن الناس لا يتصورون الا الأفلام، ولا سامح الله منتجي الأفلام الذين صوروا للناس كل سكان الحي من تجار المخدرات وموزعيها ومدمنيها.. وسامح الله للناس الذين لا يصدقون إلا هذه الصورة الزائفة. فيكون ذلك على حساب كرامتا وحقنا المشروع في الحياة، فهل تتصور أن شقيقتي الطالبة بالجامعة مثلا تقدم لها عريسان عن طريق بعض أقاربنا الواحد بعد الآخر.. أعجب كل منهما بشكلها وأخلاقها.. ثم ما أن علم أننا من سكان الحي اللعين حتى خرج ولم يعد مرة أخرى. فماذا نفعل في هذه المصيبة وليس لدينا ما يكفي لدفع خلو حجرة واحدة بعيدا عن هذا الحي

إنني لا أكتب لك رسالتي هذه لكي يتبرع لنا أحد ذوي القلوب الرحيمة بحجرة أو شقة صغيرة، لكني أكتب لك لكي أطالبك بأن يتبنى الأهرام موضوع بناء مساكن شعبية لسكان هذا الحي اللعين وهو مشروع قديم من أيام الرئيس الراحل عبد الناصر، وقد أثير مرة أخرى منذ شهور ثم نام من جديد فهذا الحي اللعين لا فائدة من أية حملات توجه إليه مهما كانت جدّيتها فالمخدرات فيه أكثر من الخبز البلدى! وسيظل الأمر كذلك مهما صنعوا ومهما شنوا عليه من الحملات، ولا مفر من هدم

هذا الحي وإسكان سكانه من البسطاء أمثالنا في مساكن شعبية بعيدة عنه، فيتحقق بذلك هدفان: القضاء على تجارته المحرمه من ناحية.. وانقاذ غالبية سكانه من هذه الوصمه التي تطاردهم في كل مكان من ناحية اخرى ونحن راضون يا سيدي بحجرة واحدة في المساكن الشعبية في أي مكان.. فالناس خارج هذا الحي يرفضون صداقتنا كفقراء شرفاء والى أن يتحقق هذا الحلم أريد منك أن تقول للناس إن سكان هذا الحي ليسوا جميعا من تجار المخدرات وان فيه موظفين كبارا وصغارا ومحامين ومحاسبين ومهنيين وطلبة جامعات مثقفين وأسر مصرية شريفة ومكافحة فلا تحكموا عليهم بسمعة حيهم اللعين.. واشكرك مقدما وإلى اللقاء.

∞∞∞∞∞

ولكاتب هذه الرسالة اقول: أنت على حق يا صديقي في كل ما قلت وأؤيدك فيم تطالب به وأضم صوتي إلى صوتك، ولا أعتقد انى في حاجة لأن أقول للآخرين إنه ليس صحيحا ان كل سكان هذا الحي من أهل العالم السفلي الذي يشتغل بتجارة المخدرات.. فرسالتك أبلغ مني في التعبير عن هذه الحقيقة الصادقة. وهي شيء طبيعي لأنه ليس من المنطقي أن يكون هناك حى كل سكانه من غير الشرفاء. أو أن يكون هناك حى كل سكانه من الشرفاء. فالشرف لا يرتبط بالتقسيم الجغرافي لخريطة المدينة لكن بعض «عمالقة» الفن الهابط لا يعرفون هذه الحقيقة أو لا تسمح لهم مداركهم بإدراكها.. فكانت هذه الصورة الظالمة التي قدموها للجميع عن حيكم ورسخوها في الأذهان حتى تحولت إلى فكرة ثابتة لدى البعض وهذا خطأ حقير وجريمة بشعة في حق أمثالكم من البسطاء الشرفاء.

ولا شك أن من ينفرون من صداقتكم ومن فروا من شقيقتك رغم اعجابهم بها هم من أسرى هذه الفكرة الخاطئة، وكلهم مخطئون وأنتم ضحايا لهذا الإعتقاد الشائن، ولو إمتلأت نفسك بالمرارة لما لمتك على ذلك، فمن المؤلم حقا أن يحكم الناس عليك هذا الحكم الجائر.. وأنت من تعاني الحرمان وشظف العيش نـائيًا بنفسك عن هذا الطريق، ومن اقسى ما يتعرض له الانسان من ظلم أن يحاسبه الناس عما لم تجن يداه وعما لم تكن له فيه حيلة، كإقامتك في هذا الحي اللعين ولا أدري لماذا يتعثر مشروع هدمه ونقل سكانه إلى حي آخر كما حدث مع حيين آخرين في القاهرة كانت تطاردهما نفس "اللعنة "، إنني لا أريد أن أطيل حديثي معك لأن رسالتك أبلغ من أي تعليق، لكن رغم ذلك لا أستطيع أن أقاوم رغبتي في ابداء اعجابي بك وبأسرتك المكافحة التي تصنع كل يوم معجزة بمجرد إستمرارها في الحياة وسط هذه العواصف والأنواء.. إنها صورة الأغلبية الصامتة في بلادنا التي تكافح كل يوم كفاح الأبطال وتنفر نفورا طبيعيا من الحرام وتخشاه.. وما اكثر المعجزات التي تشهدها الحياة كل يوم بعد إنقضاء عصر المعجزات بزمن طويل. لكن هذا حديث آخر. فتقبل اعجابي بك وبأسرتك وتقبل عظيم احترامي لهذه البطلة المجهولة التي قادت سفينتكم وسط الجنادل والصخور على حساب حرمانكم ومعاناتها لكي تحميكم من السقوط في الهاوية ولكى تصل بكم إلى بر الأمان إنها ام مثالية كغيرها من الأمهات الصابرات في بلادنا.. وأمثالها لا تعرف الجوائز طريقها اليهن.. فكونوا أنتم يا صديقى..

أنت وشقيقتيك جائزتها الكبرى بتفوقكم في دراساتكم واستمراركم على هذا الطريق القويم وفقكم الله وأعانكم على نظرة المجتمع الظالمة لأمثالكم من الشرفاء.

∞∞∞∞∞

بلا عاطفة

اكتب اسيدى العزيز.. ارجو ان تقرأ هذه الرسالة الى النهاية بغير ان يصيبك الملل.. فهي رسالتي الأولى اليك لكنها فيما يبدو لن تكون الأخيرة كما انها سوف تعطيك صورة «صادقة» عما وصلت اليه «حالة الناس» من التنافس والبعد عن روح التآخي، والحقد اللا أخلاقي.. وهي المعاني التي تلح على محاربتها كل اسبوع وكأنك يا صديقي تنفخ في قربة مقطوعة. انني أكتب اليك هذه الرسالة إستكمالا لقصة صاحبة العمارة التي نشرتها الأسبوع الماضي..

فانا يا سيدى فرد من أسرة مكونة من عشرة افراد نصفهم بنون والنصف الاخر بنات، وكلنا والحمد لله اشقاء أى أبناء أب واحد وأم واحدة.. وكلنا جامعيون.. وكل إخوتي وأخواتي يشغلون مراكز مرموقة، كما اننا ايضا والحمد لله اغنياء جدا من الناحية المادية، وعن نفسي فأنا خريج حديث منذ 5 سنوات وأعمل منذ عامين في شركة قطاع عام مرموقة أتقاضى فيها مرتبا يصل مع الحوافز الى 220 جنيها شهريا، ولي دخل ثابت يصل إلى حوالى 150 جنيها. وكلنا - أقصد انا واخوتي واخواتي - يكره بعضنا بعضا جدا ولا يتمنى أحد منا للآخر خيرا أبدا. وكلنا أيضا، نفرح، في مصائب بعضنا!. وكلنا بلا استثناء نكيد وندبر المكائد لبعضنا البعض، وبعض هذه المكائد يصل إلى أقصى ما يمكن أن يتصوره إنسان! كل ذلك أننا بالرغم من نتميز جميعا بالوسامة والجمال وبراءة المظهر وحلاوة اللسان!

ولا اطيل عليك في هذا الكلام.. فنحن نملك عن والدنا رحمه الله عمارة كبيرة لا يزيد إيجار اغلى شقة فيها عن 6 جنيهات اما ارخص شقة فيها فايجارها ثلاثة جنيهات ونحن - اخوتي وانا – بالطبع لا نطيق احدا من سكان عمارتنا الكرام. ولا نتحمل أي رغبة في الخير لاحسن واحد فيهم، وقد تسألني لماذا؟ أو هل أساء اليكم أحد منهم فاقول لك اننا نكرههم هكذا بلا سبب والله العظيم.. سوى اننا لا نحب احدا في الدنيا فكيف نحب اناسا يعيشون في سعة من العيش والسكن ولا نفكر في الانتقام منهم؟! وسأطلعك على ما عقدنا العزم عليه بل وشرعنا فعلا في تنفيذه. ففي هذه العمارة القديمة شقة أعيش بها مع أمي الحاجة وهي سيدة شديدة الاحترام ومتمسكة بأهداب الدين والأخلاق - وسبحان الله اننا جميعا نشأنا على نقيضها وقد فكرنا في حل رائع لمشكلة هذه العمارة القديمة التي نتقاضى منها بضعة جنيهات..

ويتلخص هذا الحل في أننا بدأنا في نقل الاشياء المهمة من الشقة بالإضافة الى المستندات وكل ماله قيمة، إلى عمارتنا الأخرى التي ليس بها سكان، وستسمعون قريبا - إن شاء الله عن حادث أكثر الحوادث بشاعة وفظاعة. كيف؟ سأحكي لك كل شيء.. في شقتنا بالعمارة القديمة ثلاث انابيب بوتاجاز، بالاضافة الى مجموعة من المواد شديدة الانفجار والاشتعال التي أحضرتها خصيصا لذلك من معمل الشركة التي أعمل بها، وفي يوم قريب إن شاء الله! سنخرج من هذه الشقة.. ثم سيدوي انفجار شديد لن يبقى بعده من عمارتنا سوى الانقاض. وبعد أن تنته «الهوجة» التي ستحدث عقب الانفجار من إنتقال كبار المسئولين بمديرية الأمن والمحافظة إلى موقع الحادث ومن نشر بالصحف واذاعة في التليفزيون.. ومن (س و ج) ومحاضر

طويلة تكتب بالقلم الجاف وبعد أن تقوم المحافظة مشكورة بأخلاء الضحايا ونقل سعداء الحظ منهم إلى مساكن الايواء.. ستخمد الهيصة وتختفي تماما من سطور الصحف.. ثم نتسلم ارض العمارة لنبيعها او لنبني فوقها عمارة جديدة نبيع شققها بالشيء الفلاني.. لكن ذلك ليس هدفنا وحده.. فأهم منه في رأيي اننا سوف نستريح من هذه الوجوه الكريهة... سكان عمارتنا.. الكلاب. وصدقني أننا لا نكره سكان عمارتنا فقط وإنما نكره سكان أي عمارة فهم جميعا كلاب! وهم جميعا يتمسكنون حتى يتمكنوا، وكراهيتنا للسكان جميعا هي الشيء الوحيد الذي يتفق عليه اخوتي جميعا وانا اولهم بالطبع!. إنني اكتب اليك هذه القصة ومهما صنعت فلن تستطيع أن تمنع شيئا أو توقف شيئا.. بل لن تستطيع فيما أعتقد أن تأخذ علينا شيئا لسبب صريح هو اني واخوتي من جميع التخصصات وستساعدنا خبراتنا المختلفة في إحكام التدبير والتخلص من نتائجه.. كما أننا جميعا بلا عاطفة.. وستأسف كثيرا حين اقول لك أن سعادتنا هي في الإنتقام من أية مجموعة مترابطة سعيدة او اي عائلة متماسكة.. أرايت اي نوع من السعادة.. هي سعادتنا؟!.

انني ارجوك ألا تحزن لما تقرأه الآن فنحن مختلفو الطباع.. وقد اردت فقط كواحد من قرائك أن «اشير» عليك برأينا في مشكلة صاحبة العمارة الجاهلة التي نشرت قصتها في الاسبوع الماضي.. فهي فعلا جاهلة أساءت إلى نفسها بما كتبته عن نفسها وعن مشاعرها وكان الأولى بها أن تستشير من يعرف كيف يتصرف في مثل هذه الحالات.. ان هذا هو رأي في المشكلة ومن حقنا عليك نشره بدون اختصارات وانت دائما تحترم آراء قرائك ونحن منهم.

∞∞∞∞∞

هذه هي الرسالة الخطيرة التي تلقيتها ضمن رسائل عديدة تعلق على قصة «صاحبة العمارة». وهي رسالة مفزعة بكل معنى الكلمة سواء اكان ما تشير اليه من «تدبير إجرامى» جادا وحقيقيا، أم مجرد تعبير عن رغبات مكبوته.وموقف طبقي حقير من البشر.

فإذا كانت الأولى فهي جريمة اتفاق جنائي على جريمة بشعة لا أجد وصفا لائقا بها.

وإذا كانت الثانية فهي تعبير « جنائي، اكثر خطورة عن حالة رهيبة من التفسخ والعدوانية والانحطاط.. لا أجد ايضا وصفا لائقا بها.

وفي كلتا الحالتين فهي جريمة سواء اكانت جريمة تدبير أم جريمة «تفكير» ولعل جريمة التفكير أخطر لان التدبير يمكن أن يفسد.. ويمكن أن يتراجع عنه أصحابه خوفا من العواقب.. اما جريمة التفكير وجريمة الانحراف الفكرى فمن الذي يستطيع أن يرد اصحابه عنه؟.. ومن الذي يستطيع ان يقوّم ما اعوج من نفسيات ومشاعر هؤلاء وأمثالهم تجاه البشر؟.

انني قد لا اصدق هذه المؤامرة التي يتحدث عنها كاتب الرسالة لكنني أصدق بالضرورة بعض ما كتبه عن نفسه وعن أشقائه الذين يكره بعضهم بعضا ويفرحون في مصائب بعضهم البعض. وأرى أن مثل هذه الشخصية المريضة - إن كانت

الصورة صادقة - لا يمكن أن تفرز سوى هذا التفكير الاجرامى وسوى هذا الشعور. بالإستعلاء، الحقير على البشر لمجرد أنهم «سكان» علما بان 99 ٪ من سكان الأرض بالضرورة سكان! ولعل والدك رحمه الله الذي ترك لكم هذه العمارة لكي تشعروا بالإستعلاء على سكانها كان بالضرورة «ساكنا» في مكان ما قبل ان يشترى هذه العمارة!.

إن من غير المجدي بالطبع أن أناقش صاحب مثل هذه العقلية.. ولا أن افكر في ان اطالبه بان يصحح نظرته للحياة وللبشر أو حتى لإخوته الذين قد يكون مغاليا في تصويرهم جميعا على هذا النمط العجيب من «الخراب النفسي» ولا اريد ان استطرد طويلا في الرد على كاتب هذه الرسالة..

لكني أحس بعد أن قرأت رسالته.. انني مدين بالاعتذار للسيدة الأرملة كاتبة رسالة الأسبوع الماضي.. والتي قسوت عليها كثيرا لأنها عبرت عما في صدرها من مشاعر مكبوته تجاه سكان بيتها. فهي في النهاية ارملة ووحيدة وتتحمل مسئولية 6 ابناء وتعاني من صعوبات الحياة.. وربما فاض بها الكيل فعبرت عما جاش في صدرها ببعض العبارات الطائشة التي قد لا تعنيها حقيقة..

أما أنت يا أيها المهندس الأعزب الشاب.. الغني جدا كما تقول.. ويا من تتقاضى من شركة قطاع عام مصرية 220 جنيها كل شهر وانت خريج حديث تعمل منذ عامين فقط ولك دخل ثابت اخر 150 جنيها وتعيش في شقة واسعة مع الحاجة والدتك المتمسكة بأهداب الدين والأخلاق..

أنت.. يا كل ذلك.. ماذا اقول لك؟ لقد خشيت غير مشكور علىّ من الملل وأنا أقرأ رسالتك لكنك لم تخش أن تنفجر شراييني مما أقرأه ولم ترع الله ولم تخشه في تفكيرك الاجرامى هذا.. فأي حياة هذه يا الهي؟..

ليرحمنا الله جميعا او لتنزل علينا صواعقه لتسوى الأرض بمن عليها اذا كنا حقا قد تدهورنا الى هذا الحضيض.

∞∞∞∞∞

نداء العقل

اعتدت أن أقرأ في مقدمة رسائل بعض قراء البريد عبارات تقليدية تؤكد لي في البداية انني رغم ماقرأت من مشاكل سوف اقرأ في السطور التالية مشكلة لم تعرض لي من قبل ولم تخطر لي على بال ولاني فقدت منذ زمن طويل ومن كثرة ما لمست من هموم البشر قدرتى على «العجب» او «الاستغراب» لاى شيء فاني اتجاوز هذه العبارة عادة متوقعا أن تكشف الرسالة في النهاية عن مشكلة كمشاكل البشر الذين تتشابه همومهم في أغلب الأحيان.. لكن هذه الرسالة و فاجأتني، بالفعل بانى مازلت قادرا على التعجب!

تقول كلمات الرسالة بعد حذف « العبارة التقليدية»:

اني يا سيدي أنظر حولى فأرى الناس يشكون من مشاكل عديدة لكن ليس من بينها مشكلة كالمشكلة التي أعيشها الآن.. اني ياسيدي موظفة جامعية في الأربعين من عمري.. زوجة وام.. زوجي يشغل منصبا علميا كبيرا ولى ابنتان في بداية سن الشباب تدرسان في احدى الكليات وصورة أسرتي من الخارج تقدم للناس صورة لامعة فأنا موظفة محترمة أتقاضى حوالى 200 جنيها كل شهر وزوجي في منصب مرموق ودخله يصل إلى 450 جنيها وإبنتاى طالبتان متفوقتان في دراستهما وعلى خلق طيب وزوجي والحمد زوج مثالى وانسان ممتاز بكل معنى الكلمة هاديء الخلق لا يثور ولا يغضب.. ولاينطق بكلمة جارحة لأحد وهو أيضا محبوب من كل زملائه و معارفه لولا.. وآه من لولا هذه لولا حبه العجيب لشراء الكتب!

ستقول لي انها مشكلة صغيرة فأقول لك ليس من يسمع كمن يرى فتفضل بزيارتي لتعرف انها ليست مشكلة صغيرة وانما هي مشكلة تهدد حياتي الزوجية وحياة ابنتيه ومستقبلهما بالخطر.

فزوجى ياسيدى مصاب والامر لله «بداء» شراء الكتب والاحتفاظ بها الكتب التي يحتاج اليها والتي لايحتاج اليها.. والكتب التي سيقرؤها والكتب التي لن يفض غلافها.. وهو يشترى الكتب بلا تمييز ويرصها على الأرض في كل شبر من الشقة ولو زرتني لما استطعت أن أجد مكانا استقبلك فيه فالكتب بربطاتها تغطي جميع جدران الشقة من الصالون إلى الصالة الى غرفة الطعام إلى غرفة نوم الأولاد الى غرفة نومي الى المطبخ الى جزء من الحمام.

صفوف صفوف بإرتفاع قامة الرجل، وهى صف اول وصف ثان وصف ثالث كأنها جدران سميكة أمام جدران الشقة وقد إمتلاث شقتي التي أعيش فيها خلال السنوات الأخيرة بعد أن امتلأت بها غرفة الغسيل على سطح العمارة التي نقيم بها. فبدأ يخزن الكتب في شقتي وبدأ عذابي معها. لقد إستعنت بصديقة تعمل مهندسة معمارية طلبت منها زيارتى ورؤية هذه الكتب لأني قد بدأت اخشى على الشقة من الإنهيار من ثقل ماتحمله فجاءت الصديقة وروعت بما رأته ثم أخرجت ورقة وقلما وآلة حاسبة وراحت تجرى حساباتها وتقديراتها ومحاولاتها لاحصاء عدد الكتب.. ثم قالت لي انها تقدر وزن هذه الكتب بحوالى 20 طنا.. وأن هذا الثقل يمكن بالفعل

أن يهدد سلامة الشقة على المدى الطويل بالخطر فلما اصطحبتها إلى الشقة المغلقة لتراها لم تستطع ان تجد لنفسها ممرا بين صفوف الكتب المتراكمة فصرخت مندهشة ثم خرجت..

لقد كنت في بداية حياتي الزوجية أضيق قليلا بهذه الكتب لكني كنت في النهاية أعتبرها مشكلة جانبية يمكن إحتمالها خاصة وزوجي فيما عدا ذلك زوج مثالي لكن الأمر اختلف الآن فلقد كان زوجي عندما تزوجنا في بداية حياته يتقاضى ثلاثين جنيها وكنت اتقاضى عشرين جنيها كان ينفق من دخلنا المشترك حوالى 10 أو 15 جنيها على شراء الكتب فلا اهتم بذلك كثيرا ثم واصل دراسته وحصل على أعلى الدرجات العلمية وشغل منصبا هاما وزاد دخله فزاد انفاقه على شراء الكتب حتى أصبح ينفق حوالي مائة جنيه كل شهر على شرائها ولم اتوقف عند ذلك كثيرا رغم بعض المضايقات التقليدية كأن أطلب منه شراء شيء لي فيخرج ليشتريه ثم يعود بعد ساعات بغيره وانما «برصة كتب» وقد نفذت نقوده فأثور وأغضب ثم أنسى بعد حين أو كأن أضيق بالكتب التي بدأت تتكاثر في شقتي حتي ضيقت علىّ حرية الحركة. وأعاقت ابنتي عن اللعب، لكن الأمر تطور تطورا خطيرا خلال الاعوام الثلاثة الأخيرة فقد زاد انفاقه على الكتب حتى اصبح يبتلع تقريبا كل مايتبقى من دخله بعد دفع الايجار..!. لماذا؟ لااعرف! أن بعض الكتب التي اشتراها لم «تفك» عنها أربطة الدوبار التي ربطها بها البائع منذ عشر سنوات حتى الآن. ومع ذلك فهو يشترى المزيد والمزيد...

وبعض الكتب التي يشتريها لايصدق احد انه ممكن شراؤها فهو يشترى الكتب التي تدرس في كلية الطب وهو ليس طبيبا ولاطالب طب. ويشترى و «يرصّ» في البيت حتى فتحت عيني ذات يوم فوجدت نفسي أعيش في نصف مساحة الشقة التي تزوجت فيها أما النصف الاخر فقد إحتلته الكتب القديمة والجديدة. ووجدت نفسي اخجل من مظهره الرث لأننا لم نجدد فيه قطعة أثاث واحدة خلال عشرين سنة.. ولانه لا مكان للضيوف حتى في الصالون وتفاقم الأمر بعد أن كبرت البنتان وبدأت مطالبهما تزيد وبدأت تطلعاتهما تكبر ايضا بدأت البنتان تتساءلان.. لماذا ياأمي لانعيش حياة لائقة بمركز أبي وبمركزك.. وبدخل اسرتنا؟ فلا أجد جوابا شافيا. او تتساءلان لماذا يا أمي يبدو أبي «مبهدلا»، دائما لا يغير البدلة التي يرتديها لعدة سنوات ولماذا لانجد ملابس لائقة بنا.. وغيرنا بدخل أقل من دخلنا يحيا حياة أفضل ويرتدون ملابس أفضل من ملابسنا.. ولديهم سيارة وليس لنا سيارة.. ولهم حياة اجتماعية ونحن لا نستطيع أن نخرج في «فسحة» مرة كل شهر لقلة النقود.

وافقت على الواقع الأليم الذي أعيشه.. اكتشفت اني انفق مرتبي كله على الأسرة.. أما زوجي فيدفع بعض الضروريات ثم يضيع مرتبه كله على هذه «الرصات» من الكتب. اكتشفت أننا نعمل منذ عشرين سنة ودخلنا كبير ولم ندخر مليما واحدا للبنتين إستعدادا للمستقبل. أو لزواجهما واكتشفت منذ سنوات انني لم أخرج معه في مشوار أو فسحة كأي زوجين منذ سنوات لسبب غريب هو انني بصراحة اصبحت اخجل من ملابسه الرثة ومظهره الذي لا يليق به ولا بي. اما هو فلا يهمه شيء.. وليس لديه رد على انتقادات الاقارب والاصدقاء لمسلكه ومظهره سوى انه «جهل» منهم!

وتكهربت حياتنا مع مطالب البنات واستمرار زوجي في اسلوب حياته حتي عجزت عن التصرف. هل تعرف من هو أعدى أعدائى الان؟ انه سور الأزبكية الذي تباع عليه الكتب القديمة. هل تعرف ماهى أتعس ايامى كل سنة؟ انها هذه الايام «المباركة» التي يقام فيها معرض الكتاب الدولي في القاهرة والذي تفرحون به و «تهللون» له كل سنة!

ان أيام هذا المعرض هي أيام الخراب بالنسبة لي.. فهو يشترى منه بكل مافي يده من نقود ولو كان له رصيد في البنك لسحبه كله خلال انعقاد معرض الكتاب لعنة الله عليه! ستقول لي طبعا ان الثقافة شيء مهم، وهواية شراء الكتب افضل من اشياء اخرى، فاقول لك انها ليست ثقافة صدقني.. فزوجي بعد كل هذا العذاب أشرف على الخمسين ولم يكتب مؤلفا واحدا ومازال شارعا في تأليف أول كتاب له منذ سنوات، وانه لا يقرأ هذه الكتب بل بعضها.. او القليل منها.. وان هوايته ليست قراءة الكتب وانما ترتيبها ورصها وهو يمضي 4 أو 5 ساعات في ذلك كل يوم ولا يمنع ذلك من أن يقرأ بغير انتظام كل حين..

ثم انه يشتري من الكتاب الواحد احيانا 4 نسخ او 5 نسخ.

إني اكتب لاقول لك أن سفينة حياتي تتعثر الآن هذه المشكلة وأنني لاول مرة في حياتي قد بدأت أرفض هذه الحياة وأطالبه بأن يرعى مستقبل إبنتيه وان يوفر لنا حياة لاحقة خاصة وقد تجمع لديه مايزيد على 20 الف كتاب في العمر قبل أن يفنيها.. وعلاقتنا الأن متوترة لهذا السبب ومطالب ابنتي تؤرقني ومستقبلهما يؤرقني وتساؤلاتهما تعذبني، وقد طالبته بأن يوجه دخله لاسرته ولرفع مستواها وبالكف عن شراء الكتب بلا ضرورة فيعدني ثم يخلف وعده.. ثم يقول لي انه «عاجز» عن التوقف عن الشراء فهل انا على حق في موقفي؟ وبماذا تنصحني أن افعل؟

∞∞∞∞∞

ولكاتبة هذه الرسالة اقول ان مشكلتك ياسيدتي ليست بالفعل مشكلة صغيرة وانما هي مشكلة خطيرة تعاني منها أسر عديدة.. لكنها تعبر عنها بصورة فريدة بالفعل. فمشكلتك هى احدى صور مشكلة سوء توزيع دخل الأسرة على متطلباتها.. وهي لاتختلف كثيرا عن مشكلة أسرة نجار المسلح مثلا الذي يكسب 600 جنيه كل شهر فينفق منها على طعامه هو وحده وشرابه ومكيفاته ونزواته 550 جنيها وينفق الخمسين الباقية على أسرة من 5 افراد تعيش في أدنى مستوى اجتماعى ممكن. انها نفس المشكلة مع فارق المستوى العلمي والثقافي للأسرتين.. ومع الفارق في وجوه الانفاق.. وهى مشكلة ضعف إحساس رب الأسرة بالمسئولية عن أسرته او بمعنى أصح عن «رعيته» لأن رب كل اسرة هو راعٍ ومسئول عن رعيته، وأولى مسئولياته أن يقيم العدل في مملكته الصغيرة هذه، والعدل يتطلب أن يوزع دخله على أسرته توزيعا عادلا يلبي الاحتياجات ويحقق مطالبها الضرورية ويوفر لها الحياة اللائقة. والاعتدال في كل شيء هو قمة الحكمة.. ولو أتيح لي أن ألتقى بزوجك لما نصحته بألا يشترى الكتب، لان الكتب لمن يعمل في مجاله هي من

الضروريات وليست ترفا، وانما لنصحته بألا يشترى منها الا ما يحتاج اليه فعلا ومايتناسب مع امكانياته بعد توفير الحياة اللائقة لاسرته، ولنصحته ايضا بأن يكون عادلا في المساحة التي يخصصها لكتبه في مسكنه فمن حقه أن تكون له مكتبة في إحدى غرف الشقة لكنه ليس من حقه بالتأكيد أن يخزن 20 طنا من الكتب في شقة سكنية ضيقة لا يقرؤها ولا يفك اربطتها. ولنصحته أيضا بأن يتخلص مما لا يحتاج إليه من هذه الأطنان ولو أراد أن يؤدي خدمة ثقافية جليلة للاجيال الصاعدة لنصحته بالتبرع بهذه الكتب الزائدة لمن لا يستطيعون شراءها من الشباب فيساهم في تثقيفهم وفي تحقيق الاستفادة من هذه الكتب العاطلة.. وفي ذاكرتى تجربة مماثلة مع أديب مثقف ضاق مسكنه بكتبه فكتب الى عن استعداده لإهدائها لمن يرغب في القراءة والاطلاع من الشباب فحققت رغبته فلم تمض ايام حتى كانت طوابير الشباب تقف أمام باب شقته فوزع كتبه عليهم جميعا ووزع خلال ايام آلافا من الكتب فأفاد الكثيرين وافاد الثقافة بتصرفه النبيل..

اما أنت ياسيدتي فاني أنصحك بان تكولي رفيقة به رغم كل شيء وبألا تفرطي فيه وبأن تواصلين الكفاح، معه للحفاظ على الأسرة بمزيد من التفاهم والتضحيات المشتركة من الجانبين فمشكلتك رغم غرابتها ليست نادرة الحدوث وهي مشكلة زوجات كثير من المشتغلين بالعلم والأدب والثقافة.. «والبيوت أسرار» كما يقولون! فقط عليك ان تضاعفى من جهدك لاقناعه بضرورة أن يوجه معظم دخله للإرتفاع بمستوى اسرته وتأمين مستقبلها.. وبضرورة الاينسى نصيبه من الدنيا فالمظهر اللائق هو أيضا من الضروريات له ولكل افراد اسرته والجمال قيمة ينبغي الحرص عليها كقيم الثقافة والعلم والمعرفة، وحبذا لو إستطعت اقناعه برفق وهو العالم المثقف بأن مايعاني منه ليس «حالة ثقافية» بالمعنى المعروف.. وانا هي «حالة مرضية» لاشك فيها هي الشراء التي يعرف المتخصصون عنها الكثير.

ولعلهم يحللونها لنا تحليلا علميا مفيدا. لذلك فمن المفيد أن يقتنع بضرورة استشارة الطبيب النفسي وانا واثق انه سوف يستجيب لنداء العقل ونداء العدل لأنه كما تقولين انت زوج مثالى وانسان ممتاز من كل الوجوه لولا!

وليست هناك حياة خالية من «لولا» هذه ياسيدتي لكن صورها وخطورتها تختلف من حياة الى اخرى.. ثم اليس طلب العلاج واقناعه به اجدي من ان تعلنى «الحداد» عند افتتاح معرض الكتاب الدولي كل سنة،؟

∞∞∞∞∞

أشياء لا تباع

تذكرت كلمة الملياردير الأمريكي الشهير بول جيتي وانا اقرأ هذه الرسالة و إن المال لا يستطيع شراء الصحة ولا السعادة ولا الحنان ولا سهولة الهضم!

وبالرغم من أن يحاضروننا عادة في عدم جدوى المال هم دائما من أصحاب المليارات الذين أفنوا العمر في جمعه فإن الكلمة صادقة ولاذعة، ولو آمن بها الكثيرون ومنهم قائلوها لخلت مشاكل عديدة من مشاكل البشر..

أما الرسالة فتقول كلماتها:

إسمح لي بأن أبدأ قصتي بدون مقدمات. وبصراحة فأنا لا اكتبها لك لأني أريد منك حلا لها ولكني أكتبها لكي تقرأها قارئاتك من صاحبات المشكلات فربما هونت عليهن مشكلتي مشاكلهن! فأنا يا سيدي فتاة عمرى 35 سنة من أسرة غنية ميسورة الحال عندي كل ما اريد.. وكل ما تشتهيه النفس - وأستطيع ان اشترى كل ما أرغب فيه الا شيئا واحدا.. هو السعادة!..

فأنا رغم بلوغي سن الخامسة والثلاثين مازلت آنسة والسبب في ذلك هو أن الرجال يتجاهلون تماما أن الفتاه البدينة لها أيضا قلب وروح وإحساس، وإنها أنثى كأي فتاة رشيقة! والمشكلة اني بدينه جدا، وليس ذلك بيدي لكنها إرادة الله وقد لجأت الى أشهر اطباء علاج السمنة وأنفقت الكثير على العلاج فكان وزني ينخفض بسرعة غربية حتى أصبح كغصن البان، لكنه لا يلبث أن يعود مرة أخرى وبسرعة مذهلة لحجمي السابق بل ولأكثر منه أيضا. وأحمد الله أني لم أصب حتى الان بمرض من أمراض السمنة، لكني منذ عامين ظهر في ساقي اليمني ورم كبر حتى أصبح في حجم البطيخة وثبت أنه ورم حميد والحمد لله فإستأصلته واصبح في امكاني بعد الجراحة إتباع رجيم خاص للتخسيس لكن بلا فائدة لماذا؟ لأن رأى الأطباء أن الريجيم وحده لا يفيد، وانه عقب الزواج سوف تتغير هورمونات جسمى وينخفض وزنى أما قبل الزواج فلا فائدة من الرجيم، لكن أين هو الرجل الذي يصدق ذلك؟ وأين هو الرجل الذي يقبل الزواج من فتاة شديدة البدانة على أمل أن ينخفض وزنها بعد الزواج.

انك لن تصدق انه اذا اخطأ شخص وتقدم لخطبتي فإن اهلي هم الذين يضعون العراقيل امامه بدعوى بأن من يطلب الزواج من فتاة بدينة مثلي لابد أن يكون طامعا في مالي، وتنتهي القصة بالرفض، مع انني والله بشهادة الجميع أحمل وجها جميلا وروحا طيبة مرحة ولم أحمل طوال حياتي لأحد سوى الحب ولا أكره احدا حتى الذين يهينوني بقصد او بغير قصد فاني لا اكرههم.. وأتلمس لهم الأعذار وأقصى ما استطيع أن أقوله في مثل هذه الحالة: الله يسامحهم.

انني أرى حبي في عيون الناس الذين من حولي والذين أتعامل معهم، لكني رغم ذلك ينقضى شيء هام واشعر بالحزن على نفسي والبنات الصغيرات قد تزوجن وأنجبن وأنا مازلت كما أنا تصد عني سمنتي راغبى الزواج، إنني والله أحب هؤلاء

الفتيات اللاتي تزوجن قبلى وأحمل الهدايا إليهن في الزفاف وعند الإنجاب وأحمل اطفالهن فوق صدري لكن والدي لا يرحمني فهو يعتبر عدم زواجي مأساة.. وهو يطلق على اسماء الحيوانات السمينة.. وأتقبل الموضوع بروح عالية واضحك امامه لكني ما ان اختلى لنفسي حتي ابكى، انني اعيش آلامي ولا احد بجوارى سوى زوجة ابي الحنون التي اجد في حنانها وحبها ما يعوضني عن كثير من آلامى فهي انسانة عطوفة كريمة تضمني الى صدرها فاشعر انها امي الحقيقية، لقد اكملت بنفسي دراستي الثانوية ولم ادخل الجامعة لكي لا اتعرض لسخرية الزميلات والزملاء وقد كتبت اليك هذه الرسالة لكي تقرأها كل فتاة فتشكر الله سبحانه وتعالى على ما أنعم عليها به من رشاقة وجمال وزواج او خطوبة، وليقرأها كل شاب ليعرف أن السعادة ليست فقط الفتاه الرفيعه وانها قد تكون ايضا مع فتاة سمينة. غفر الله لكل رجل يبتعد عن فتاه لا لشيء الا لسمنتها.. وغفر الله لمن لا يتصورون أن للفتاة البدنية قلبا ومشاعر وعاطفة!.

∞∞∞∞∞

هذه هي الرسالة التي تلقيتها والتي انشرها تلبية لرغبة كاتبتها لكى تقرأها - كما تقول هي - كل فتاة فتجد فيها ما قد يخفف عنها آلامها وما قد يدفعها لأن ترضى عن حياتها وعن نفسها.. وليقرأها ايضا كل رجل ليعرف أن السعادة لم تكن في مقاسات حجم الزوجة، وإنما في صفاء الروح وطيبة القلب وفي الإخلاص والعطاء المتبادل. لقد احببت كاتبة هذه الرسالة كثيرا دون أن أراها لصدقها وتلقائيتها وسماحة اخلاقها.. واحببتها اكثر لطيبة قلبها التي تدفعها لحب الآخرين حتى الذين اساءوا اليها وآلموها بالسخرية، وأحببت كثيرا كلماتها الصادقة الطيبة عن زوجة ابيها وأعترف بانى لم اقرأ لها مثيلا من قبل فيما يصلني من رسائل.

إن كل هذه اللمحات تؤكد يا صديقتي أنك فتاة محبوبة من الجميع، إذ يستحيل أن تحملي كل هذا الحب للآخرين بغير أن يبادلوكِ حبا بحب، ولا يمكن أن تكون لك هذه النفس الشفافة الصافية بغير أن تجذب القلوب إليكِ، لذلك فأنا مندهش من أنكِ لم تلتقِ حتى الآن بمن يستحقك، ولا أصدق أن البدانة وحدها يمكن أن تقف في وجه سعادتك مع جمالك وثرائك وخفة روحك وطيبة قلبك. فاذا صح ظني فلابد أن هناك اسبابا أخرى قد يكون من أهمها شكوك أبيك فيمن يتقدم إليك وإحساسه بأن كل راغب فيك.. هو راغب في مالك.. وهو رغم سلامة دوافعه في ذلك مخطىء الى حد كبير، إذ انه بذلك يحكم هو نفسه عليك بأنك لا تستحقين أن يتقدم إليكِ خاطب الا اذا كان راغبا في مالك وهو إحساس ظالم لو تسلط على أب لما زوج ابنته أبدا، لذلك فإنه مطالب بالتخلى قليلا عن شكوكه.

ومطالب أيضا بقدر أكبر من الواقعية لكي تمضي السفينه إلى الأمام.. واكاد اقول انه مطالب بشيء من التضحية وبشيء من الحكمة التي تغلب سعادة ابنته على أية اعتبارات أخرى..

إذ ماذا يساوى المال بلا سعادة ولا هناء ولا حياة طبيعية؟ أن الحياة رحلة واحدة لا تتكرر ومن السفاهة أن نبددها في معاناة لا مبرر لها إذا كنا قادرين على تجنبها.

إنني لو التقيت بأبيك لقلت له على الفور وسيفهم إشارتى: يا رجل إختر لابنتك زوجا لائقا قبل أن ينتهي العمر في المعاناة..

وما أكثر من يتمنون هذه الفرصة وما أكثر الزيجات التي أنبتت الحب من خلال العشرة ولقلت له أيضا.. انس ثروتك قليلا فهي لا تساوي شيئا مقابل سعادة إبنتك كما أنك لن تصطحب هذه الثروة معك إلى العالم الاخر، فدع ابنتك تتمتع بما أعطاك الله في حياتك وكن راعيها وحاميها وهاديها إلى الاختيار.

∞∞∞∞∞

رسالة من حجرة الصالون

قد يرى البعض في هذه الرسالة « حالة خاصة» لا تستحق الاهتمام لكني على العكس من ذلك أرى فيها، نموذجا، للخطأ الصغير الذي يمكن أن يهدم صرحا كبيرا في بعض الأحيان كما أرى فيها صورة لما يحدث أحيانا في كثير من «البيوت» مع اختلاف بعض التفاصيل في هذا الزمن العجيب. تقول كلمات الرسالة:

اكتب لك هذه الرسالة من حجرة الصالون في شقتي حيث أعيش وابيت منذ فترة غير قصيرة مع طفلي الوحيد بعد أن هجرت زوجي وتركت له غرفة النوم وأصبحنا منفصلين تحت سقف واحد. أكتب إليك لأستشيرك فيما جرى لعلك تساعدني على سلوك الطريق الصحيح.

والحكاية ياسيدى انني زوجة وأم لطفل.. وزوجي شاب مقبول جمعتني به المشاعر الطبيعية بين زوجين. ولااعتراض لي عليه في شيء سوى انه حاد وعصبى المزاج جدا جدا ومتحمس جدا في كل شيء.. ومن سوء حظى انه من عشاق كرة القدم ومن المشجعين المتعصبين لناد قاهرى كبير، وهو يحرص على مشاهدة كل مباريات الكرة في التليفزيون بالبيت وخاصة مباريات فريقه. وهنا تبدأ متاعبي.. فهو عند مشاهدة المباراة يفقد السيطرة على نفسه وتخرج منه ألفاظ بشعة تخدش الحياء والفاظ سوقية رهيبة لا يتصور أنها صادرة عنه وهو الشاب المثقف المتعلم فاذا هزم ناديه أسرعت بغلق النوافذ وإحكام الأبواب لكي لايسمع الجيران هذه الألفاظ النابية.. ويسوء حكمهم على اخلاقياتنا ومستوانا الاجتماعي..

وبعد المباراة يبدو منهكا كأنه كان يلعب المباراة بقدمه فيتصبب العرق منه وتتلاحق انفاسه! والكارثة الكبرى تقع حين يهزم ناديه.. ومن سوء حظي وحظ طفلي الوحيد أن ناديه قد هزم هذا الموسم 3 مرات فتخيلوا حالي وماعانيته في كل مرة، من تشنجات عصبية وشتائم وسخائم تصم الآذان أثناء المباراة.. ثم «نكد» وجو صامت حزين بعد المباراة كأننا في مأتم! قد تقول إنها مشكلة ثانوية لاتستحق كل هذا الاهتمام لكني اقول لك ان هذه المشكلة التافهة هي التي غيرت مجرى حياتي الان منذ اكثر من شهر، فقد حاولت كثيرا اصلاحه وتهذيه ومنعه من التلفظ بهذه الألفاظ السخيفة لكي لايعتاد طفلنا الصغير سماعها.. ولكى لاتتسرب إلى الجيران خاصة وهو الشاب المثقف المهذب. فلم تجد محاولاتى صدى. فاصبحت عندما تذاع مباراة أجلس بعيدة عنه مع طفلى خوفا منه ومن هياجه وحتى نتجنب ثورته وحزنه وغمه ونكده الذي يستمر بعد المباراة الى أن وقعت الواقعة التي لم تكن في حسبانى ابدا.

ففي احدى المباريات كنت لسوء بختى قد قررت ان الفت نظره إلى مايفعله فقال لى «مالكيش دعوة» ويشاء القدر أن يحرز الفريق المنافس هدفا في فريقه فانقلب كالثور الهائج لاتهدأ له حركة يفرك يديه بعنف ويشد شعره فانسحبت من لساني وقلت له: مش معقول كده. ده مش تشجيع ده.

فاذا به يستدير نحوى في انفعال شديد ومتشنجا ثم.. ثم.. ثم.. ثم يبصق على وجهي! هل تتخيل ذلك ياسيدي.. بصق على وجه زوجته وام طفله.. وشريكة عمره، لانني

فقط لفت نظره الى مايفعل. اعرف انه فعل في لحظة انفعال.. لكني لا استطيع ان اغفر له جرحه لكرامتي على هذا الشكل المهين ولهذا السبب التافه.. اني جريحة الكرامة ياسيدي أعاني من آلام مبرحة في قلبي ومشاعرى ولا استطيع تصور فكرة العيش معه مرة أخرى رغم محاولاته العودة إلى.. فهل انا على حق ياسيدى.. هل انا على حق؟...

∞∞∞∞∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

.. نعم ياسيدتى انتِ على حق في غضبك لكرامتك وفي رفضك لهذا الأسلوب المجنون في، الاستمتاع، بمشاهدة مباراة كرة. وانت على حق ايضا في استنكارك لهذه الألفاظ النابية.. وهذه العصبية.. والتشنجات خلال مشاهدة مباراة كرة كأن ما يجري فيها يتوقف عليه مصير العالم..

انتِ على حق في كل ذلك وزوجك مخطىء في مزاجه العصبي الحاد وقد أجرم في حقك حين بصق في وجهك من اجل ملاحظة عابرة خلال مباراة كرة.. لكني ألفت نظرك إلى أن مايعاني منه زوجك هو وباء منتشر في معظم انحاء العالم وليس مقصورا على بيتك فقط. وكثيرا ما يتسبب في كوارث كبرى وعائلية على السواء خاصة في الملاعب العامة حيث تتجمع اعداد غفيرة من البشر الهائجين المتحمسين.. فتحكمهم نفسية الحشد، وهي نفسية سريعة الإلتهاب سهلة الاستثارة يمكن خضوعها لمؤثرات خارجية كما يمكن أن تنجرف إلى العنف بسهولة، وفي هذا الحشد يمكن أن يخرج الأفراد عن أطوارهم بسهولة وتصدر عنهم غالبا تصرفات لاتتسق مع نمط سلوكهم العام في الحياة ولامع انماط شخصياتهم الطبيعية. ومشكلة زوجك هي أنه يتفرج على مباريات الكرة في شقته وحيدا بنفسية هذا الحشد الهائج السريع الالتهاب فتندفع القذائف من فمه.. ويمكن أن يصدر عنه رد فعل عنيف لاى تصرف او ملاحظة كما حدث معكِ للاسف وترتب عليه تعكر صفو حياتكما.. واعتكافك في الصالون. وأنا بهذا الكلام لا ادافع عنه وإنما افسره فقط.. بل اني في الحق لاأحترم من يخرج عن طوره لمثل هذا السبب غير الجاد واعجب ممن ينفعلون او يحزنون او يثورون لمباراة كرة أو ما أشبه من الاسباب واقول لنفسي دائما لو خلت الدنيا من كل الهموم والمشاكل والآلام لحق أن نحزن او نتجادل ونتخاصم لمثل هذه الأسباب غير الجدية ذلك هو الانفعال خلال المشاهدة صفو حياة اسرة صغيرة.. وكاد يعرضها للخطر.. وهذا هو درس التجربة الذي ينبغي أن يتعلمه زوجك وان يستوعبه.. فمعظم النار من مستصغر الشرر كما يقولون.. وانا معكِ فيما فعلتِ حتى الآن لكني اسألك وماذا بعد؟..

إن هناك مبدأ قانونيا معروفا هو تناسب العقوبة مع الجريمة فلايجوز أن يعاقب مخالف لإشارة المرور مثلا بقطع أذنه.. ولا أن يعاقب قاتل بدفع الغرامة.. وأنتِ قد عاقبته بما فيه الكفاية حتى الآن وهو بالضرورة نادم الآن لما بدر منه وراغب في اصلاح الامر بينك وبينه.. فأقبلى إعتذاره هذه المرة على أن تكون المرة الأولى

والأخيرة.. وتجنبي بقدر الامكان مجادلته أو الاقتراب منه خلال لحظاته المتفجرة.. وانصحك بأن تقدمي اليه قبل كل مباراة قرصا مهدئا.. و كوبا من عصير الليمون وبمجرد أن يطلق الحكم صفارة البداية تسرعين «بالفرار» بعيدا عنه الى ما بعد انتهاء المباراة!. وعجبي لما اقرأ وأسمع في بعض الأحيان!.. وبالمناسبة.. ماهي حكاية رسائل الزوجات «من غرفة الصالون» التي أتلقى منها الكثير جدا هذه الأيام؟!..

∞∞∞∞∞

أهـــل القـــمة

أنا إحدى قارئات بريدك الاسبوعي منذ زمن طويل.. واغبطك على ما تناله من أجر من الله بسبب هذه المشاكل التي تعرضها.. شأنك في ذلك شأن القاضي الذي تطرح عليه مشاكل الناس فيصدر حكمه فيها، فإن أصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر واحد محاولته الوصول الى الحقيقة.

والواقع اني اقرأ المشاكل التي تعرض في هذا الباب باهتمام شديد وأقارن بينها وبين مشكلتي التي أعيشها حاليا فأجدها جميعا تضاءل أمام مشكلتى وهى مشكلة كثيرين غيرى في هذا العصر الذي انقلبت فيه كثير من الموازين، فلقد تزوجت زوجي منذ خمسة وعشرين عاما وعشت معه طوال هذه السنين على الحلو والمر معا واخلص كل منا للآخر الى اقصى حدود الإخلاص.. وحرمنا نفسينا من كل مباهج الحياة من أجل أن نعيش حياة شريفة أمينة في حدود مرتب زوجي الذي يتقاضاه من وظيفته وليس لنا مورد رزق أخر غيره، إذ أنني بمجرد زواجي رأي زوجي ان اتفرغ لبيتي ولتربية الأبناء، ومضت سنوات العمر واجتزنا بسفينة الحياة الزوجية خضم الحياة، وكان مرتب زوجي يكفينا وكنا راضين بحياتنا وليست لنا أية تطلعات، فالحياة محتملة. ونقص بعض الموارد يعوضه ما نحن به من احترام الاخرين والجيران لزوجي سواء في العمارة او النادي او عند البقال.. فزوجى يا سيدي يعمل مستشارا بالمحاكم ومعروف بحسن السمعة والأمانة. ومضت سفينتنا هادئة نخطط لكل شيء في حياتنا.. ونتمكن كل سنة بالادخار والتدبير من أن نقضي شهرا بالاسكندرية ليستريح زوجي من عناء العمل المرهق طوال العام، واحيانا كنا مضى شهرى يوليو واغسطس وهما شهرا الاجازة القضائية بالكامل في أحد المصايف ونعود مع بداية الخريف متجددين مقبلين على الحياة والعمل

كان هذا هو حالنا حتى دخل الأبناء الجامعة وتغيرت الدنيا من حولنا وحدث زلزال الإنفتاح الاستهلاكي في المجتمع فسقط أناس من قمة المجتمع وصعد أناس آخرون.. وتغيرت قيم عديدة ومفاهيم لدى الناس والمجتمع.

ورغم خطورة هذا الزلزال الا أنه كان من الممكن احتماله بشيء من التدبير وبإجراء بعض التباديل والتوافيق واستبدال أطعمة بأطعمة الخ لكن الأخطر هو ما حدث بعد ذلك فلقد اصبح أولادي وبناتي.. «اولاد المستشار» الذين كانوا يمضون في الطريق محوطين بالاحترام والتقدير تقديرا لوالدهم الأمين الشريف العادل.. أصبح هؤلاء الأبناء هم سبب تعاستنا الآن، فقد تلفتوا حولهم في الجامعة وفي الحي الذي يقيمون فيه وفي النادي.. فاكتشفوا انهم محرومون من مباهج الحياة، وأن أصدقاءهم من أبناء الجيران الذين لم يكونوا شيئا مذكورا قد أصبحوا فجأة وبلا تدرج من الأثرياء.. والمال يجري في أيديهم جريان الماء في الغدير وأصبح ابناء الجيران فجأة ينفقون المال بل يبعثرونه في الهواء باليمين وبالشمال بلا حساب.. في ملابس مستوردة غالية الثمن البدلة منها بمرتب زوجي في شهرين بنكب خلالها على المكتب كل ليلة حتي الفجر ينهك ذهنه وعقله وعينيه وجسمه في قراءة مئات

الملفات وآلاف الصفحات، او يبعثرون نقودهم في سهرات وحفلات لا سبب لها سوى الرغبة في حرق الفلوس.

وأكثر من ذلك إن آباءهم جميعا إشتروا لهم سيارات فارهة.. ثمن السيارة منها يعجز عقلي عن عدّه إذا وضع امامي، وليتهم فعلوا ذلك واكتفوا لكن هؤلاء الأبناء يباهون أبنائي بمالهم فيه من ثراء وسعة ويتعجبون من حالهم!

وفجأة إنقلبت سعادتنا إلى تعاسة.. فقد بدأ ابنائى يطالبون أباهم بأن يكونوا مثل اصدقائهم فاذا حدثهم عن الرضا والمركز الاجتماعي والشرف والاحترام، قالوا له أن كل ذلك لا يصمد لشراء فستان لائق باحدى بناتى لتذهب به إلى الجامعة! وان آباء بعض زملائهم من غير تجار الانفتاح يعملون اعمالا اضافية بعد الظهر ويكسبون المال لكي يوفروا لأبنائهم الحياة الكريمة، فيسألهم زوجى: وماذا يمكن أن يعمل قاض من اعمال إضافية وذلك مخالف للقانون ولا يرضاه ضميره، فيرد ابنائي: يستطيع أن يعمل «سرا» وخذ بالك من كلمة سرا هذه - في مكتب أحد كبار المحامين بعد الظهر فيحرر له المذكرات القانونية ويتقاضى الأجور العالية. فيتعجب زوجي من تفكير الأبناء ويعتذر لهم بان هذا التصرف ممنوع قانونا واخلاقيا، وانه اذا كان يطبق القانون على من يخالفونه فأولى به الا يخالفه، فلا يقنعهم ذلك منه.

وباختصار يا سيدى فان سعادتنا التي بنيناها في 20 سنة من الكفاح تتهدم الآن على رؤوسنا من المناقشات اليومية في هذا الموضوع الذي سئمناه والذي يؤلمني ويؤلم زوجي غاية الألم، وقد وصل الأمر إلى تمرد الأبناء على أبيهم الذي أصبح يعاني من آلام نفسية رهيبة، فأواسيه وأخفف عنه بان ذلك هو حال الشباب في كل زمان وأنهم متعجلون لتحقيق كل شيء فيهز رأسه موافقا، لكني أسمعه بعد ذلك بيكى في صلاته ويتهدج صوته وهو يدعو لابنائه بالهداية.. وأحيانا اسمعه وهو يدعو على نفسه وأبنائه ويتمنى لو لم يكن له أبناء، وأنا مشفقة على زوجي من أن يهتز إيمانه أو يفقد وقاره وهدوءه اللذين يتميز بهما، واخشى ان يؤدي تطلع ابنائي إلى رفاقهم من ابناء الطبقة الجديدة إلى أن يقعوا في الهاوية أو يتجهوا الى طريق الخطأ الذي كافحت مع زوجي لإبعادهم عنه بالتربية السليمة والإرشاد والتقويم.

ولا تعتقد يا سيدى انى كنت سلبية في هذه المعركة التي تهدد اسرتى وسعادتي.. فقد وقفت إلى جانب زوجي في موقفه.. وساندته وكثيرا ما نصحت أبنائي في غيابه بأن يقدروا كفاحه وتعبه وشقاءه وان يقدروا له امانته وشرفه.. فكان كلامي لا يعجبهم.. وأحيانا وصلت حدة المناقشات معهم إلى الرد على بحدة وفظاظة.. واخفيت كل ذلك عن زوجي لكيلا تزداد تعاسته ولقد ترددت ان اكتب اليك عن هذه المشكلة لحساسيتها الشديدة بالنسبة لزوجي ووضعه ومركزه.. لكني استخرت الله وقررت ان اكتب لك عنها لانها ليست مشكلة زوجي وحده وانما مشكلة كل الشرفاء من العاملين في هذا المجتمع الذي هبت عليه عواصف الانفتاح فاقتلعت الكثير والكثير من القيم وزلزلت كثيرا من الأوضاع.. انني اكتب اليك لاسألك ماذا أفعل.. ماذا يفعل زوجي في وجه هذه العاصفة؟

∞∞∞∞∞∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول: سأقول لك يا سيدتي.. أو « يا سيدى » بمعنى أصح لأني أحس من أسلوب هذه الرسالة «القضائي» ومن خطها «الرجالى».. انك رب هذه الأسرة ولست «ربتها» على الأغلب، فلتكن من تكون.. لكنك بلا شك «تثير» قضية هامة وحساسة أصبحت من أبرز مشكلات مجتمعنا هذا العصر. وهي مشكلة التناقض الأزلي بين «جريان» المال كما يجرى الماء في الغدير، في أيدي البعض ممن قد لا يكونون من أصحاب العقول والمراكز الاجتماعية والمراكز العلمية، وبين «شحها» كقطرات الماء في الأدوار العليا، بين أيدي آخرين وقد يكونون من «أهل القمة» بمقاييس المجتمع السليمة في المستوى العلمي والاجتماعي والثقافي وهي قضية قديمة جدا شغلت أصحاب العقول منذ قديم الزمان.. لكنها اتخذت في مجتمعنا وخلال السنوات الطويلة شكلا فجًا واستفزازيا بسبب الممارسات الخاطئة لبعض أو لمعظم أبناء الطبقة الجديدة في بلادنا. ففي العصر العباسي قال المتنبي عن نفس هذه القضية:

لو كانت الأرزاق تجري على الحجا هلكن إذن من جهلهن البهائم

أي لو كانت الحظوظ والأرزاق تقسم بين الناس حسب نصيب كل فرد من «الحجا» أي العقل والعلم والثقافة والمكانة المرموقة أو خطورة المناصب واسهامها في خدمة الآخرين، لو كانت الأرزاق تجري على هذه. الأسباب، لما وجدت « البهائم، بالفعل قوت يومها! فلا غرابة في ذلك لأن الطريقين لا يلتقيان في الحياة غالبا.. لكن الخطير والغريب فعلا هو ما شهده مجتمعنا خلال السنوات الأخيرة من تغيرات اساسية في مفاهيمه هي التي جرت علينا كل هذه الكوارث فحتى سنوات قليلة كان المجتمع يعرف ويقدر للآخرين شرف العمل وشرف المكانة والشخصية والخلق القويم، فهب عليه إعصار مدمر لا يعترف لاحد بشيء الا«بشرف» المال وحده مع تحفظي على عبارة شرف المال، هذه! فلا شرف في رأيي لمن لا يملك من كل المقومات الخلقية والدينية والعلمية والاجتماعية.. سوى المال. فأى شرف «لزكيبة» منتفخة بالمال؟ اليست في النهاية زكيبة مصنوعة من الخيش؟.

ووسط هذا الاعصار المدمر تحطم المثل الأعلى لدى قطاعات عريضة من الشباب وهم يرون أن كل المقومات الأخرى لا تقدم لأصحابها سوى قطرات شحيحة لا تكفي لمنع الحياة الكريمة فضلا عن التمتع و بمباهجها، وهم ايضا يرون هذا السباق الرهيب لجمع المال - ورشه، في الهواء كما ترش معطرات الجو في الغرف المغلقة.. لكن ذلك أبدا لا أن يقسو الأبناء على الآباء وان يحملوهم مسئولية حرمانهم مما في أيدي اللاهين العابثين.

وابناؤك يا سيدي قساة غلاظ القلوب فما أقسى ان يُشعر الأبناء آباءهم بعجزهم وفشلهم في الحياة لأنهم غير قادرين على تحقيق بعض مطالب الحياة الصعبة. وويل للأباء هذا الاحساس المؤلم حين يجيئهم من جانب من أفنوا العمر في رعايتهم وتنشئتهم وأمضوا الليل ساهرين ليوفروا لهم الرزق الحلال قدر الجهد وقدر الاستطاعة فان قصرت ايديهم عما لا طاقة لهم به..

فلا جرم عليهم وما هم بملومين. ومن واجب اعزائنا أن يخففوا عنا لا ان يضاعفوا من الامنا، ومن واجب احبائنا أن يشدوا من أزرنا لكي نبقى صامدين في وجه الاغراءات ونداءات الانحراف والشر لا أن يضعفوا من مقاومتنا لكي نحيد عن الطريق وننجرف الى ما انجرف اليه البعض فنصبح على ما فعلنا نادمين بعد أن نفقد احترامنا لانفسنا قبل أن نفقد احترام الاخرين لنا. واني اعجب لأبنائك الذين يمضونك على مخالفة القانون لكى يجدوا بعض ما يريدون من أسباب الحياة هل تختلف و وسوساتهم، هذه عن وساوس الشيطان حين يزين للانسان الخطيئة.. اليست مقولة أن الجميع يفعلون هكذا، هي حديث النفس الأمارة بالسوء حين تضعف امام الخطأ والانحراف؟ ثم أين هم هؤلاء الجميع؟ هل نحن حقا أمة من اللصوص المنحرفين والمرتشين والمختلسين والخطاة؟ اذا كنا كذلك جدلا - وهذا ما لم يكن ولن يكون إلى أبد الابدين، فلم تعاني هذه الأكثرية الصامتة التي تكسب رزقها بشق الأنفس وتنفر نفورا طبيعيا وغريزيا من الحرام وتخشاه؟.

إنهم يطالبونك بمخالفة القانون وبالعمل سرا فيما يتعارض مع شرف وظيفتك وتقاليدها.. فلم لا تطالبهم أنت بالعمل إلى جانب الدراسة ليوفروا لانفسهم ما يحتاجونه من كماليات، كما يفعل ملايين الشباب في كل المجتمعات؟ ولماذا يكتفون هم بالشكوى والائين.. وإشعارك بالعجز لقصر يديك عن تلبية بعض مطالبهم؟.

أليست هذه كارثة أخلاقية جديدة تمنينا بها إلى جانب كارثة انقلاب الهرم الاجتماعي بعد ظهور الطبقة الجديدة التي افسدت الحياة وافسدت القيم في مجتمعنا، لقد اصبحت إحدى ماسينا الآن أن «أهل القمة» في مجتمعنا قد أصبحوا يشعرون بالإحباط والقزمية واللاجدوى أمام و اهل التخمة.

وامام اسلوب حياتهم المدمر الذي هز قيم الشباب.. ويطلق براكين السخط فيهم.. ومجتمعنا بالتأكيد في حاجة إلى نظرة شاملة تعالج هذا الخلل الخطير، وتداوي أسبابه، وتعيد للقيم والفضائل مكانتها على رأس السلم الاجتماعي كما كانت حتى وقت قريب.. والأسباب معروفة. والوسائل أيضا معروفة فلا جديد إذن في هذا الحديث ولا طائل تحته!.

∞∞∞∞∞

العقـــــاب

أكتب إليك هذه الرسالة وأنا في قمة اليأس والكره الشديد لنفسي..

فأنا يا سيدي أمثل حالة من الحالات العجيبة التي تستقبلها في بريدك. وأرجو أن يتسع لى صدرك كما يتسع لأصحاب هذه الحالات.. وبداية اقول إنني أكتب إليك لا لأشكو ظلما وقع على من أحد ولا لأشكو إليك غدر أحد بي.. وإنا أكتب اليك لأشكو إليك نفسي التي تسبب لى الشقاء والمعاناة وتكاد تحطمني! فأنا يا سيدي ممن يقول عنهم الناس أن كلامهم مثل «الدبش» يتساقط على الآخرين فيصيبهم ويجرحهم ويسيل دماءهم كما تفعل الحجارة إذا سقطت فوق رأس انسان من علٍ، فأنا أعامل الناس بسوء وجفاء..

وبسبب هذه المعاملة وقلة ذوقي معهم إبتعد عنى الناس وأصبحت وحيدا شريدا يتجنبني الاصدقاء والاهل!

وأنا سريع الغضب أغضب لأتفه الأشياء فأثور ثورة عارمة وأنهال على الضحايا بالألفاظ الفظيعة، ثم بعد أن أهدأ أحاول أن أجد سببا مقنعا لما حدث.. فلا أجد..

فمثلا خلال العام الدراسي إختلفت مع زميلة لي في الرأي، فانفجرت فيها فجأة وسببتها وأهنتها واتهمتها بأسوا الإتهامات ففوجئت المسكينة بما حدث وإنهارت وبكت بينما أنا مستمر في هجومي العنتري عليها بلا أي مراعاة لبكائها ولا لصيحات الإحتجاج من زملائي، وبالطبع فلقد تجنبنى الجميع بعد ذلك وأصبحت أدخل إلى المحاضرة وحيدة ذليلا واضعة وجهى في الأرض واخرج منها على نفس الحال.

وحدث بعد أن تجنبني الزملاء والاصدقاء أن كنت جالسا وحيدا في الحديقة المقابلة للجامعة فطلب مني الجنايني بأدب أن أبتعد قليلا لكى يروى الزرع في نفس المكان. فاذا بي أنفجر فيه بالسباب واللعنات شوطا طويلا قبل أن أهدأ بعدها وأنصرف مضايقا ثم جاءت بعد ذلك الإجازة الدراسية في الصيف فتعذبت فيها عذابا فظيعا لأن علاقتي مقطوعة مع أهلي وأصدقائي بسبب طول لساني هذا. وطوال أيام الاجازة كنت أستيقظ في الظهر وأخرج من البيت دون أن يهتم بي أحد أو يسألني أين أنت ذاهب أو هل تريد شيئا، فأتجه الى الحديقة العامة القريبة من سكنى وأظل جالسًا وحيدًا فيها أحاول ان اعرف لماذا أنا «أبيح» هكذا بلا جدوى! وأقرر أن أغير من نفسي.. وأتمسك بذلك لمدة أيام ثم ارجع ثانية لأن الطبع غلاب!

إنني أمر بحالة شديدة من اليأس والإكتئاب والضيق والحزن الشديد لا استطيع أن أصفها لك.. وأطلب منك حل مشكلتى لكي ينصلح حالى..

وشكرا جزيلا!

∞∞∞∞∞

ولكاتب هذه الرسالة اقول:

يا سيدي إن أباطرة وملوك وحكماء الشرق والغرب جميعا لا يستطيعون حل مشكلتك لسبب بسيط هو أن حلها معلق بطرف لسانك.. ولا يستطيع أحد مهما فعل أن ينطق نيابة عنك بما يجمع بينك وبين الناس.. بدلا من أن يفرق بينك وبينهم كما تفعل الآن ثم لأنك تعاني من داء عضال هو الحماقة. وقديما قالوا:

لكل داء دواء يستطب به.. إلا الحماقة أعيت من يداويها!

وقبل أن أستطرد في إبداء رأيى أرجو الا تصعد النار على رأسك على الفور قبل أن تكمل قراءة هذا الكلام فتتحفني على البعد بباقة مختارة من قذائفك التي تطلقها فتتناثر في الجو كالقنابل العنقودية مفرقة الناس من حولك.

فمن عادة الحمقى ان يسبق غضبهم حِلمهم وأن تسبق إنفعالاتهم تفكيرهم لذلك أدعوك إلى الهدوء لتسمع مني ما اقول «وانت وتربيتك بعد ذلك»! إني أقول لك يا سيدي أن خير الخلق أجمعين وهو من أدبه ربه فأحسن تأديبه قد قال له الحق سبحانه: «ولو كنت فظا غليظ القلب لإنفضوا من حولك» فكيف تنتظر من الناس ألا ينفضوا من حولك أنت وأنت معهم على هذه الحال التي تصفها بنفسك؟.

إن انصراف الناس عنك هو العقاب الطبيعي لك من جانبهم، فليس كل الناس على إستعداد لأن ينازلوك في ميدانك، وعقاب سليط اللسان.. غليظ الطبع والقلب هو إعتزاله والابتعاد عنه، لذلك فانت لا يهم أمرك أحدا من أهلك ومن كانوا اصدقاءك وسوف تبقى كذلك وحيد إلى إن تتغير بنفسك، والى أن تتعلم كيف تكظم غيظك وكيف تكف أذاك عن الآخرين.. بل وكيف تعطيهم من طرف اللسان حلاوة تجمع قلوبهم حولك بدلا من أن تفرقها.

فامُلك غضبك يا صديقي.. تملك نفسك.. ومن ملك نفسه فقد ملك الآخرين بدماثته ورقة طباعه ولين عريكته. وإعلم أن الكلمة الطيبة صدقة، وأنها تأسر القلوب وتدفع الاذى وتسد أبواب الشر وتفتح أحيانا أبواب النعيم، واذا صدق ظني فإن اندفاعاتك وطلقاتك هذه قد يكون لها بعض الاسباب البيولوجية التي يفلح العلاج الطبي بالمهدئات والعقاقير في التخفيف منها، فاعرض نفسك على طبيب للامراض العصبية يعاونك في تجنب مثل هذه الانفجارات الضارة..

أما دماثة الطبع ورقة الحديث مع الآخرين وتعلم مراعاة شعورهم وإحترامهم فلن يفيدك فيها طبيب ولا معلم لأنك أنت طبيب نفسك ولا طبيب لك سواك!.

هذا هو رأيي.. أرجو الا يغضبك.. وعموما ومن باب الاحتياط أقول لك: الله يسامحك!.

∞∞∞∞∞

بنت الباشا

أنا تلميذة بالصف الأول الثانوى كان جدي لأمي باشا.. أي باشا سابق ثم تغيرت الدنيا وضاعت الارض وضاع العز منذ سنوات طويلة ولم أر شيئا لكني سمعت عنه من أمي التي شهدت طفولتها بقاياه، وقد ضاع المال ونزلت أمي إلى ميدان الحياة وعملت موظفة كتابية في إحدى المصالح الحكومية وتزوجت من أبي وأنجبتنا ونشأنا بين أحضان أبوين صالحين يعملان كل جهدهما لتربيتنا وتعليمنا واسعادنا وحياتنا تمضي عادية..

نعاني من متاعب الحياة كغيرنا لكن يظلل حياتنا دائما الحب والتعاطف الأسرى ونحيا تحت رعاية أبي الرجل الفاضل وأمي السيدة المؤمنة التي ربتنا تربية بنت باشا سابق لأبنائها والحمد لله على كل حال، تسألني طبعا ماذا أريد.. ولماذا أكتب لك؟ إلى أكتب لك لاني أريدك أن توجه رسالة في بريد الجمعة إلى إمي لأنها تقرأه كل اسبوع، والحكاية انني كنت نائمة ليلة عيد الفطر المبارك فصحوت من نومي قرب الفجر على صوت بكاء.. ونشيج فنهضت مفزوعة ثم تسللت من غرفة النوم على أطراف أصابعي لأعرف إيه الحكاية.. فرأيت أمي وراء الباب جالسة على الأرض في الصالة على سجادة الصلاة رافعة وجهها ويديها إلى أعلى تكلم الله سبحانه وتعالى وتقول له: يارب.. يا من لاتظلم عنده الخلائق.. لقد كرمتى بنجاح أولادي فهل ترضى بألا يفرحوا في العيد إنهم في حاجة لملابس جديدة.. لكن العين بصيرة واليد قصيرة وانت اعلم بحالنا «يارب»

سمعت كلماتها إلى الله وانسابت دموعي وخشيت أن ترالى فتخجل منى ويزداد همها، فعدت إلى فراشي وقلبي حزين وبقيت في الفراش بلا نوم حتى الصباح، وفي الصباح نهضنا من فراشنا وتبادلنا التهنئة بالعيد.. وأنا ألمح في عينيها نظرة منكسرة.. لذلك فاني أريد منك أن تكتب إليها رسالة تقول لها فيها إننا لم نطلب منها ملابس جديدة في العيد ولم نطلب منها حتى العيدية وإننا نعرف حالنا كويس وان دخلنا يدوب يكفينا لآخر الشهر.. وقل لها كتر خيرها هي وبابا انهم بيعلمونا وبيصرفوا علينا وبيحبونا وبيتعبوا كثير علشان يسعدونا.. وارجوك تقول لها كمان ان احنا راضيين بحياتنا والحمد لله.. وان مهما حصل فهي في نظرنا بنت الباشا.. وحتفضل كدة على طول.. وشكرا لك،...

∞∞∞∞∞

.. وأتوقف طويلا أمام هذه الرسالة.. أتأمل في خيالي صورة الأم الجالسة على سجادة الصلاة تبكي وتناجي ربها في ليلة العيد وابنتها ترقبها خفية.. ثم استبعد كلمات الابنه المعبرة ببساطة وصدق عن حبها لهذه الام الطيبة.. وأشعر أني عاجز عن توجيه الرسالة التي تطلبها مني الابنه إلى الأم فأني مهما استجمعت من الكلمات لن أستطيع ان انسج كلمة ارق ولا اصدق مما كتبت هي عنها واليها.. لكني فقط أقول للأم: أن نشأت أبناءها وسط متاعب الحياة وظروفها الخاصة على هذا الخلق الرضى الطيب القانع..

هي أم عظيمة بلا جدال.. فهنيئا لك ياسيدتي حب واحترام أبنائك لك وليتوج الله كفاحك مع زوجك بنجاح الأبناء دائما واستكمال تربيتهم وتعليمهم.. فلا شك انك سوف تقدمين للمجتمع عناصر فاضلة تضيف إلى الحياة ولاتخصم منها وإذا كنت قد فقدت العز القديم.. فلقد عوضك الله عنه خيرا بأبناء صالحين محبين عطوفين.. وهو فضل لو تعلمون عظيم!

∞∞∞∞∞

رسالة في الفجر

اكتب اليك هذه الرسالة وقد اقترب الفجر وأنا ساهر قلق معذب لا أعرف كيف اتصرف ولا كيف أحتمل الحياة بعد الآن. فأنا شاب أحمل شهادة متوسطة ومتزوج من زوجة طيبة تحبني وأحبها كانت موظفة بإحدى الشركات بمرتب صغير وكنت وقتها. موظفا في شركة أخرى بمرتب مماثل، وكنا نعيش في سعادة رغم ضيق الحال لكن مشكلتنا الأساسية كانت إننا لا نملك شقة بل نسكن في غرفة مفروشة أحيانا وفي شقة مفروشة صغيرة أحيانا أخرى لذلك يلتهم الايجار دائما معظم ما نكسبه، ورغم ذلك كنا سعداء نقتسم الرغيف ونشترى الأشياء الضرورية من الملابس الرخيصة والالتزامات معا ومضت حياتنا سعيدة رغم كل شيء حتى جاء يوم التقيت فيه عن طريق أحد أصدقائي بشخص صاحب اعمال شكا له صديقى مما أعانيه انا وزوجتي من متاعب الحياة فبدا التأثر على وجهه وعرض على أن أعمل في منشأة يملكها عملا إضافيا بعد الظهر فرحبت وشكرته كثيرا..

وبدأت العمل معه، كان عملا حسابيا بسيطا اقبلت عليه بإخلاص فرضى عني وعن جهدى ثم بعد فترة وبعد تزايد اعتماده على عرض على أن أستقيل من عملى بالقطاع العام وأن اعمل معه بمرتب 150 جنيها وأن تستقيل زوجتي وتعمل معي بـ 60 جنيها ولم نتردد طويلا وإستقلنا بالفعل وعملنا معه وبدأ الجحيم الذي مازلت أعيش فيه حتى الان. فلقد رأيت من الرجل صورة أخرى لم تتح لي الظروف أن أراها من قبل.. ودعني أحدثك قليلا عن صاحب العمل.. لقد بدأ حياته موزعا للسجائر بالتريسكل، يطوف بالشوارع ليبيع السجائر للأكشاك ثم جاءت ازمة سجائر، البلمونت، في الستينات، وكانت السيجارة الأولى في مصر فتاجر فيها في السوق السوداء وربح منها ربحا فاحشا، فاشترى متجرا صغيرا تاجر فيه في كل الاصناف الشحيحة في السوق كالسجائر والصابون ثم جاءت بعد ذلك أزمة صابون كانت هذه هي بداية ثروته. وخلال 11 سنة فقط تحول موزع السجائر بالتريسكل إلى مليونير وانقلبت حياته رأسا على عقب فأشترى منشأة كبرى وادارها بنجاح لا ينكر ثم اشترى غيرها وغيرها.. واعذرني اذا اعتذرت عن تحديد نوع نشاطه لكي لا يعرف انه المقصود.

تسألني اين المشكلة.. فأقول لك.. إن هذا الرجل مصاب بعقدة عجيبة ضد الناس وبالذات حملة الشهادات ويصب حقده عليهم دائما، وبالرغم من أني أحمل شهادة متوسطة فهو يعتبرها فيما يبدو شهادة وينالني منه عذاب كثير فهو يتصيد الأخطاء ثم يطلق صوته الجهوري بأبشع كلمات السباب والتقريع وهو دائما يحاول أن يثبت انه الذي يقرأ ويكتب بصعوبة يفهم أكثر من اى متعلم وهذا كله محتمل لأنه يخصه وحده. اما غير المحتمل فهر أن ينهرنى أمام زوجتي في العمل بلا أي ذنب وبلا مناسبة ليكسرني أمامها، ولا يفعل ذلك معي وحدي وانما مع الجميع لذلك يتركه موظفون كثيرون ولا يستقر معه أحد وبعضهم رد له الصاع صاعين، أما أنا وزوجتي وقد تركنا وظائفنا من أجله.. فاين نذهب؟ والرجل حزمة متناقضات غريبة فهو متدين لكنه يسب ويلعن ويهين وقد يطردنا أيضا، ثم بعد ساعات يرسل

الينا من يستدعينا!. وهو يعترف باني مخلص ومُجيد في عملى لكنه لا يكف أذاه عني.. وحياتي مع زوجتي أصبحت رهينة بمزاجه اذا شاء نقص علينا حياتنا واذا شاء مر اليوم بسلام فنعود إلى البيت وان كان يندر وهو يتلذذ بإهانتي أمام ضيوفه ولقد أهاننى اليوم إهانة بالغة حتى لقد بكت زوجتي واقسمت آن نترك العمل مع الرجل ولو متنا من الجوع.. ونامت وهي باكية وظللت أنا ساهر أكتب اليك فما هو رأيك؟.

∞∞∞∞∞

واقول لكاتب هذه الرسالة: رأيى ببساطة انك لست رجلا. ولو كنت كذلك لما قبلت هذه الإهانات اليومية من حيوان جاهل مريض النفس يعاني من مركب نقص تجاهك وتجاه كل من يحس بجهله أمامهم.. ففيم تفكر أيها الرجل؟ إنك شاب وفي مقتبل العمر وفي أتم صحة لكنك تعاني كل يوم من الإهانات والتجريح بلا سبب ويحترق دمك كل يوم عشرات المرات تسألني ماذا افعل؟ كنت أظن انك لست في حاجة إلى مشورة أحد لتختار انقاذ ما بقي من كرامتك وما بقي من رجولتك أمام زوجتك وتنجو بنفسك وبها من هذا المستقع؟.

بل ولماذا سمحت لهذا الوغد بان يتطاول عليك من البداية.. ولماذا لم ترد عليه الاهانة من أول يوم بل لماذا لم تصفعه حين أهانك اول مرة امام زوجتك إرضاء لعقده ونفسه المريضة ولو تحملت أية نتائج تترتب على ذلك؟. صدقني إنك لو فعلت لما خسرت الكثير بل لكسبت احترام زوجتك التي أحس انها اكثر نخوة منك، لقد فهمت من رسالتك وما لم أنشره منها انك قد اكتسبت خبرة طيبة في هذا المجال من العمل.. اذن فإنك تستطيع أن تجد عملا آخر فيه ولو بمرتب اقل.. ولو في مدينة اخرى، لكنك قبلت الهوان.. ومن يهن يسهل الهوان عليه!. فانج بنفسك وابحث عن عمل آخر، فأرض الله واسعة ولا تستجب لطلب هذا الحيوان لو أرسل اليك.. فهو إن فعل فسيفعل لكي يفرغ فيك وفي زوجتك كل عقده لأنه يعلم أنكما قد ارتبطما به إلى الأبد بعد ترك الوظيفة ويشعر باحتياجكما اليه اكثر من غير لذلك فهو كما قلت يختصكما بالقدر الأكبر من سفالته وسوقيته وسوء تربيته، وهذه العوامل كلها تتفاعل داخله مع ثراء فاحش مفاجيء أطاح بعقله فأثمرت هذه الشخصية المريضة، فلا تنتظر منه أن يتغير أو أن يصبح إنسانا مهذبا في يوم من الأيام فالثراء وحده لا يصنع انسانا مهذبا وانما تصنعه التربية السليمة والقيم الدينية والخلقية وصاحبك والحمد لله مجرد من كل ذلك!. ثم أين هو هذا التدين الذي تحكى عنه.. أي تدين هذا الذي يسمح لصاحبه بامتهان كرامة انسان وايذائه كل يوم والرسول عليه الصلاة والسلام قد استعاذ بالله من ثلاثة هي: ذل الحاجة وغلبة الدين وقهر الرجال، والرجل يستغل فيك بوحشية ذل الحاجة ويقهر فيك الرجل.. ويتلذذ بتعذيبك بسادية مريضة واضحة، انه قاتل يا صديقي وحسابه مع الله عسير عن جرائمه ولكن إلى أن يسوى الله معه حسابه وهو لابد فاعل إن شاء الله انج بنفسك من هذا الجحيم وسوف يوفقك الله إلى رزق اخر غير مغموس في الهوان كهذا الرزق الذي تُطعمه الآن!.

∞∞∞∞∞

(تم الكتاب بحمد الله)

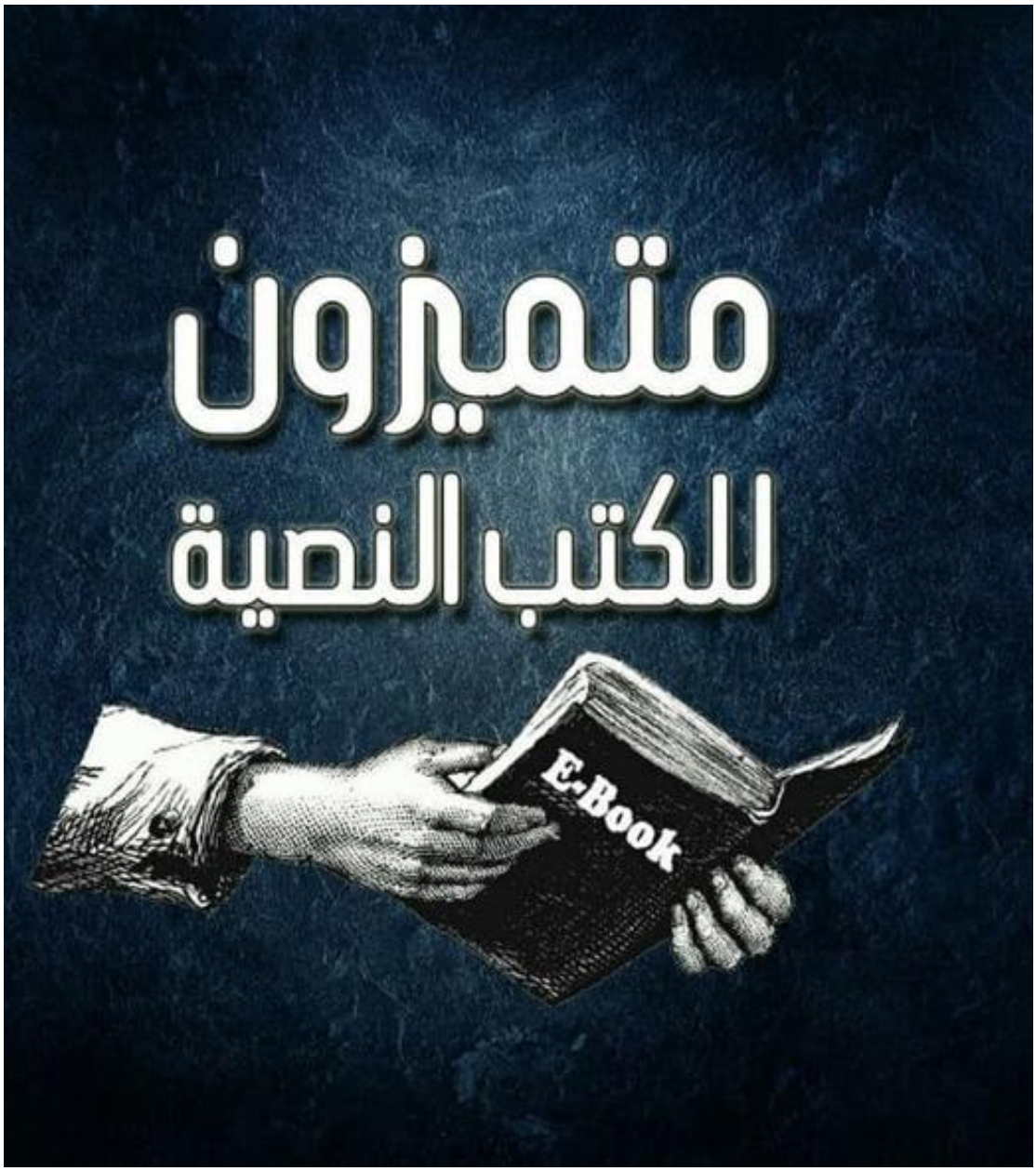
متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــاة

-

الفهرس:

الإهـــــداء:

هذا الكـــــتـاب..

دائرةالانتقام

فوق السحاب

إنتصار الحياة

الاختيار

الزهور..السوداء

أيام السعادة

طائر الحب والسعادة

الطريد

وسط الزحام

صورة الزفاف

حدّ السيف

الجريمة..والعقاب!!

الندم

صاحب الجلالة

شبح من الماضي

رسالة من الباب الخلفي

..ولا مؤاخذة

رجل مهم..

فتاة من قاع المدينة..

رجل الأسرة

عمارة الأحلام

«ادب الحياة»

الوجه الآخر

شيء من الرومانسية

نهاية القصة

مجلس العائلة

الخيط الرفيع

السيمفونية الناقصة

أسرة من الحيّ الشرقي

بلا عاطفة

نداء العقل

أشياء لا تباع

رسالة من حجرة الصالون

أهـــل القـــمة

العقـــاب

بنت الباشا

رسالة في الفجر

الملاحظات

[←1]

()رجحت معظم اراء القراء انفصال الزوجة عن زوجها لعدم وفائه و دلك بنسبة 65% من الأراء

[←2]

(*) مضمون احدى الرسائل التي نشرت في بريد الجمعة بالأهرام.

[←3]

(*) مضمون رسالة أخرى.

[←4]

(*) مضمون رسالة ثالثة.

[←5]

(*)تكفل بريد الأهرام و قراؤه بحل مشكلة المسكن المؤقت لكاتب هذه الرسالة وبالمسئولية المادية عنه حتى تحرج طبيبا بعد شهور من نشر هذه الرسالة.

[←6]

(*) تم تعيين كاتبة الرسالة في الجمعية التعاونية للبترول استجابة لما نشر.